

التراث اللغوي العربي

و
علم اللغة الحديث

الدكتور عصام البرنساوي



الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

التراث اللغوي العربي و علم اللغة الحديث

تأليف
الدكتور همام البرنسواوي
وكيل كلية دار العلوم
رئيس قسم علم اللغة
جامعة القاهرة - فرع الغيزم

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية



مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

أ. محمّد الدّين شوقية

www.lisanarb.com

جميع الحقوق محفوظة للنّاشر
الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م



الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ شارع بورسعيد / القاهرة ت : ٩٢٢٦٢٠ - ٩٢٨٤١١ فاكس : ٩٢٦٢٧٧
ص ب ٢٦ توزيع الطاهر - القاهرة
E-mail : alsakafa-alDinaya@hotmail.com

٢٠٠٤/٧٠٩٩	رقم الإصدار
977-341 - 141-9	التقييم الدولي LSBN

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِقَاءِ سَيِّدِي

التراث اللغوي العربي - وعلم اللغة الحديث

تزخر المكتبة اللغوية العربية بالعديد من صنوف التأليف اللغوية على مختلف المستويات في الأصوات والأبنية والتراكيب والدلالة، وغيرها من القضايا والظواهر، التي استوعبت كل ما يتعلق باللغة العربية الفصحى ولهجاتها في جميع أنحاء الدولة الإسلامية الكبرى.

لقد نهض العلماء العرب بدراسة هذه اللغة، وآفوا هذا الكم الهائل من الأعمال والكتب والرسائل والمؤلفات، تدفعهم رغبة صادقة، وتحفزهم همة قوية في الحفاظ على اللغة العربية الفصحى، باعتبارها الوعاء والقالب للقرآن الكريم، دستور الإسلام والمسلمين، من أن يصيبها اللحن والانحراف، وبخاصة بعد أن انتشر الدين الإسلامي في أنحاء الدنيا، ودخل الناس والشعوب في دين الله أفواجا، فمن المعلوم أن اللغة - أية لغة - باعتبارها كائن حي، يؤثر فيها غيرها من اللغات وتتأثر بها أيضا، فخشى العلماء الغيورون المخلصون على سلامة هذه اللغة الشريفة من أن تتحول أو تبدل أو تتغير بفعل هذا التأثير والتأثر، ويطول العهد بذلك التغيير، فتتعلق أفهام المسلمين وعقولهم على القرآن الكريم.

وكانت رغبة الأمم المفتوحة الذين اعتنقوا هذا الدين الإسلامي الحنيف رغبة قوية في تعلم هذه اللغة العربية الشريفة، ليتمكنوا من أداء العبادات والصلوات، باللسان العربي المبين، كما كانت هذه الرغبة - أيضًا - دافعًا قويًا، وعاملاً مؤثرًا في إقبال العلماء على دراسة اللغة العربية، ليتمكن هؤلاء المسلمون من غير العرب من القدرة على تعلمها وتيسير النطق بها. ونشأت بذلك حركة علمية وتعليمية على السواء، وتبارى العلماء في هذا الميدان، حيث أولت الدولة اهتمامها بهذه الحركة العلمية الناشئة، فشجعت العلماء على التأليف والترجمة من اللغات الأخرى، وما تميز به ثقافتها وتراثها من علم وفن وحكمة وغير ذلك.

لقد أبدع العلماء العرب في دراسة الأصوات العربية، للدرجة التي جعلت المستشرق الألماني: برجشتراسر يصرح بقوله: «لم يسبق الأوربيين في هذه الدراسة (يعنى الأصوات) إلا قومان: العرب والهنود. فلقد تميزت هذه الدراسات الصوتية عند العلماء العرب بسمات وخصائص تجعلها في هذه المكانة المرموقة، فلقد أحاطت هذه الدراسات بأصوات اللغة العربية الفصحى ولهجاتها المختلفة وصفًا عضويًا دقيقًا، على المستوى النطقى والسمعى، فتحدثوا عن مخارج الأصوات ومدارجها، كما تحدثوا عن صفاتها المتنوعة التي تصاحب الأصوات عند نطقها، ويتجلى ذلك فيما صنعه الخليل في كتابه: العين وسيبويه والمبرد وابن جنى وغيرهم من العلماء، كما كانت لجهود كل من: ابن سينا والقارابى أثر واضح في دراسة الأصوات العربية دراسة تجريبية فيزيقية.

ولسنا نبالغ ذكر الحقيقة عندما تؤكد أن العلماء العرب، قد درسوا الأصوات العربية دراسة وصفية محضة بقطع النظر عن كونها موجودة في سياق لغوي، أي تلك الدراسة العادية الخالصة، التي يطلق عليها في الدرس اللغوي الحديث بالدراسة الفوناتيكية.

كما أجاد العلماء العرب في دراسة ما يطرأ على الأصوات العربية من تغييرات بسبب وجودها في سياق، من إدغام وإقلاب وغيرها من التغييرات، التي يطلق عليها في الدراسات الصوتية الحديثة، بالدراسة الفونولوجية. أما في مجال الدراسة الصرفية والأبنية، فقد أجادوا فيها أيما إجادة، ونشأت في بحوثهم دراسات تصريفية وأخرى صرفية وبحوث في الاشتقاق وأبنية الصيغ وأوزانها وغير ذلك.

ويمكننا القول بأن دراسات العلماء العرب في هذا المستوى الصرفي تماثل ما يطلق عليه في الدراسات اللغوية الحديثة بالتوزيعية والمنهج القالي.

وفي مجال الدراسة النحوية، فقد بلغت هذه الدراسات عند العلماء العرب شأواً وشأناً كبيراً، وظهرت مدارس واتجاهات ذات خصائص وسمات كمدرسة البصرة والكوفة والمدرسة البغدادية والمصرية والأندلسية ولا غرابة أن نجد هذا الكم الهائل من المؤلفات النحوية التي تمثل أساساً قوياً ودرعاً متيناً وحصناً منيعاً للحفاظ على سلامة اللغة العربية الفصحى من اللحن والانحراف، لتبقى هذه اللغة الشريفة، لغة القرآن الكريم حية مفهومة لدى عقول جميع متكلميها من المسلمين، وقد ضمن رب العزة - سبحانه

وتعالى - البقاء والخلود لهذه اللغة بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ .

أما دراسات العلماء العرب في مجال الدلالة والمعجم، فإنها تشهد - بحق - قدرتهم على استيعاب مفاهيم هذا المستوى اللغوي، وإجادتهم في دراسته، تشهد بذلك مؤلفاتهم وبحوثهم، وما اتجهوا من معاجم لغوية على شتى أنواعها ومناهجها، كما تشهد بذلك. الرسائل اللغوية العديدة التي تمثل نمطا تأليفياً فريداً يماثل - تماماً - ما يطلق عليه في الدراسات اللغوية الحديثة بنظرية الحقول الدلالية.

إن دراسة العلماء العرب للعديد من الظواهر اللغوية كالترادف والمشارك اللفظي والأضداد والمعرب والدخيل وغير ذلك من قياس واشتقاق، يدل على أن هؤلاء العلماء لم يتركوا شاردة ولا واردة تتعلق بهذه اللغة العربية إلا وكان لهم فيها قدم راسخة وباع واسعة درساً وفحصاً وتمحيصاً.

وهذا الكتاب، الذي تقدمه للقارئ الكريم يشتمل على قطوف من هذا البستان اللغوي الوافر، قصدنا من خلاله أن نقدم بعض هذه الجهود الصادقة لبعض أعلامنا وعلمائنا الأجلاء، لنرى مدى ما بذلوه من جهد خالص، واثقان علمي معجب، ودراسات منهجية فريضة، وبخاصة عندما تقدم هذه الدراسات التراثية العربية الأصيلة في ضوء معطيات الدراسات اللغوية الحديثة، لنقف على ما تتميز به هذه الدراسات عند العلماء العرب من خصائص وسمات وما توصل إليه هؤلاء العلماء من درجة عالية من الدقة العلمية والمنهجية تضعهم على قدم المساواة في كثير مما توصلوا إليه مع ما توصلت إليه الدراسات اللغوية الحديثة من نتائج ونظريات.

إن إعادة قراءة هذا التراث اللغوي عند العرب أمر واجب على الدراسين والباحثين الغيورين من أبناء العربية في كل مكان وزمان، لتبقى هذه الأعمال منبعاً ثرياً، ومعيناً لا ينضب، وتأسيساً للدراسات اللغوية العربية المعاصرة، وإحياء لهذه الدراسات ولأصحابها الذين نهضوا بها على مدار الزمان.

ومن ثم، فقد حرصت أن أقدم هذا الكتاب الذي يطوف على هذه المكتبة العربية التراثية العامرة، وانتقيت من أعلامها علمين شامخين، الأول: اللغوي الألمعي الشهير: ابن جنى (ت ٣٩٥ هـ) وخصصت له دراسة في كتابه الهام: الخصائص بعنوان: «القيمة اللغوية لكتاب الخصائص لابن جنى، مع دراسة في مصادره وآرائه والثاني: اللغوي الشهير: أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) وخصصت الدراسة في كتابه: «الخصائص اللغوية في كتاب: «الخصائص اللغوية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة».

كما حرصت أن يشمل هذا الكتاب على معالجة قضية هامة أثارت تساؤلات العلماء قديماً وحديثاً، وهي قضية الاستشهاد بلغة الحديث النبوي الشريف، والأسباب التي أدت إلى عدم لجوء العلماء العرب الأوائل للاستشهاد بها، وجاءت تلك الدراسات تحت عنوان: «الاطراد والعدول في لغة الحديث النبوي الشريف - دراسة أسلوبية في الأصوات والأبنية والتراكيب».

كما يشمل هذا الكتاب أيضاً على قضية لغوية هامة، وهي المجازات المنسية في اللغة العربية.

يهدف البحث من خلالها أن يميط اللثام عن كثير من الألفاظ العربية، التي تحولت دلالاتها العربية القديمة، لتصبح في الاستعمال اللغوي العربي التراثي (الفصح واللهجي) بعد كثرة استعمالها وطول العهد بها دلالات حقيقية، وقد أفادت الدراسة من معطيات النظريات الدلالية الحديثة في تفسير هذه المجازات المنسية، والقرائن والعلاقات التي حولتها إلى استعمالات حقيقية في الواقع اللغوي الاستعمالي.

وبعد . . .

فأرجو أن تكون هذه البحوث والدراسات حول تراثنا اللغوي العربي، أعلامه وظواهره، قد قدمت جزءاً يسيراً من هذه المكتبة الزاحزة، وأن تحفز هذه الدراسة الدارسين والباحثين في الإقبال على تراثنا اللغوي العربي ودراسته في ضوء معطيات الدراسات اللغوية الحديثة.

والله الموفق إلى الرشيد والصواب

حسام البهنساوي

المبحث الأول

القضايا اللغوية في كتاب الصاحبى لابن فارس

في ضوء النظريات اللغوية الحديثة



القضايا اللغوية

في كتاب «الصاحبي» لابن فارس

في ضوء مناهج البحث اللغوي الحديث

مقدمة:

بعدُ كتاب «الصاحبي» في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) واحداً من المؤلفات اللغوية القيمة في تراثنا اللغوي العربي، فالكتاب يتضمن العديد من الموضوعات المتنوعة: منها ما يتعلق بعلوم اللغة بوجه عام، وأخرى تتعلق بفقه اللغة العربية، سواء ما يتصل منها بالدراسة النحوية والصرفية والصوتية، أم ما يتعلق منها بموضوعات تتصل بعلوم الأدب والبلاغة.

والكتاب على هذا النحو، يحتاج إلى دراسة علمية، تكشف عما يحتويه من قضايا هامة ودراسات لغوية مفيدة، تضع هذا الكتاب في مكانته العلمية اللائقة.

وهذه الدراسة التي ننهض بها، من عرض للقضايا اللغوية في كتاب «الصاحبي» لابن فارس، في ضوء المناهج اللغوية الحديثة، تهدف إلى إبراز القيمة العلمية لهذا الكتاب، فهو مؤلف لغوي قيم، ومؤلفه عالم لغوي جليل، من علماء العربية، يتسب إلى مدرسة الكوفة، وهو تلميذ لشيخ من شيوخها المشهورين، وهو أحمد بن يحيى (ثعلب) (ت ٢٩١ هـ) كما تتلمذ على ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) من علماء البصرة.

وأحمد بن فارس هو صاحب التصانيف والمؤلفات العديدة، التي تصل إلى حوالي سبعة وأربعين مؤلفاً، كما حصرها الأستاذ/ أحمد صقر محقق الكتاب.

والحق، إن هذه المؤلفات العديدة، تطوف بين ربوع المكتبة العربية والإسلامية فشمة مؤلفات في مجال الدراسات اللغوية، كهذا الكتاب «الصاحبي» الذي نعى بدراسته، ومنها - أيضاً - معجمان فريدان في منهجهما، وهما: «المجمل» و «المقاييس» جعل الترتيب فيها على حسب الأصل الأول للكلمة، وقد استحدث ابن فارس نظاماً يسمى: «نظام الدائرة» حيث إنه لا يعتبر حروف الهجاء وحدة ذات بداية هي الهمزة، ونهاية هي الياء، وإنما اعتبرها دائرة، تبدأ من أى حرف، لتنتهي عند الحرف الذي يسبق حرف البداية، وهكذا تدور الكلمات في الدائرة، ويمتاز كتاب «المقاييس» باشماله على فكرتين جديدتين في حركة التأليف المعجمي العربي، وهما فكرتا: الأصول والنحت، وهما فكرتان لغويتان جديرتان.

وثمة مؤلفات أخرى في مجال الدراسات الفقهية والشرعية، نذكر منها كتابه: «جامع التأويل في تفسير القرآن» وكتابه: «حلية الفقهاء» وكتابه: «فتاى فقيه العرب» وغيرها.

وثمة مؤلفات أخرى في مجال الدراسات الأدبية والبلاغية، نذكر منها كتابه: «تمام الفصيح» وكتابه: «آيات الاستشهاد» وكتابه: «ذم الخطأ في الشعر» وغير ذلك من المؤلفات المتنوعة.

أما كتاب «الصاحبي» فإنه يبدأ بمقدمة، ضمَّتها ابن فارس الهدف من

تأليفه هذا الكتاب وقد لخص هذا الهدف في عبارة موجزة، يقول فيها:
 «هذا الكتاب الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها»^(١) يذكر
 أن لعلم العرب أصلاً وفرعاً، وأن هدفه في هذا العمل، هو البحث عن
 أصول علم العربية، ويذكر بأن موضوعات كتابه هذا مثبتة هنا وهناك، بين
 ثنايا أعمال السابقين ومؤلفاتهم، وأن ما صنعه هو اختصار مبسوط أو بسط
 مختصر أو شرح مشكل، أو جمع متفرق»^(٢).

ويشتمل الكتاب على مائتين وستة عشر باباً وعنواناً، غير المقدمة،
 يبدأها بباب «القول على لغة العرب أتوقيف أم اصطلاح»^(٣) ويختمه بباب
 سماه «باب الشعر»^(٤).

وتتناول هذه الأبواب العديدة مجموعة من القضايا اللغوية القيمة
 والهامة، يقدمها البحث في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة:

(٢) انظر: الصاحبي ٥.

(٤) الصاحبي ٤٦٥.

(١) الصاحبي ٣.

(٣) الصاحبي ٦.

القضايا اللغوية في كتاب الصاحبى

قضية الأصل والفرع

وقد ذكرها ابن فارس في التمهيد، وهى من القضايا اللغوية الهامة، التى أصبحت مثار بحث ونقاش، لدى علماء اللغة المعاصرين.

يذكر ابن فارس «أن لعلم العرب أصلاً وفرعاً، أما الفرع، فمعرفة الأسماء والصفات، كقولنا: «رَجَلٌ وفَرَسٌ وطَوِيلٌ وقَصِيرٌ، وهذا هو الذى يبدأ به عند التعلم.

وأما الأصل، فالقول على موضوع اللغة وأوليتها ومنشئها، ثم على رسوم العرب فى مخاطباتها، ومالها من الاقتنان تحقيقاً ومجازاً»^(١) ثم يعقب على ذلك بقوله: «الناس فى ذلك رجلان: رجل شغل بالفرع، فلا يعرف غيره، وآخر جمع الأمرين معاً، وهذه المرتبة العليا»^(٢).

والحق، إن ابن فارس فى تقسيمه للعلم العربى، وتقسيمه للعلماء والباحثين على هذا النحو، إنما يتفق مع ما ينادى به العالم اللغوى الشهير: نعوم تشومسكى: N. Chomsky رائد النظرية التوليدية التحويلية، وفى أحدث مراحل نظريته، وهى المرحلة النموذجية الأكثر توسعاً، وما يرتبط بها من تعمق وتوسع فى نظرية العامل والاعتماد على المبادئ والأسس ومعايير التغيير (الباراميترات) فى نظرية النحو الكلى، حيث يتركز الهدف الرئيسى للباحث على تحقيق الكفاءة التفسيرية للغة، بدلاً من مجرد تحقيق الكفاءة الوصفية.

وينبغى منذ البداية، ألا يخفى علينا، أن ابن فارس، لم يرد أن يحدثنا

(١) الصاحبى ٢.

(٢) الصاحبى ٢.

عن قضية اللغة ومنشئها، وغير ذلك من قضايا الأصل كما ذكرها تشومسكى وهو يعنى بها: اللغة باعتبارها ظاهرة إنسانية، كما أنه لم يُرد من دراساته عن موضوعات تتعلق بالأصل، أن يتوصل إلى حقائق اللغة المعقدة، وعلاقتها بالنظم الإدراكية، والقدرات العقلية، كما هو الحال عند تشومسكى وغيره، فلم يزد ابن فارس عن مجرد الحديث عن اللغة العربية.

ونحن بدورنا لا نطالبه بأكثر من ذلك، ولم تكن نتطلع منه إلى أكثر مما قدم في هذا الزمان البعيد، الذى لم تكن تتوفر للعلماء فيه وسائل للبحث العلمى من تقنيات وتكنولوجيا ومناهج حديثة فى البحوث والدراسات.

إن تقسيم ابن فارس الباحثين إلى قسمين على النحو السابق، يتفق مع ما ذكره تشومسكى عن مراحل التطور فى البحث اللغوى، فثمة مرحلة الكفاءة الوصفية، التى ركز فيها الباحثون على مجرد الوصف والتحليل اللغوى للغة، التى أطلق عليها تشومسكى: اللغة المجسدة^(١).

أما مرحلة الكفاءة التفسيرية، فهى المرحلة التى تركزت فيها الدراسات والأبحاث على اللغة الميئة داخلياً، أى تفسير اللغة باعتبارها ظاهرة إنسانية ذات صلة بالقدرات العقلية والنظم الإدراكية والتكوينات والجينات الإنسانية^(٢).

(١) المعرفة اللغوية ٧٧ وما بعدها، حيث يذكر تشومسكى أن النحو فى الاستخدام الشائع، وصف للغة أو نظرية حولها: هو مادة يؤلفها اللغوى... وأن الدراسات اللغوية البنيوية، واللغويات الوصفية، وكذا علم النفس الإدراكى وغيرها من المداخل المعاصرة، قد اتجهت إلى تصور اللغة كمجموع من الأحداث أو المنطوقات أو الأشكال اللغوية (الكلمات والجمل) يزواج بينها وبين المعانى، أو كنظام من الأشكال أو الأحداث اللغوية.

(٢) انظر: المعرفة اللغوية ٨٢، حيث يذكر تشومسكى أن قضايا النحو، هى قضايا نظرية العقل =

قضية نشأة اللغة العربية:

وحول هذه القضية، نجد ابن فارس يتعصب للغة العربية، باعتبارها لغة القرآن الكريم، ولم يشأ أن يعالج هذه القضية معالجة مجردة، كما عالجها ابن جنى في كتابه: «الخصائص»^(١) وكما نقلها فيما بعد السيوطى في كتابه: المزهري في علوم اللغة وأنواعها^(٢).

يقرر ابن فارس أن لغة العرب توقيف وإلهام، ويسرهن على ذلك بقول الحق - سبحانه -: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١) ويرفض أن تكون اللغة العربية اصطلاحاً، ويذكر أنه لم يبلغه أن قوماً من العرب، في زمان

■ حول اللغة الميينة داخلياً، ومن ثم، فهي قضايا حول الدماغ/ الذكاء brain ثم تحديد صيغها في مستوى معين من التجريد عن الآليات، وهذه البنى أشياء محددة في العالم بخصائصها المحددة أيضاً... ويقول - أيضاً - إن مفهوم النحو الكلى حيث تفهم على أنها نظرية اللغات الإنسانية الميينة داخلياً، على أنه نظام من القيود مستقى من الموهبة البيولوجية الإنسانية، التي تحدد هوية اللغات الميينة داخلياً.

وقد ذكر تشومسكى هذه التصورات الخاصة بالكليات اللغوية المتعلقة بالوصول إلى دراسة الكفاءة التفهيمية في كتابه: «مظاهر النظرية اللغوية» Aspects of the theory of syntax, P 25 حيث ذكر أن دراسة الكليات اللغوية، هي دراسة سمات أي نحو توليدي للغة الطبيعية، وهي ترتبط إما بالمكون التركيبي أو الدلالي أو الفونولوجي وإما بالعلاقة المتبادلة بين هذه المكونات... وهو يقسم هذه الكليات إلى قسمين:

١- الكليات الصورية: التي تتعلق بإمحاء القواعد التي تظهر في الأنحاء المختلفة بالطريقة التي تترابط بها، وذكر من هذه القواعد: القواعد التحويلية.

٢- الكليات المادية وهي تهتم بالآليات الخاصة بوصف اللغة، كإقسام الكلمة والسمات الفونولوجية وما تشير إليه العناصر المعجمية في كل لغة طبيعية.

Aspects of the theory of syntax, p 28, 29.

(١) الخصائص ١ / ٤١ وما بعدها.

(٢) المزهري في علوم اللغة وأنواعها ١ / ٨ - ١٠.

يقارب زماننا، أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء، مصطلحين عليه، فكنا نستدل بذلك على اصطلاح قد كان قبلهم^(١).

ولم يكن ابن فارس وحده، هو الذي تعصب للغة العربية، فقد تعصب العلماء، في شأن اللغة الإنسانية الأولى، للغاتهم القومية أيضاً، وثمة أمثلة ونماذج عديدة تمتد بنا عبر فترات التاريخ البشري، قديماً وحديثاً، حول هذا التعصب^(٢).

وهذه القضية اللغوية، تُعدُّ من القضايا التي اختلفت فيها وجهات نظر العلماء اختلافاً كبيراً، حيث اتسمت فيها البحوث والدراسات بالعصبية الدينية والقومية من ناحية، وبالتخمين غير المبرهن من ناحية أخرى، ولم يتوصل فيها العلماء إلى نتائج حاسمة، وإجابات حول ماهية اللغة الإنسانية الأولى، ويذكر [ماريو باي] أنه، «فيما يختص بنشأة اللغة وطبيعتها، لدينا مصادر تعتمد على الأساطير والحديث المنقول، والمناقشات الفلسفية، ولكن تنقصنا الحقائق العلمية في هذا الصدد»^(٣).

وكما برهن ابن فارس في القول بأن اللغة العربية وحى وإلهام من عند الله تعالى مُدكلاً على قوله بآيات من القرآن الكريم، فإن علماء اليهود، يدللون على أن اللغة العبرية وحى وإلهام - كذلك - حيث استدلوا ببراهين نقلية، اقتبسوها من الكتب المقدسة، فيذكرون ما ورد في التوراة من قولها: «وجعل الربُّ الإله من الأرض، كل حيوانات البرية، وكل طيور السماء،

(١) الصاحبى ٨.

(٢) انظر: لغات البشر ١٩ واللغة، لغندريس ٣٤ ودلالة الألفاظ ٩ - ١١ والمدخل إلى علم اللغة ١٢٣ - ١٢٤.

(٣) لغات البشر ١٧.

فأحضرها إلى آدم، ليرى ماذا يدعوها، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها، فسمى آدم جميع البهائم، وطيور السماء وجميع حيوانات البرية^(١).

ونحن نرى أن ما ذكره ابن فارس، وغيره من العلماء، حول القول بأن اللغة الإنسانية وحى وإلهام، لا يستند إلى دليل نقلى أكيد، فلم يرد في آيات القرآن الكريم، بأن اللغة التي علمها الله - سبحانه وتعالى - لآدم عليه السلام، هي اللغة العربية، وكذلك الحال بالنسبة لما ورد في التوراة، حيث لم يرد في النص المنقول، ما يؤكد أنها اللغة العبرية أو غيرها، فلم يحدد لنا القائلون بهذه النظرية اللغة الإنسانية الأولى تحديداً تؤيده الأسانيد المنقولة، ولذا فإننا نجد العلماء، يذهبون في هذا الشأن مذاهب أخرى متنوعة، فهناك من العلماء من يقول بمذهب المواضعة والاصطلاح، حيث يرون أن اللغة من اصطلاح الإنسان ومواضعته^(٢)، وهؤلاء العلماء - أيضاً - لم يذكروا اللغة الإنسانية الأولى.

ويرى علماء آخرون أنها تقليد ومحاكاة لأصوات الطبيعة^(٣)، ويرى فريق آخر من العلماء، أن اللغة الإنسانية، نشأت في أول الأمر كتفيس عن النفس، أي أنها بدأت لغة انفعالية، تشبه مرحلة الأصوات الساذجة التلقائية الانبعاثية عند الطفل، ثم تأتي فيما بعد مرحلة الألفاظ والعبارات والجمل، وقد سخر من هذه النظرية «ماكس مولر» وكثير من العلماء، لأنها لم تبين

(١) سفر التكوين ٢ / ١٩ - ٢٠.

(٢) الخصائص ١ / ٤٤ - ٤٥.

(٣) الخصائص ١ / ٤٦ - ٤٧.

منشأ الكلمات الكثيرة، التي يمكن ردها إلى أصوات انفعالية، ولم تشرح السر في تحول الأصوات الانفعالية إلى ألفاظ وتراكيب^(١)، ويرى فريق آخر أن نشأة اللغة الإنسانية تعود إلى الاستعداد الفطري، ويتصر لهذا المذهب العالم الألماني: «ماكس مولر»^(٢) كما يقول العالم الألماني «جيجر» - Gei- ger بنظرية «الملاحظة» أي أن اللغة الإنسانية الأولى جاءت تعبيراً عما لاحظته الإنسان من أعمال وإشارات، أثارت انتباهه، فصدرت منه أصوات تلقائية، تعبر عن هذه الملاحظة^(٣).

ويرى فريق آخر القول بنظرية «التطور اللغوي» متأثرين في ذلك بنظرية التطور عند: دارون «Darwin» وقد قارن هؤلاء العلماء بين تطور اللغة عند الطفل واللغة عند الإنسان، وهم يقررون أن لغة الإنسان الأول، قد مرت بمراحل فطرية متعددة متتابعة، تتناسب مع مراحل النمو العقلي^(٤).

ويبدو من العرض السابق لهذه النظريات والمذاهب، أنها جميعاً، لم تجب عن السؤال: ما اللغة الإنسانية الأولى التي تكلم بها آدم عليه السلام؟.

قضية الخط العربي

يفرد ابن فارس لهذه القضية باباً، يرى فيه أن الخط العربي توقيف من عند الله - عز وجل - وأنه أقدم الخطوط، حيث يقول: «إن أسماء هذه

(١) انظر: المدخل إلى علم اللغة ١١٢ - ١١٤ .

(٢) انظر: المدخل إلى علم اللغة ١١٤ - ١١٦ .

(٣) انظر: المدخل إلى علم اللغة ١١٦ - ١١٧ .

(٤) انظر: المدخل إلى علم اللغة ١١٧ - ١١٨ .

الحروف، داخلة في الأسماء، التي أعلم الله - جل ثناؤه - أنه علمها آدم عليه السلام، وقد قال - جل وعز -: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن: ٤) فهل يكون أول البيان إلا علم الحروف التي وقع بها البيان؟ ولم لا يكون الذي علم آدم - عليه السلام - الأسماء كلها، هو الذي علمه الألف والياء والجيم والذال؟^(١) وهو يدافع عن قناعته في كون الخط العربي من أقدم الخطوط، حيث نسب بدايته إلى آدم عليه السلام، ويقول بدحض الحجج، التي تقول بأن الأعراب، لم يفهموا معنى الهمز والجر والكاف والذال بأننا لم نزعم بأن العرب كلها مدرراً ووبراً، قد عرفوا الكتابة كلها والحروف أجمعها، وما للعرب في قديم الزمان، إلا كنعن اليوم، فما كل يعرف الكتابة والخط والقراءة^(٢) كما يعقب على عدم فهم أبي حية النعيري لمدلول الحرف الأبجدي، بأن أبا حية، كان أمس، وقد كان قبله بالزمن الأطول، من يعرف الكتابة، ويخط ويقرأ...^(٣).

وليس من شك أن حب ابن فارس لهذه اللغة الشريفة، وتعصبه لها، باعتبارها لغة القرآن الكريم، قد دفعه إلى هذا الموقف، الذي لا يستند إلى الدليل العلمي والبرهان العقلي أو التقلي للحقائق اللغوية، فالمعلوم أن أقدم ما توصل إليه العلماء من تراث لغوي لحقائق اللغة العربية ونقوشها، هو ما يعرف بالنقوش الثمودية واللحيانية والصفوية، نسبة إلى قبائل ثمود ولحيان وهي قبائل عربية قديمة، استوطنت شمالي الجزيرة العربية^(٤).

(١) الصاحبي ١٢.

(٢) الصاحبي ١٢.

(٣) الصاحبي ١٢.

(٤) انظر: تاريخ اللغات السامية، لإسرائيل ولفنسون ١٧٨ - ١٨٧، وكنا: اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام، لأحمد حسين شرف الدين ٥٧ - ٦٧ وكنا: فصول في فقه العربية ٥٠ وما بعدها.

ويبدو أن الخط الذي كتب به هذه النقوش، يشبه إلى حد بعيد خطوط اللغة الفينيقية والمعينية: التي سماها العلماء العرب اللغة الحميرية، وهي لغة تكتب من الشمال إلى اليمين في الغالب، كما أنها خالية من رموز للحركات القصيرة والطويلة على السواء، وهو نفسه الخط المسند، الذي ذكره العلماء العرب^(١).

وفيما لو أحسنا الظن في أن هذه النقوش، تمثل اللغة العبرية في عصورها القديمة، ينبغي أنها لا تمتد في أعماق التاريخ، كما هو الحال في النقوش التي عثر عليها العلماء، في لغات أخرى سامية، كاللغة الأكادية - مثلاً - التي يرجع عمر نقوشها الزمني إلى ما يقارب ٢٣٥٠ عامًا ق.م. وقد قام العالم الإنجليزي «رولنسون» (Rawlinson) بحل رموز هذه النقوش في عام ١٨٤٧م^(٢)، وأما قصيدة: «دبورة» التي تمثل أقدم نصوص اللغة العبرية، فإنها ترجع إلى عصر الفتح، أي الألف الثانية قبل الميلاد، كما عثر العلماء على خطابات تسمى: «خطابات تل العمارنة» كتبت بلهجات كنعانية جنوبية، ترجع إلى حوالي ١٤٢٥ - ١٣٥٠ ق.م، أرسل بها أمراء سوريا وفلسطين إلى فراعنة مصر في ذلك الوقت، باللغة الأشورية، وبها تعليقات بالكنعانية^(٣).

ومعلوم - أيضاً - أن الأبجدية العبرية، ترجع في أصولها الأولى إلى الخط النبطي، الذي كان منتشرًا في شمالي شبه الجزيرة العربية، في منطقة

(١) انظر: فصول في فقه العربية ٥٠ وما بعدها.

(٢) انظر: فصول في فقه العربية ٢٦، وانظر ما أورده الهمداني من أمثلة في الاكليل ١٠ / ١٦.

(٣) انظر: فصول في فقه العربية ٢٨، ٣٠.

الحيرة والأنبار، قبل مجيء الإسلام وهؤلاء النبط من الأقوام السامية، التي كانت تتكلم لهجة آرامية، من تلك التي كانت شائعة في كل من سوريا والعراق، وقد اشتق هؤلاء النبط خطوط أبجديتهم من الخط الفينيقي، وهذا الخط الفينيقي أفادت منه كثير من شعوب العالم القديم، بعدما أحدثوا فيه بعض التغييرات على مر الزمان^(١).

أفضلية اللغة العربية على غيرها من اللغات:

تعبّر هذه القضية، التي أثارها ابن فارس عن موقفه الثابت من تعصب وحب لهذه اللغة المقدسة، باعتبارها لغة القرآن الكريم، فهي القلب والوعاء، الذي صبّت فيه آيات الذكر الحكيم، بما يشتمل عليه من فصاحة وبيان وإعجاز، ومن ثم تأتي قناعة ابن فارس، حيث يقول: «فلما خص - جل ثناؤه - اللسان العربي بالبيان، علم أن سائر اللغات قاصرة عنه، وواقعة دونه»^(٢) ونحن نتفق مع ابن فارس كل الاتفاق من هذه الوجهة، وأن الله - سبحانه وتعالى - قد اختار هذه اللغة العربية الشريفة، دون سائر اللغات الإنسانية على كثرتها، وقدرتها كثير منها على الإبانة والفصاحة، حيث كانت هناك لغات حية معاصرة لعهد نزول الوحي الأمين على الرسول محمد (ﷺ) بالقرآن الكريم، وكانت لهذه اللغات مكانة وشأن وفكر وأدب رفيع، كاللغة اللاتينية واللغة الفارسية وغيرها، وقد أفادت اللغة العربية من هذه اللغات المحيطة بها في عصورها المختلفة، سواء أكان ذلك قبل الإسلام أم بعد الإسلام.

(١) انظر: فصول في فقه العربية ٣٩٨.

(٢) المصاحي ١٦.

لكن ابن فارس ينطلق من هذه القناعة إلى الحكم على جميع اللغات غير العربية بالقصور والعجز والعي عن الإفصاح والبيان والبلاغة وغيرها من التعبيرات المجازية العديدة، فهو يقول: «فإن قال قائل: فقد يقع البيان بغير اللسان العربي، لأن كل من أفهم بكلامه على شرط لغته فقد بين، قيل له: إن كنت تريد أن المتكلم بغير العربية، قد يعرب عن نفسه، حتى يفهم السامع مراده، فهذا أحسن مراتب البيان، لأن الأبكم قد يدل بإشارات وحركات له على أكثر مراده، ثم لا يسمى متكلمًا، فضلاً عن أن يسمى بيتًا أو بليغًا، وإن أردت أن سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربية، فهذا غلط، لانا لو احتجنا إلى أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية، لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد، ونحن نذكر للسيف صفات كثيرة، وكذلك الأسد والفرس وغيرها من الأسماء المسماة بالترادف»^(١) ويتساءل ابن فارس مندهشًا، فيقول: «فأين هذا من ذاك؟ وأين لسائر اللغات من السعة واللغة العرب؟ هذا ما لا يخفاء به على ذي نهيبة»^(٢).

ونحن هنا لا نتفق مع ابن فارس في القول بأفضلية لغة على أخرى، ومن هذه الوجهة، نحن نتفق معه في أن اللغة العربية الفصحى، هي وحدها اللغة المؤهلة، لأن تكون قالبًا لآيات الذكر الحكيم، ولكننا لا نقبل منه القول، بأن اللغات الأخرى، غير العربية، لا تملك عناصر الفصاحة، ومقومات البلاغة والمجاز وأدواتها.

إن دعوى القول بوجود لغات متحضرة «Civlized language» ولغات بدائية «Primitive language» هي دعوى مرفوضة من قبل علماء اللغة

(١) الصاحبي ١٦ - ١٧.

(٢) الصاحبي ١٧.

المعاصرين، فليس هناك ما يطلق عليه باللغة المتقدمة واللغة المتخلفة، حيث يقرر هؤلاء العلماء، أن الثروة اللفظية لأية لغة من اللغات، قادرة على تصوير المعتقدات والتقاليد والحضارة السائدة في المجتمع الذي يستعملها^(١)، وبناءً على ذلك، فإنه لا يمكن القول بأن هناك لغة ما بدائية أو أكثر تقدماً عن لغة أخرى^(٢) بل إننا في ضوء هذه الحقيقة، يمكننا أن نقرر أن الفرق بين أي لغة بدائية، وأخرى متحضرة، لا يمكن بحال أن يزيد عن الفرق بين لغتين بدائيتين، أو بين أي لغتين متحضرتين^(٣).

نحن لا ننكر تأثيرات البيئة والمجتمع على اللغة، وأن هناك تفاوتاً بين طبقات المجتمع اللغوي، وقد ذكر [ماريوي] بأنه «من المسلم به أن اللغة تتغير تبعاً للطبقة، التي تتحدث بها، وقد صرح بعض هواة اللغويات في بريطانيا، بأن هناك نوعين من اللغة، أحدهما وقف على الطبقة الراقية، ولا يمتد استعمالها إلى الطبقة الدنيا، وهناك لغات تصل الفوارق الطبقيّة فيها، إلى أبعد من ذلك، فهناك - مثلاً - ثلاثة أنواع للغة (جاوا) أحدها يتحدث به أهل الطبقة الدنيا، ويسمى: نجوكو Ngoko والآخر تستخدمه الطبقة الراقية، ويسمى: كراما Krama وثالث، لتسهيل عملية التفاهم بين الطبقتين، ويسمى: ماديا Madya وتحدث أفراد الطبقة الراقية في بعض التمثيليات الهندية القديمة: اللغة السنسكريتية، على حين يتحدث أفراد الطبقة الدنيا، اللغة البراكريتية»^(٤).

(١) انظر: اكتساب اللغة ١٢.

(٢) انظر: نظرية تشومسكي اللغوية ٤٨ - ٤٩.

(٣) نظرية تشومسكي اللغوية ٤٩.

(٤) لغات البشر ٨٢ - ٨٣.

وليس معنى ذلك، أن ثمة تقدماً وامتياراً للغة في مقابل لغة أخرى، فالتقدم والتخلف، إنما هو للأمم والشعوب، وليس للغات، فالشعوب البدائية والنامية، لها لغاتها، التي تعبر بها عن معتقداتها وأفكارها، ومن العجيب أن تجد الثروة اللفظية لهذه الأمم البدائية، قد لا يكون لها مقابل في اللغات الأخرى للأمم المتقدمة، وأنه يصعب ترجمها أو نقلها، وتبقى لها خصوصيتها وتفردتها^(١).

ففي مجال دلالة الألفاظ - مثلاً - نجد في حقل القرابة، في إطار نظرية الحقول الدلالية، فإن اللغة العربية تستخدم لفظة: «عم» للدلالة على القرابة من جهة الأب ولفظة «خال» للدلالة على القرابة من جهة الأم، وكذلك الحال في كلمة: «عمة» وكلمة: «خال» بينما نجد اللغة الإنجليزية، تستخدم كلمة واحدة وهي: uncle للدلالة على القرابة في كل من: العمومة والخوولة من الرجال، وكلمة: aunt للدلالة على القرابة في كل من العمومة والخوولة من النساء، كما أن اللغة العربية تستخدم كلمة: «الأبوة» لعلاقة القرابة الخاصة بالرجل، وكلمة: «الأمومة» لعلاقة القرابة الخاصة بالمرأة، بينما نجدها كلمة واحدة للدلالة على العلاقتين في اللغة الإنجليزية، وهي كلمة «Parenthood».

ولا يدلنا هذا الاختصار والاقتصاد في اللغة الإنجليزية، في دلالات الألفاظ السالفة على انكماش علاقات القرابة، أو على عدم إدراكهم للفروق التي ندركها نحن في اللغة العربية، فعلاقات القرابة معروفة هي الأخرى عندهم ومحددة، بيد أن مدلول اللفظة الواحدة، يتخطى حدود منطقة قرابة

(١) انظر تفصيلات ذلك في: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٢١٨ - ٢٢٣.

إلى حدود منطقة قرابة أخرى، وليس هذا خروجًا على المؤلف اللغوي عندهم، وإنما هو اتفاق البيئة اللغوية على ذلك.

وفي هذا المقام، يقدم لنا «جليسون» الألفاظ الدالة على معنى ألوان الطيف في بعض اللغات، حيث يتأكد لنا اختلاف اللغات عن بعضها في مدلولات الألوان.

ففي اللغة الإنجليزية، تتكون الألفاظ الطيف من المفردات الآتية: كلمة: Red بمعنى: الأحمر وكلمة: Orange بمعنى البرتقال، وكلمة: Yellow بمعنى الأصفر، وكلمة: Green بمعنى الأخضر، وكلمة: Blue بمعنى الأزرق، وكلمة: Brown بمعنى البني، ومجموعها ستة ألوان مختلفة، في حين تقسمه لغة السونا (لغة روديسيا) إلى ثلاثة أقسام فقط، وتقسمه لغة الباسا (ليبيريا) إلى قسمين اثنين فقط.

وهذا التقسيم قائم على أساس دلالة الألفاظ على معانيها، فالإنجليزية تقسم ألوان الطيف إلى ستة ألوان، لأن الإنجليز يرون فروقًا معينة بين مدلولات كل لفظة على معنى، يختلف عن دلالة اللفظة الأخرى، في حين نجد لغة السونا أو لغة الباسا تدل فيها اللفظة الواحدة على أكثر من لون، وليس معنى ذلك أن اللغة الإنجليزية أكثر دقة في التعبير، أو أن متكلميها يدركون فروقًا من الألوان، أكثر من غيرهم، فالأمر يرجع إلى قدرة الألفاظ في التعبير عن معنى في لغة، وقصرها على معنى محدود في لغة أخرى، فيما يطلق عليه بالتنظيم الدلالي للغات، وليست اللغات الإنسانية على سواء.

فى تنظيماتها الدلالية، فلكل لغة مقياسها ومعاييرها، التى تختلف عن غيرها من اللغات، بل قد تختلف فى اللغة الواحدة، عبر عصورها المختلفة^(١).

الألقاب اللهجات العربية:

يتناول ابن فارس هذه القضية فى «باب اللغات المذمومة»^(٢) حيث يستعرض بعض هذه الألقاب، كالثلثة والعننة والكسكة والعجعة والشنينة، وإن لم يسمها جميعها، إلى جانب ما ذكره من تغيرات فى بعض الأصوات، مثل قلب الباء فاء، وكصوت الجيم القاهرى (گ) أى الجاف الفارسية، وغيرها.

ويرى ابن فارس أن هذه اللغات، وإن جعلها من اللغات المذمومة، غير أنها تُعدُّ لغات للقوم، حيث يقرر فى باب اختلاف اللغات بأن هذه التنوعات اللهجية، إنما هى فحسب تنوعات فى إمكانيات النطق عند القبائل العربية، وأن الأمر لا يتعلق بتمييز لغة على لغة^(٣)، حيث يقول بأن «كل هذه اللغات سمات منسوبة إلى أصحابها... وهى وإن كانت لقوم دون قوم، فإنها لما انتشرت تعاورها كل»^(٤) وهو يمثل لذلك فى باب سماه: «باب القول على اختلاف لغات العرب»^(٥) بل نجده يصرح فى «باب اللغات المذمومة» قائلاً: «ونحن وإن كنا نعلم أن القرآن نزل بأفصح اللغات، فلسنا ننكر أن تكون لكل قوم لغة، مع أن قحطان، تذكر أنهم العرب العاربة، وأن سواهم

(١) انظر تفصيلات أخرى فى: أسس علم اللغة، لعاريو باى - ترجمة د/ أحمد مختار عمر ط ٢٦ - ٧٤.

(٢) الصحاحى ٣٥.

(٣) انظر: الصحاحى ٣٧.

(٤) الصحاحى ٣١.

(٥) الصحاحى ٢٨ - ٣٢.

العرب المتعربة^(١) كما يعلق على من زعموا بأن ولد إسماعيل - عليه السلام - يعدون ولد قحطان بأنهم ليسوا عربياً، ويحتجون عليهم بأن أنسابهم الحميرية، فيقول: «فليس اختلاف اللغات قادحاً في الأنساب»^(٢).

والحق، فإن ابن فارس فيما سلف، لا ينكر صحة ما ذكره من اللغات أو اللهجات المتنوعة، التي أوردتها كتب اللغة الأخرى باعتبارها ضرباً من اللحن والانحراف عن المستوى الصوابي للغة العربية الفصحى، وقد آلفت العديد من الكتب التي تحمل عناوينها عبارات: «لحن العامة» أو «لحن العوام» أو «ما تلحن فيه العامة» ونحو ذلك من المسميات، التي تحكم على هذه اللهجات بالتخلفة واللحن في قواعدها.

وابن فارس في هذا السبيل، يتفق مع وجهة نظر المدرس اللغوي الحديث، في النظر إلى هذه اللهجات واختلاف قواعدها عن قواعد اللغة الفصحى، باعتبارها تمثل مستويات لغوية ذات كيان، قد تقترب في خصائصها أو تبتعد عن اللغة الفصحى بقدر ما يتمسك متكلموها بخصائص اللغة الأم، أو بقدر انفكاكهم وابتعادهم عنها.

فاختلاف هذه اللهجات وابتعادها في خصائصها عن اللغة الأم، التي تنسب إليها، لا يقدح أو يقلل من قيمتها وصحتها وسلامتها.

وتعلل الدراسات اللغوية الحديثة، في ضوء قوانين التطور اللغوي، لما يحدث من تغيرات لهذه اللهجات، على كافة مستويات التحليل اللغوي، الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

(١) الصاحبي ٣٨.

(٢) الصاحبي ٣٨.

وفي ضوء هذه القوانين يمكننا أن نلقى الضوء، على الظواهر اللهجية، التي أوردها ابن فارس.

ظاهرة العننة:

ويقصر ابن فارس هذه الظاهرة اللهجية على قبيلة تميم فقط، حيث يقول: «أما العننة التي تذكر في تميم، فقلبيهم الهمزة في بعض كلامهم عينا، يقولون: «سمعت عن فلانا قال كذا» يريدون: «أن» وروى في حديث قبلة: «تحسب عنى نائمة» قال أبو عبيدة: أرادت: تحسب أني، وهذه لغة تميم، قال ذو الرمة:

أَعَنُ تَرَسَّمْتُ خِرْقَاءَ مَنزَلَةٍ

مَاءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنِكَ مَسْجُومٌ

أراد: «آن» فجعل مكان الهمزة عينا^(١).

والعننة تعزى إلى قيس وأسد، ومن جاورهم، وقد سماها البلوى: «عننة قيس» وذكر أن قارئهم قرأ: «فعمسى عن يأتي بالفتح» يريد: أن يأتي بالفتح^(٢).

وقد اختلف العلماء حول تحديد ماهية هذا اللقب، ومواضع حدوثه^(٣). ويمكن تفسير هذه الظاهرة في ضوء قوانين التطور اللغوي، حيث تحول صوت الهمزة إلى صوت العين، بسبب القرابة المخرجية، فصوت

(١) الصاحبي ٣٦.

(٢) ألف باء للبلوى ١ / ٤٣٢، والعين ٣١.

(٣) انظر آراء كل من: السيوطي في: الاقتراح ١٠٠ والمزهر ١ / ٢٢١ وابن منظور في اللسان ١١ / ١٦٤ والمبرد في الأمل ٢ / ١٩٠ والسيوطي في الأمل ٢ / ٧٩، والإبدال لأبي الطيب ٢ / ٥٥٥ والكامل للمبرد ١ / ٢٥ والخليل في العين ١ / ١٤٠.

العين الحلقى، قريب من مخرج الهمزة الحنجري، غير أن العين من الأصوات الاحتكاكية، في حين نجد الهمزة من الأصوات الانفجارية، وتحول الأصوات وتغيرها يكون عن طريق القرابة المخرجية أو الاتفاق في الصفات الصوتية أو في كليهما معاً.

ويرى «أنوليتمان» أن هذه الظاهرة عريقة في اللغات السامية، وأنه سمع أهل الحبشة يقولون: نجح «haba» عوضاً عن: نجبا «haba»^(١) بينما يقرر «رايين» «بأنه من الصعب جداً القطع بما إذا كان النطق بالهمزة أو بالعين أصبغ من الآخر»^(٢) حيث إنه ليس هناك نظائر مماثلة في اللغات السامية بين «أن» وحرف الجر «عن» فهو يقول أيضاً «أن» المصدرية، وحرف الجر: «عن» ليس له مقابل في اللغات السامية الأخرى، حتى يمكن بمقارنتهما معه الوصول إلى الأصل، وقد تفسر «أن» بأنها «عن» سقط منها الاحتكاك البلعومي، فصارت العين همزة^(٣).

ظاهرة الكسكة:

وقد نسبها ابن فارس إلى قبيلة ربيعة^(٤) حيث يقول: «وكذلك الكسكة التي في ربيعة، إنما هي أن يصلوا بالكاف سيناً، فيقولون: «عليكس»^(٥) ومن الواضح أن ابن فارس يقصد بالظاهرة على إلحاق الكاف المؤنثة سيناً، أما ثعلب، فقد نسبها إلى هوازن^(٦) ونسبها الفراء إلى قبيلتي ربيعة ومضر^(٧) وقد

(٤) انظر: مجلة كلية الآداب، مجلد ١٠ ط ١ مقال: أنوليتمان، سنة ١٩٤٨م.

(٢) اللهجات العربية الغربية ٢٣١. (٣) اللهجات العربية الغربية ٢٣١.

(٤) الصاحبى ٣٤. (٥) الصاحبى ٣٦.

(٦) مجالس ثعلب ١ / ١١٦ ومخزاة الأدب ٤ / ٤٩٥.

(٧) الاقتراح ٨٣ والمزهر ١ / ٢٢١ والصاحبى ٥٣.

اتفق السيوطي مع الفراء في نسبتها إلى ربيعة ومضر^(١)، ونسبها الفيروز
ابادي إلى قبيلة تميم، لا لبكر، وهكذا اختلف العلماء حول نسبة الكسكة
إلى قبيلة بعينها، واختلفوا كذلك حول ماهية الكسكة^(٢).
ظاهرة الكشكشة:

يقول ابن فارس: «وأما الكشكشة التي في أسد، فقال قوم: إنهم يدلون
الكاف شيئاً، فيقولون: «عَلَيْش» بمعنى: عليك، ونشدون:
فَعَيْنَاش عَيْنَاهَا وَجِيدَش جِيدَهَا

ولونشٍ إلا أنها غير عاطل

وقال آخرون: بل يصلون بالكاف شيئاً، فيقولون: «عليكش»^(٣).

يرى ابن فارس إذن أن الكشكشة تكون في قلب الكاف شيئاً، سواء
أكانت للمذكر، كما في المثال: «عليش» بمعنى: عليك، أم كانت الكاف
للمؤنث، كما هو الحال في بيت ذي الرمة، كما يرى أنها تكون في إلحاق
الكاف شيئاً، ويبدو من مثاله، أنه يدل على كاف المؤنثة.

وقد اختلفت وجهات نظر العلماء حول نسبتها من جهة، وحول ماهيتها
من جهة أخرى^(٤).

(١) المزهر / ١ / ٢٢١.

(٢) انظر تفصيلات اختلاف وجهات نظر العلماء حول ماهية الكشكشة في: فقه اللغة للشمالي
١٧٣ والكامل، للمبرد / ٢ / ٢٣ والخزانة / ٤ / ٦٩٦ والعقد الفريد / ٢ / ٤٧٧، والنهاية لابن
الأثير / ٤ / ١٧٤ والامالي لابي الطيب / ٢ / ٢٧ ومحاضرات الأدباء / ١ / ٦٣ والاقتراح ٨٣
والمزهر / ١ / ٢٢١ والخصائص / ٢ / ١٢ وصر صناعة الإعراب / ١ / ٢١٤ وخزانة الأدب / ٤ /
٤٩٥ والكتاب ليويه / ٢ / ٢٩٥.

(٣) الصاحبي ٣٥.

(٤) انظر تفصيلات ذلك في: الاقتراح ٨٣ والمزهر / ١ / ٢٢١ والخصائص / ٢ / ١١ وصر صناعة =

والحق، فإن القبائل التي نسبوا إليها الكشكشة، هي قبائل متجاورة، متقاربة في النسب، أو متخالطة عن طريق الحروب فيما بينها، كما هو الحال بين تميم وبكر، ولاشك أن هذه العوامل تساعد على تأثير بعضهم في بعض.

والكشكشة عبارة عن إبدال كاف المؤنثة في الوقف شيئاً أو إلحاقها شيئاً^(١)، وقد ذكر العلماء للكشكشة صوراً ثلاثة هي:

١- إثبات الشين في حالة الوقف، وهي الصورة الأكثر شيوعاً.

٢- إثبات الشين في حالة الوصل.

٣- قلب الكاف شيئاً في حالة الوصل أو تسكينها في حالة الوقف^(٢).

وأما وجهات نظر العلماء المحدثين، في تفسير ظاهرتي الكسكسة والكشكشة في ضوء البحث اللغوي الحديث فهي ترى أن تقييد العلماء العرب القدامى للظاهرتين بكاف مكسورة، يُعدُّ أمراً تسوغه القوانين الصوتية، وأما تقييدهم للظاهرتين بكاف المؤنثة، فهو يتناقض مع ما ورد في حالة المذكر من أمثلة.

ويمكن تفسير الظاهرتين في ضوء قانون الأصوات الحنكية، حيث أن أصوات وسط الحنك، كالكاف والجيم الخالية من التعطيش، تميل

= الإصراب ١ / ٢٣٥ وخمزة الأدب ٤ / ٥٩٤ والإبدال لأبي الطيب ٢ / ٢٣٠ والكامل للمبرد ٢ / ٢٢٣ والعقد الفريد ٢ / ٤٧٧ والكتاب ٢ / ٤٩٥ وجمهرة اللغة ١ / ١٥٣ وآلف به للبلوي ٢ / ٤٣١.

(١) فصول في فقه العربية ١٤٢.

(٢) انظر تفصيلات هذه الحالات في: الكتاب ٢ / ٢٩٥.

بمخرجها إلى نظائرها من أصوات أمامية، حين يليها صوت لين أمامي كالكسرة لأن صوت اللين الأمامي في مثل هذه الحالة، يجتذب إلى الأمام قليلاً أصوات أقصى الحنك، فتقلب إلى نظائرها من أصوات الحنك^(١).

ويتحقق هذا القانون على الظاهرتين، فإنه تتحول الكاف المكسورة إلى صوت مزدوج، وهو: «تس» وهذه هي الكسرة أو: «تش» وهذه في الكشكشة والصوت الأول يوجد في الألمانية، في مثل: leipzig (ليتسج) والثاني يوجد في الإنجليزية في مثل: «Children» بمعنى: (أولاد)^(٢).

وقد أحس بعض العلماء العرب القدامى هذا التحول الأزواجي لصوت الكاف وفي ذلك يقول ابن دريد: وإذا اضطرت الذي لفته، قال: جيدش وغلأمش، بين الجيم والشين إذا لم تنهياً له أن يفرد^(٣)، كما يقول البلوي: «ومن العرب من يلفظ بهذه الكاف بين الجيم والشين، وذلك من اللغات المرغوب عنها، لما لم ينهياً له أن يفرد الجيم ولا الشين»^(٤).

ظاهرة العجمية:

وهذه الظاهرة لم يسمها ابن فارس، حيث يقول: «وكذلك الياء التي تجعل جيماً في النسب، يقولون: «غلامج» أي: غلامى، وكذلك الياء المشددة تحول جيماً في النسب، يقولون: «بصرج» و «كوفج» قال الراجز:

* خالى عويف وأبو علج *

* المطعمان اللحم فى العشج *

(١) فى اللهجات العربية ٨٨ - ٨٩.

(٢) فصول فى فقه العربية ١٤٦، وانظر تفصيلات حول الظاهرتين ١٤٥ - ١٥٠.

(٣) جمهرة اللغة ١ / ٥. (٤) ألف بيا للبلوى ٢ / ٤٣٢.

* وبالغداة فليق البرنج^(١) *

وقد اختلف العلماء حول الياء التي تقلب جيمًا، وهل هي الياء الخفيفة، أو هي الياء المشددة، كما نصَّ على ذلك ابن فارس^(٢).

وثمة علماء آخرون، يشترطون لهذه الظاهرة، وجود العين في الكلمة التي تقلب ياؤها جيمًا، يقول ابن منظور: «العجعة في قضاة، كالعننة في تميم، يحولون الياء جيمًا مع العين^(٣) كما يشترط ذلك الجوهري - أيضًا - في قوله لحدوث هذا القلب في قضاة، أن تجمع مع العين^(٤)».

والحق، فإننا أمام ظاهرة تعددت فيها الروايات حول كيفية حدوثها من جانب وحول نسبتها إلى قبائل متنوعة من جانب آخر.

ويذكر د/ أنيس: أن الياء المخففة، لم تكن خفيفة باعتبارها كسرة طويلة، عند من يقلبونها جيمًا، وإنما كانت ياء صامتة، حيث يقفون عليها بالتضعيف، «ويظهر أن العلماء فيما ساقوا من أمثلة، لم تكن في نطق القضاة ياء مد، بل كانت صوتًا ساكنًا، حتى يمكن أن نتصور قلبها إلى جيم^(٥)».

وهذه الملاحظة تنفق مع القوائين الصوتية، التي تسوغ حدوث هذا القلب، فلا بد لهذا القلب وغيره، أن يكون بين أصوات صامتة، أو بين أصوات متحركة، وليس بين أصوات صامتة وأصوات متحركة، وبدون ذلك،

(١) الصاحبى ٤٧.

(٢) انظر تفصيلات حول اختلاف وجهات نظر العلماء في الإبدال، لأبي الطيب ١ / ٢٦٠ والمزهر

١ / ٢٢٢ والاقتراح ٨٣ وشرح شواهد الشافية ٢ / ١١٢ والنواصر ١٦٤.

(٣) السات ٢ / ١٤٤. (٤) التصريح ٢ / ٣٦٧.

(٥) في اللهجات العربية ٧٨ - ٧٩.

لا تتصور حدوث هذا القلب، «فالذي يقلب إلى الصوت الصامت، هو صوت مثله، ولم نعهد ذلك في حركة قصيرة كانت أو طويلة»^(١).

ومن ثم، فإن قلب الياء بصورتها: الخفيفة باعتبارها صوتًا صامتًا، والياء المشددة، التي هي صوت صامت بطبيعتها، يُعدُّ من الأمور التي تقرها القوانين الصوتية، فالياء والجيم، ينطقان من مخرج واحد، وهو الغار (الحنك الصلب) كما أنهما يتفغان في صفة الجهر، وليس بينهما خلاف، سوى أن الجيم الفصيحة صوت مزدوج (يجمع بين الشدة والرخاوة) في حين يعد صوت الياء من الأصوات الرخوة، وما تزال ظاهرة والعجعة مستمرة في اللهجات العربية الحديثة في جنوبي الجزيرة العربية^(٢)، وفي لغة تيجرا Tigra في بلاد الحبشة الشمالية^(٣).

ظاهرة التثنية:

يذكرها ابن فارس دون تسميتها في «باب اختلاف لغات العرب»^(٤) حيث يقول: «اختلاف لغات العرب من وجوه: أحدها، الاختلاف في الحركات، كقولنا: «نستعين» و «نستعين» بفتح النون وكسرها، قال الفراء، هي مفتوحة في لغة قريش وأسد، وغيرهم يقولونها بكسر النون»^(٥) كما ذكرها في «باب القول في أفصح العرب»^(٦) حيث يقول: «ولا يكسر الذي نسمعه من أسد وقيس، مثل: «تعلمون» و «نعلم» مثل: «شعير» و «بعير»^(٧).

(١) فصول في فقه العربية ١٣٢.

(٢) محاضرات د/ ناجي في معهد اللغات سنة ١٩٧٢م.

(٣) مجلة كلية الآداب ١٠ / ١ ص ٣٦.

(٥) الصاحبي ٢٨.

(٤) الصاحبي ٢٨.

(٧) الصاحبي ٣٤.

(٦) الصاحبي ٣٤.

والتلثة عبارة عن كسر حرف المضارعة، وهي تنسب إلى قبيلة بهراء،
 ويعزوها صاحب اللسان إلى عديد من القبائل العربية، يقول ابن منظور:
 «وتعلم بالكسر، لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب، وأما أهل
 الحجاز، وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل، فيقولون:
 تعلم، والقرآن بها، وزعم الأخفش أن كل من ورد علينا من الأعراب، لم
 يقل إلا: تعلم بالكسر»^(١).

ويذكر [رايين] أن قبيلة أسد التي ذكرها الفراء وأبو عمرو على أنها من
 القبائل التي تفتح حرف المضارعة، ليست كذلك، ولكنها قبيلة: «أزده» التي
 تفتح حرف المضارعة، وأن قبيلة طيء تكسر حرف المضارعة، لأنها تأثرت
 في ذلك بقبيلة قضاة التي تأثرت بدورها بالمناطق الكنعانية، التي تمثل
 الكسرة حرف المضارعة للغائب المفرد، في كل من اللغات العبرية
 والآرامية الغربية والأوجرايتية^(٢).

ولعل التناقض في روايتي ابن فارس السالفتين، حيث ذكر أن قريشا
 وأسد، ممن يفتحون^(٣) ثم ذكر بأن أسداً وقيس ممن يكسرون^(٤)، لعل هذا
 التناقض، يرجع إلى التصحيف، وليس إلى الرواية ذاتها!

وقد حدد بعضهم مواضع كسر حرف المضارعة فيما عدا الياء في ستة
 مواضع، ومواضع كسرهما بما فيه الياء في ثلاثة مواضع^(٥).

(١) اللسان (وقر) ٢٠ / ٢٨٣.

(٢) انظر: اللهجات العربية الغربية ١٥٥ - ١٦٦.

(٣) انظر: الصاحبي ٢٨. (٤) انظر: الصاحبي ٣٤.

(٥) اللهجات العربية في التراث... القسم الأول ٣٨٨ - ٣٩٦.

وظاهرة التثنية، تعدُّ من الظواهر السامية القديمة، حيث توجد في اللغة العبرية والسريانية والحبشية، ولعل كسر حرف المضارعة، كان هو الأصل في اللغة العربية الفصحى قديماً - أيضاً - يدلل شيوخ الكسر في اللهجات العربية القديمة، فيما عدا قبيلتي قريش وأزد واستمر شيوخ هذا الكسر في اللهجات العربية الحديثة، كما ورد استعمال الفعل «إدخال» بمعنى: «أظن» بالكسر في الاستعمال العربي الفصيح في أشعار فصيحة، وأن ذلك على هذا النحو يُعدُّ من بقايا الظاهرة القديمة، التي كانت سائدة، قبل أن تموت، فيما يسمى بالركام اللغوي للظواهر المنتثرة في اللغة^(١).

ثمة ظواهر صوتية أخرى، ذكرها ابن فارس في «باب القول في اختلاف لغات العرب»^(٢) منها:

١- تسهيل الهمزة:

حيث جعلها ابن فارس أعمق الأصوات العربية مخرجاً، متفقاً في ذلك مع ما صنعه سيبويه وابن جنى، فهو يقول: «في أول الحروف، الهمزة والعرب تنفرد بها في عرض الكلام» ولا يكون في شيء من اللغات إلا ابتداءً^(٣).

والحقُّ، فإن هذا الحكم الذي أصلره ابن فارس، كان يحتاج إلى أن يتقصى عدداً من اللغات، ليتحرى الدقة في إصدار الأحكام، وهذا ما لم

(١) انظر: بحوث ومقالات في اللغة ٥٨، ٢٦٥ - ٢٦٨ وكنا: فصول في فقه العربية ١٢٥ - ١٢٦.

(٢) الصاحي ٢٩.

(٣) الصاحي ١٢٣ - ١٢٤.

يفعله ابن فارس، بل إن مقارنته بين العربية وأخواتها الساميات تؤكد غير ذلك، ففي اللغة الحبشية «فإن الهمزة لا تسقط فيها في أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها، مثل: «ana» (أنا) في أول الكلمة و «malā>ekt» (ملائكة) في وسط الكلمة و «naš>a» (رَفَع) في آخر الكلمة^(١) وكذلك نجد أن الهمزة تنطق في اللغتين العبرية والآرامية، في وسط الكلمة، في مثل: «šā» بمعنى (سأل) في اللغة العبرية وكذا: «ka>em» بمعنى: (قام) في اللغة الآرامية^(٢) بل ياننا نجد رمزاً لهمزة مكتوباً في اللغتين العبرية والآرامية في وسط الكلمة أو في آخرها، على الرغم من عدم وجوده في النطق، مثال ذلك: كلمة: «rā>š» بمعنى: رأس وكلمة: «bāra» بمعنى: برأ في وسط وآخر الكلمة في اللغة العبرية: ومثال: كلمة «birā» بمعنى (بئر) في وسط الكلمة، وكلمة: «htā» (أخطأ) في آخر الكلمة، في اللغة الآرامية^(٣).

وأما قوله: «ومن ذلك الاختلاف في الهمز والتلين، نحو: «مستهزئون» و «مستهزؤون»^(٤) فهو يشير إلى تحقيق الهمزة عند تميم، وتسهيل الهمزة عند الحجازيين، ومعلوم أن القرآن الكريم نزل بتحقيق الهمزة عند التميميين. والوصف الصوتي للهمزة، أنها من الأصوات الحنجيرية الانفجارية المهموسة، حيث ينغلق الوتران الصوتيان في أثناء النطق بها انغلاقاً تاماً، ثم ينفرج الوتران، ويكونان في وضع لا يسمح باهتزازهما لكن سيبويه وغيره

(١) انظر: المدخل إلى علم اللغة ٢٢٤.

(٢) انظر: المدخل إلى علم اللغة ٢٢٤.

(٣) انظر: المدخل إلى علم اللغة ٢٢٤.

(٤) الصاحبى ٢٨.

من العلماء العرب، وصفوا الهمزة بالجهر، وهذا أمر مستحيل مادياً، مادامت الأوتار الصوتية مغلقة في أثناء النطق بها، ولكن هذا الصوت قد يأتي سهلاً، أي أن إقفال الأوتار الصوتية، ربما لا يكون تاماً حين النطق به، بل قد يكون إقفال تقريبي، وفي حالة التسهيل هذه يحدث الجهر، ولكن المسجهور حيثئذ، ليس وقفة حنجيرية (همزة القطع) بل تضيق حنجري، أشبه بأصوات العلة، منه بهذا الصوت^(١).

إن ما حدث للهمزة في لغة الحجازيين «حدث مثله تماماً في اللغتين: العبرية والآرامية، إذا تسقط فيهما الهمزة، في غير أول الكلمة في أغلب الأحيان، فإذا كانت الهمزة تنطق في العبرية في مثل: >ākal (أكل) >āsar (أسر) (رَبَط) وفي الآرامية في مثل: >enā (أنا) >arbeā (أربعة) ففي كثير من كلمات هاتين اللغتين، نرى الهمزة لا تنطق في وسط الكلمة أو في آخرها، رغم وجود رمزها في الكتابة...»^(٢).

٢- المخالفة الصوتية:

وذلك عن طريق إبدال أحد المثلثين إلى صوت من الأصوات المائعة، وذلك في قوله: «الاختلاف في الحرف الصحيح، يبدل حرفاً معتلاً نحو: «أماً زيد»^(٣) و «أيماً زيد» حيث قلبت إحدى الميمين ياء بعد فك إدغامها، أدى إلى قلبها صوتاً من الأصوات المائعة، وهو الياء، للمخالفة الصوتية.

(١) انظر: مناهج البحث في اللغة ٩٧.

(٢) الصاحبي ٢٩.

(٣) المدخل إلى علم اللغة ٢٢٤.

٢- المماثلة الصوتية:

وذلك في قوله «الاختلاف في الإدغام» نحو: «مهتدون» و «مهتُون»^(١) حيث تأثرت التاء بالبدال بعدها، لاتفاقهما في المخرج (الأسنانى اللثوى) واتفاقهما في صفة الانفجار فقلبت دالاً، ثم أدغمت في الدال بعدها.

٤- إطالة الحركة بسبب النبر الطارىء على مقطعها:

ومن ذلك ما ذكره ابن فارس في «الاختلاف في الزيادة، في نحو: «أنظر» و «أنظور»^(٢) وذكر ما أنشده الفراء:

الله يعلمُ أنا في تَلْفُتِنَا
يَوْمَ الفِراقِ إلى جِيرانِنا صُورِ
وأنتى حَيْثُ ما يَشْنى الهوى بَعْدى
مِنْ حَيْثُ ما سَلَكوْا أدنو فأنظورُ

حيث انتقل موضع النبر في الكلمة «أنظر» من المقطع الأول، إلى المقطع الثانى فأدى ذلك إلى إطالة حركته، وتحول النظام المقطعى من: (ص ح ص + ص ح + ص ح) إلى (ص ح ص + ص ح ح + ص ح).

٥- ما ذكره ابن فارس عن الحرف الذى بين الباء والفاء، مثل: «بور» إذا اضطروا، قالوا: «فور»^(٣) يبدو أن ابن فارس، يقصد بذلك صوت الباء المهموسة (P) الموجودة في اللغات الهندو أوروبية، وأن هذا الصوت، يذكره العلماء في اللغة السامية الأم، وأنه قد تطور إلى صوت: الفاء (F) في

(١) الصحاح ٢٩.

(٢) الصحاح ٣٠.

(٣) الصحاح ٣٦.

اللغات السامية الجنوبية، ومنها العربية والحبشية، وبقي الأصل (P) في اللغات السامية الشمالية، كالعبرية والآرامية والأكادية، ومن أمثلتها كلمة Pol (فول) في العبرية، تطورت باؤها المهموسة في العربية إلى: فاء، فيقول. (فول) وكذا الحال في الحبشية، فيقال Fōl كالعبرية^(١).

٦- ما ذكره ابن فارس في «الحرف الذي بين القاف والكاف والجيم» وهي لغة سائرة في اليمن، مثل: «جمل» إذا اضطروا قالوا: «جمل»^(٢) هكذا مكتوبة بالكاف فوقها شرطة، فيما تسمى بالكاف الفارسية، وهذا الصوت الذي يذكره ابن فارس لغة سائرة في اليمن، إنما هو النطق القديم لصوت الجيم الفصحى المزدوج (ǧ) الذي نزل به القرآن الكريم، ويسمى بالجيم الحجازية، فقد ذكر [أنوليمان] بأنه «قد روى عن النحويين: (جمل) في جمل، (رگل) في رجل (رگب) في رجب، (كبهة) في جبهة، وعلى الأرجح في هذه الكلمات، يوجد النطق الأصلي، يعنى الجيم المصرية، والسامية العامة. ولكن النحويين كتبوا كافاً، لعدم الإشارة للنطق الصحيح^(٣) ويؤكد د/ بشر أن هذا الصوت، هو صوت الجيم القاهري، لأنه الصوت الذي يتفق وتفسيرهم عنه بالجهر، ويعلل كتابتهم له بالكاف بأمرين هما:

١- أنهم خافوا أن يكتبوها جيمًا، فيظن أنها الجيم الفصيحة المعروفة فكتبوها كافًا لأنها أقرب إلى الجيم، مخرجًا وانفجارًا.

(١) انظر: سفر صموئيل الثاني ١٧ / ٢٨ وسفر عزرا ٤ / ٩ وانظر أمثلة أخرى في: التطور اللغوي ١٨.

(٢) الصاحبى ٣٦.

(٣) مجلة كلية الآداب ح ١٠ ص ٣ سنة ١٩٤٨م.

٢- أن من المحتمل أن يكونوا كتبوها كاقفاً فارسية (ك) أى بالكاف بشرطة، ثم ضاعت الشرطة بفعل النسخ^(١) وقد وردت الكاف فى كتاب الصحبى هكذا: (كمل) أى: بشرطة^(٢).

٧- ما ذكره ابن فارس عن بنى تميم بأنهم يلحقون القاف باللهاء، حتى تغلظ جداً، فيقولون: «الكوم» فيكون بين القاف والكاف، وهذه لغة فيهم، قال الشاعر:

ولا أكول لكدر الكوم كد نضجت

ولا أكول لساب الدار مكفول^(٣)

ويبدو أن هذه القاف التى نسبها ابن فارس لبنى تميم، هى نفسها القاف التى وصفها سيبويه، فهو يقول بأنها: «من أقصى اللسان، وما فوقه من الحنك الأعلى، كما أنها - أيضاً - مجهورة»^(٤) وصوت القاف الفصيح، كما ينطقه قراء القرآن الكريم المجيدون فى مصر، يُعدُّ صوتاً لهويّاً انفجارياً مهموساً، ويرجع [كانتيناو] كون القاف مجهورة، عند العلماء العرب بقوله: «ربما أن قسماً كبيراً من الألسن الدارجة العربية، ينطق القاف مجهورة، أمكننا الاعتقاد على سبيل الاحتمال والترجيح بأن القاف، كان بالفعل حرفاً مجهوراً فى العربية القديمة، ويمكن أن يكون نطقه مهموساً فى العربية

(١) علم اللغة العام - الأصوات ١٢٧ .

(٢) الصحبى ٣٦ وانظر فى كيفية تحول الجيم القاهرية (gim) إلى صوت الجيم الفصيح المزدوج (gim) بفعل قانون الأصوات الحنكية فى: التطور اللغوى ١٣٢ .

(٣) الصحبى ٣٦ وكذا جمهرة اللغة لابن دريد ١ / ٥ حيث ورد النمر والبيت، وجميع القافات فيه فوقها شرطة .

(٤) الكتاب ٢ / ٤٠٥ .

الفصحى اليوم، ناتجاً عن كونه أصبح مهموساً في اللهجات الحضرية المدنية، لأن أغلبية المثقفين اليوم: هم من أصل مدني^(١).

قضية الاقتراض من اللغات الأجنبية:

يقول ابن فارس إنه ليس في كتاب الله - جل ثناؤه - شيء بغير لغة العرب^(٢) ويقدم آراء العلماء في هذه القضية، فيذكر رأى أبي عبيد، الذي يذكر الفاظاً لأهل اليمن في القرآن معروفة، مثل كلمة: الأرائك، التي وردت في قوله تعالى: ﴿مُتَكِينٍ فِيهَا عَلَى الْأَرْأِكِ﴾ (الكهف: ٣١) وكذلك كلمة: معاذير، في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ﴾ (القيامة: ١٥) ويتفق هذا مع ما ذكره الجواليقي، الذي يروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم في أحرف كثيرة (من القرآن الكريم) أنه من غير لسان العرب، مثل: سجيل والمشكاة واليم والطور وأباريق واستبرق وغير ذلك^(٣).

كما يعرض رأى أبي عبيدة، الذي يقول «إنما نزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية، فقد أعظم القول، ومن زعم أن كذا بالنبطية، فقد أكبر القول... وقد يوافق اللفظ ويفارقه، ومعناهما واحد، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها^(٤)، ويذكر أبو عبيدة، أن

(١) دروس في علم أصوات العربية ٧٧، وانظر آراء كل من الأستاذ الدكتور/ إبراهيم أنيس والأستاذ الدكتور/ كمال بشر حول اختلاف الوصف الصوتي لقفاف بين الدراسات الحديثة والوصف لدى العلماء العرب القدامى في: الأصوات اللغوية ٧٩ وعلم اللغة العام - الأصوات ١١٠.

(١) الصحاح ٣٩، ٤٧.

(٢) المعرب، للجواليقي ٥ والمزهر ١ / ٢٦٨.

(٣) الصحاح ٤٣ ومجاز القرآن ١٧.

الاستبرق بالعربية، وهو الغليظ من الديباج والفرند وهو استبره بالفارسية، وكذلك كلمة: البَلاَس، عند أهل مكة، أنها عربية الأصل كذلك، غير أن الفرس، أو الدهماء أعربوها، فقاربت الفارسية العربية في اللفظ والمعنى^(١).

ويعقب ابن فارس على رأى أبى عبيدة موضحاً أن من زعم أن فى القرآن الكريم غير العربية، فقد أعظم القول، لأن القرآن الكريم لو كان فيه من غير لغة العرب شىء، لتوهم متوهم أن العرب، إنما عجزت عن الإتيان بمثله، لأنه أتى بلغات لا يعرفونها، وفى ذلك ما فيه، وإذا كان كذا، فلا وجه لقول من يجيز قراءة القرآن فى صلاته بالفارسية، لأن الفارسية ترجمة غير معجزة، وإنما أمر الله - جل ثناؤه - بقراءة القرآن العربى المعجز^(٢).

وما تزال آراء العلماء مختلفة فى العصر الحديث، حول قضية التعريب، فثمة فريق متشدد يرفض وقوع المعرب فى القرآن الكريم، على نحو ما رأينا عند ابن فارس وأبى عبيدة، ويأتى فى مقدمة هؤلاء الأستاذ/ أحمد شاکر^(٣)، وقد وقف مجمع اللغة العربية بالقاهرة، موقفاً متشدداً، حيث لم يجز إلا تعريب الألفاظ الفنية والعلمية، التى يعجز عن إيجاد مقابل لها فى العربية^(٤).

ويرى د/ رمضان عبد التواب، أن اللغة لا تفسد بالدخيل، بل حياتها

(١) الصحاح ٤٤.

(٢) الصحاح ٤٦ - ٤٧.

(٣) انظر: مقدمة المعرب للنجوالقى ١١.

(٤) انظر: فصول فى فقه العربية ٣٦٦ - ٣٦٧.

فى هضم الدخيل، لأن مقدره لغة ما على تمثل الكلام الأجنبى، تعد مزىة وخصىصة لها، إذا هى صاغته على أوزانها، وصبته فى قوالبها، ونفخت فىه من روحها، وتركت علىه بصماتها^(١).

قضية اكتساب اللغة:

تناول ابن فارس قضية اكتساب اللغة فى «باب القول فى مأخذ اللغة»^(٢) حيث يقول: «تؤخذ اللغة اعتياداً، كالصبى العربى يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ عنهم على مرّ الأوقات، وتؤخذ تلقئاً من ملقن، وتؤخذ سماعاً من الرواة الثقات، ذوى الصلق والأمانة، ويتقى المعظنون»^(٣).

وبدو من حدىث ابن فارس، أنه يرى أن اللغة العربية، تؤخذ عن طريق الاكساب من البيئة التى يعىش فىها الطفل العربى أو الإنسان العربى بوجه عام، وهو بهذا يتفق مع وجهة نظر الدررس اللغوى الحدىث، وما تدعو إلىه من علاقة اللغة بالمجتمع والبيئة، التى ينشأ فىها الإنسان، حيث يمرّ الطفل فى مراحل اكسابه اللغة بمستويين اثنين هما:

١- مستوى الأصوات

٢- مستوى الأبنية والتراكيب^(٤)

فى المستوى الأول، يمرّ الطفل بمرحلتين وهما:

(أ) مرحلة الأصوات التى يتجها الطفل دونما تلبس بأية حالة انفعالية.

(١) فصول فى فقه العربية ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٢) الصاحبى ٤٨. (٣) الصاحبى ٤٨.

(٤) انظر: تفصىلات وتوضىحات حول آراء العلماء عن المستويين المذكورين فى: لغة الطفل فى ضوء مناهج البعث اللغوى الحدىث ٣٦ - ٦٥.

(ب) مرحلة الأصوات التي يسمعها الطفل ويقوم بتقليدها^(١)، أما المستوى الثاني، فيتضمن مرحلة الأبنية، وتدرج الطفل من التلفظ بالكلمة الأولى، إلى أن تصل قدرته على نطق حوالي مائة كلمة في نحو العشرين شهراً، أما مرحلة التراكيب، فتتمثل في:

(أ) مرحلة الجملة أحادية الكلمة.

(ب) مرحلة الجملة المؤلفة من كلمتين.

قضية القياس والاشتقاق في اللغة العربية:

وقد أفرد ابن فارس لهذه القضية باباً بعنوان: «باب القول على لغة العرب، هل لها قياس، وهل يشتق بعض الكلام من بعض؟» ويذكر ابن فارس أن أهل اللغة أجمعون «إلا من شذ عنهم، أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض... وليس لنا اليوم أن نخترع، ولا أن نقول غير ما قالوه، ولا أن نقيس قياساً لم يقسوه، لأن في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها، ونكته الباب، أن اللغة لا تؤخذ قياساً نقيسه الآن نحن»^(٢).

والذي ينبغي التنويه إليه أن الاشتقاق، يعدُّ من الوسائل الرائعة، التي تنمو عن طريقها اللغات وتتسع ويزداد ثراؤها في المفردات، فيتمكن من التعبير عن الجديد من الأفكار والمستحدثات من وسائل الحياة^(٣)، والاشتقاق إذن يعدُّ عملاً تطبيقياً يقوم بتوليد بعض الصيغ والألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد، يحدد مادتها، ويوحى بمعناها الأصلية، مثلما يوحى بمعناها الخاصة الجديد^(٤) وليس من وكدنا الخوض في تفصيلات حول آراء

(١) الصاحبي ٥٧. (٢) الصاحبي ٥٧.

(٣) انظر: فصول في فقه العربية ٢٩٠.

(٤) انظر: دراسات في فقه اللغة، لصبيحي الصالح ٧٤.

العلماء، في تقسيماتهم للاشتقاق إلى اشتقاق أصغر (صرفي) وأكبر، وغيرها^(١).

ولعله من الواضح أن ابن فارس، يُعدُّ من المتشددين، في منع القياس على ما اشتقته العرب، مخالفاً بذلك سنة التطور والتوليد في صيغ اللغة وألفاظها، قياساً على صيغ موجودة بالفعل، مخالفاً - كذلك - رأى الجمهور من اللغويين العرب القدامى، من أمثال: سيويه والخليل وأبي عمرو بن العلاء والآخرش وعيسى بن عمر والأصمعي وأبي زيد الأعرابي وأبي عمرو الشيباني وغيرهم، الذين يقولون بأن بعض الكلام مشتق، وبعضه غير مشتق^(٢).

وعندما نجد ابن فارس يصرح قائلاً بأن «الذي وقفنا على أن الاجتنان (الستر) هو الذي وقفنا على أن الجن مشتق منه» فنحن نرى أن هذا القول ليس دقيقاً، من حيث إنه قام باشتقاق المعنوي من الحسي، والصواب هو عكس ذلك، فالاجتنان هو المشتق من الجن^(٣).

قضية الترادف في اللغة العربية:

وقد ذكر ابن فارس هذه القضية في باب الأسماء، كيف تقع على المسميات^(٤) حيث يقول: «ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة، نحو: السيف والمهند والحسام، والذي تقوله في هذا، أن الاسم واحد، وهو:

(١) انظر: الخصائص ٢ / ١٣٤ وما بعدها، وفقه اللغة د/ علي عبد الواحد وافي ١٧٢ - ١٨٠.

(٢) انظر: الاشتقاق، لابن السراج ٣١، ٤١.

(٣) مقاييس اللغة ٢ / ١٦٧ وانظر فكرته عن الأصول، حيث يحاول إرجاع أصول الاشتقاق في المادة اللغوية إلى أكثر من أصل.

(٤) الصاحبي ١١٤.

السيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها، فمعناها غير معنى الأخرى، وقد خالفت في ذلك قوم، زعموا أنها وإن اختلفت الفاظها، فإنها ترجع إلى معنى واحد... وقال آخرون: ليس منها اسم ولا صفة، إلا ومعتاد غير معنى الآخر، وكذلك الأفعال... وبها نقول، وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب^(١).

ويقدم ابن فارس آراء القائلين بالترادف في اللغة، ذاكراً أمثلتهم، ويقدم أيضاً آراء الرافضين للترادف - وهو منهم - ذاكراً أمثلتهم أيضاً^(٢)، ويمثل الفريق الأول: الأصمعي وابن خالوية وأبو زيد الأنصاري والمازني وغيرهم، فيما يمثل الفريق الثاني: أبو علي الفارسي وثعلب وابن درستويه وأبو هلال العسكري وابن فارس.

غير أننا نجد ابن فارس يقول: «ومما لا يمكن نقله البتة أوصاف السيف والأسد والرمح، وغير ذلك، من الأسماء المترادفة، ومعلوم أن المعجم لا تعرف للأسد أسماء غير واحد، فأما نحن فنخرج له خمسين ومائة اسم^(٣) وهذا نصّ يفاخر به ابن فارس مصرحاً بوجود الأسماء المترادفة.

والترادف في الدرس اللغوي الحديث عبارة عن ألفاظ متحدة المعنى، وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق، والترادف التام - على الرغم من عدم استحالته - نادر الوقوع، إلى درجة كبيرة، فهو نوع من الكماليات، التي لا تستطيع اللغة أن تجود بها في سهولة ويسر، فإذا ما وقع هذا الترادف التام، فالعادة أن يكون ذلك لفترة قصيرة محدودة، حيث إن الغموض الذي يعترى المدلول، والألوان أو الظلال المعنوية ذات الصبغة العاطفية، أو الانفعالية

(١) الصحاحي ١١٤ - ١١٥. (٢) انظر الصحاحي ١١٥ - ١١٦. (٣) الصحاحي ١٧.

التي تحيط بالمدلول، لا تلبث أن تعمل على تحطيمه، وتقويض أركانه، وكذلك بشرعان ما تظهر بالتدرج فروق معنوية دقيقة بين الألفاظ المترادفة، بحيث يصبح كل لفظ مناسباً وملائماً للتعبير عن جانب واحد فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد^(١).

وقد اشترط العلماء لحدوث الترادف التام شروطاً ينبغي توفرها للقول بذلك نذكر منها^(٢):

١- ضرورة الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقاً تاماً.

٢- ضرورة الاتحاد في البيئة.

٣- ضرورة الاتحاد في العصر والزمن.

٤- ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي آخر.

قضية التضاد في اللغة العربية:

وقد ذكرها ابن فارس في قوله: «ومن سنن العرب في الأسماء، أن يسموا المتضادين باسم واحد، نحو: «الجون» للأسود «الجون» للأبيض، وأنكر ناس هذا المذهب، وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده^(٣)، وهو يعلق على هذا الإنكار قائلاً: «وهذا ليس بشيء»، وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمى السيف مهنداً، والفرس طرفاً، وهم الذين رووا أن العرب تسمى المتضادين باسم واحد^(٤)، ويذكر أنه جرد في الأضداد كتاباً، ذكر فيه حجج المنكرين، وذكر رده عليهم.

(١) دور الكلمة في اللغة، لاستيفن أولمان ٩٨.

(٢) انظر تفصيلات هذه الشروط: في اللهجات العربية ١٧٨ - ١٧٩ وكنا: فصول في فقه العربية ٣١٦ - ٣٢٢.

(٣) (٤) الصاحبي ١٧.

(٣) الصاحبي ١٧.

وابن فارس - هنا - يصرح بوجود التضاد، وكذلك يصرح بوجود الترادف - أيضاً - فعبارة هنا صريحة في قبوله للتضاد وللترادف معاً، وهو من القائلين بالتضاد، لكنه يخالف رأى أستاذه، أحمد بن يحيى ثعلب، الذى ينكر وجود التضاد، حيث يذكر الجوالقى قائلاً: «المحققون من علماء العربية، ينكرون الأضداد ويدفعونها، قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب: ليس فى الكلام ضد، قال: لأنه لو كان فيه ضد، لكان الكلام محالاً، لأنه لا يكون الأبيض أسود، ولا الأسود أبيض... وكلام العرب، وإن اختلف اللفظ، فالمعنى يرجع إلى أصل واحد»^(١).

قضية الإتياع:

ويفرد لها ابن فارس باباً بعنوان: «باب الإتياع»^(٢) يقول فيه: «للعرب الإتياع، وهو أن تتبع الكلمة على وزنها، أو رويها إشباعاً وتأكيذاً، ومثل أن بعض العرب سئل عن ذلك فقال: هو شيء نَدُّ به»^(٣) كلامنا، وذلك قولهم: «صاغِبٌ لاغِبٌ» و «هو خبٌ ضُبٌ» و «خرابٌ ييابٌ»^(٤).

وقد أَلَّفَ ابن فارس رسالة فى الإتياع سماها: «الإتياع والمزاوجة»^(٥) وقد يظن القارىء أنه لا فرق بين الإتياع وبين المزاوجة، غير أن [برنو] Brunnow الذى قام بنشره، قام بالتفريق بينهما، حيث ذكر بأن الإتياع: يقصد به الصيغ الوصفية: التى تتبع الكلمة الأولى بلا رابط، على حين أن

(٢) الصحاحى ٤٥٨.

(١) شرح أدب الكاتب ٢٥١.

(٤) الصحاحى ٤٥٨.

(٣) نَدُّ به: ثبت ونؤكد.

(٥) نشرة برنو R, Brunnow فى ألمانيا سنة ١٩٠٦م، ثم نشره مصطفى كمال بالقاهرة سنة

الصيغ الفعلية التي ترتبط بالكلمة الأولى برابط أو تكون وحدها جملاً مستقلة، تسمى بالمزاوجة، فالإتياع يكون في مثل: ساغبٌ لاغبٌ والمزاوجة في مثل قولهم في جواب من قال: هات «لا أهاتيك ولا أواتيك» وقولهم: «ما عنده غيضٌ ولا فيضٌ» أي: كثير ولا قليل^(١).

قضية النحت:

. وقد أفردها ابن فارس باباً بعنوان: «باب النحت»^(٢) يقول فيه: «والعرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار، وذلك «رجل عيشمي» منسوب إلى اسمين، وأنشد الخليل: (الواقر):

أقول لها ودمعُ العين جارٍ
ألم تحزنك حيلة المنادى

من قوله: «حي على»:

وهذا مذهبنا، في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف وأكثرها منحوت. مثل قول العرب للرجل الشديد: «ضِبَطْر» من «ضبط» و «ضبر» وفي قولهم: «صهصلق» إنه من: «صهل» و «صلق» وفي: «الصلدم» إنه من: «الصلد» و «الصدم» ثم يقول: وقد ذكرنا ذلك بوجوهه في كتاب: «مقاييس اللغة»^(٣).

ويُعدُّ ابن فارس من رواد القائلين بفكرة النحت في اللغة العربية، فهو يقول: «اعلم أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس، يستتبطه النظر

(١) انظر: فصول في فقه العربية ٢٤٧.

(٢) الصاحبي ٤٦١.

(٣) الصاحبي ٤٦١.

الدقيق، وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت. ومعنى النحت: أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة، تكون آخذة منهما جميعاً يحظ^(١).

وعلى الرغم من محاولة ابن فارس إرجاع الصيغ الرباعية والخماسية إلى أصولها المنحوتة منها، إلا أن صيغاً عديدة استعصت عليه، ولذا نجده يقول: «وهذا ما أمكن استخراج قياسه من هذا الباب، أما الذي هو عندنا موضوع وضعاً، فقد يجوز أن يكون له قياس، خفي علينا موضعه، والله أعلم بذلك^(٢)».

ويقصر ابن فارس النحت على الصيغ الرباعية والخماسية، غير أنه يحدث - أيضاً - في الصيغ الثلاثية «فإن كلمة: «أسمر» مثلاً، منحوتة - في رأينا - من: «أسود» و «أحمر»^(٣).

وثمة طرق أخرى، تنشأ بواسطتها الكلمات المنحوتة في اللغة العربية، ومنها: «المخالفة الصوتية» عن طريق إبدال الحرفين المتماثلين في صيغة: «فعل» حرفاً يغلب أن يكون من الحروف (المائة أو المتوسطة (ل م ن ر) مثل: «تقرصع» بمعنى: سأل في مشيته، فأصلها: «تقصع» خولفت فيها الصاد الأولى، وجعلت راء^(٤) وقد تحدث المخالفة الصوتية بتكرار الحرف الأول من الكلمة، عوضاً عن أحد المتماثلين فيها: مثل: ككف دمع، بدلاً من: «كفف»^(٥).

(١) مقاييس اللغة / ١ / ٣٢٨.

(٢) مقاييس اللغة / ٢ / ١٤٦.

(٣) انظر: فصول في فقه العربية ٣٠٥.

(٤) لحن العامة والتطور اللغوي ٣١٤.

(٥) الأضداد، لابن الأثير ٣٢٢ وفصول في فقه العربية ٣٠٦.

كما يمكن أن تنشأ الصيغ الرباعية في اللغة العربية، عن طريق استعمال وزن «افعال» في الشعر، بإقحام همزة فيه، مثل: «اطمأن» وهذه ناشئة من الوزن الشعري^(١).

وقد تقلب عينا كما في لهجة تميم، وعندئذ يتولد عندنا أمثال: «اقشعر» و «ابذعر» كما تخفف الهمزة، فتصير هاء، كما في مثل: «اكفهر» و «ازمهر» وغير ذلك، وكل هذه الأمثلة وغيرها، يعدها العلماء العرب من الرباعي، ويجهلون الطريق الذي سلكته في تطورها^(٢).

ويعلل [أولمان] نشوء النحت في اللغة، أن المتكلم قد يعسر عليه أن يفصل بين كلمتين وردتا إلى ذهنه دفعة واحدة، وربما تتداخل الكلمتان فيما بينهما تداخلاً تاماً، والنتيجة الطبيعية لمثل هذه الزلة، وجود كلمة هي خليط من عناصر مختلفة أو صيرورة الكلمتين كلمة واحدة عن طريق النحت - Con-tamination أو تكون كلمة صناعية، مشتملة على مزيج من أصوات كلمتين أخريين، وجامعة لمعنيهما، وأكثر الكلمات التي تتكون بهذه الطريقة، ذات عمر قصير، غير أن قدرًا غير يسير منها يكتب له البقاء، فيستقر في اللغة كلمات جديدة^(٣).

وأما ما ذكره [بروكلمان] من أن اللغات السامية، لا تعرف تركيب الكلمات^(٤) أي النحت، فإنه يقصد بذلك التركيب الذي في مثل: «حَبَقْر»

(١) انظر: تفصيلات حول القول بكون الهمزة في: اطمأن وغيرها، أصلية أو زائدة وكذا العين في مثل: اقشعر، والهاء في مثل: ازمهر، في: فصول في اللغة العربية ١٩٣ - ٢٢٦، وائر الورد الشعري في هذه الأبيات.

(٢) فصول في فقه العربية ٣٠٦.

(٣) دور الكلمة في اللغة ١٤٣.

(٤) فقه اللغات السامية ١٠٥.

في اللغة العربية الفصحى... فإن التركيب مع الاحتفاظ بجميع عناصر الكلمة الداخلة في التركيب أمر نادر في العربية بعكس الألمانية التي يوجد فيها الكثير من الكلمات مثل: «Shreibtschlampe» بمعنى «مصباح المكتب» وغير ذلك^(١).

قضية تأثير النبر الطاري:

وقد أورد ابن فارس أمثلة لهذا التأثير في باين متتالين وهما: «باب البسط في الأسماء»^(٢) و «باب القبض»^(٣) حيث يقول: «والعرب تبسط الاسم والفعل، فتزيد في عدد حروفها، ولعل أكثر ذلك لإقامة وزن الشعر وتسوية قوافيه، وذلك قول القائل:

وليلة خامدة خمودا

طخياء تُفْسُ الجدى والفرقودا

فزاد في «الفرق» الواو، وضم الفاء، لأنه ليس في كلامهم «فعلولا» ولذلك ضم الفاء، وقال في الزيادة في الفعل:

* لو أن عمراً همّ أن يرقودا *

ومنه:

* أقول إذا خرت على الكلكال *

أراد «الكلكل»^(٤).

ولا شك أن أثر الوزن الشعري هنا، هو الذي جعل الشاعر يبسط في الحركات، وفي الأسماء والأفعال، على نحو ما ذكر ابن جنى في كتابه،

(١) فصول في لغة العربية ٣٠٧. (٢) الصاحبي ٣٨٠.

(٣) الصاحبي ٣٨١. (٤) الصاحبي ٣٨٠.

الخصائص، في باب «مطل الحركات» حيث يقول: وحكى الفراء عنهم: أكلت لحماً شاة، أراد: لحم شاة فمطل الفتحة، فأنشأ عنها الفاء^(١)، ويقول - أيضاً - «وكذلك الحركات عند التذکر يُمطلن... قولهم عند التذکر مع الفتحة في قمت: قمتا، أى: قمت يوم الجمعة، ونحو ذلك، ومع الكسرة: أنتى، أى أنت عاقلة، ونحو ذلك، مع الضمة: قمتو، فى قمت إلى زيد، ونحو ذلك»^(٢).

وعلى الرغم من أن ابن جنى، لم يتناول المسألة من جهة تأثير الوزن الشعري، كما فعل ابن فارس، وإنما جعلها بسبب التذکر فى الكلام الثرى، فإن القضية فى كليهما قضية صوتية، فالذى أدى إلى حدوث البسط، هو انتقال مواضع النبر عن مقاطعها، إلى مقاطع أخرى جديدة، بسبب النبر الطارىء فيها أدى إلى إطالة حركاتها، لكى يستقيم الوزن الشعري، فكلمة: «فرقد» تتألف من ثلاثة مقاطع وهى: (ص ح ص + ص ح + ص ح ص) يقع النبر فيها على المقطع الأول، أما كلمة: «فرقود» فإنها تتألف من ثلاثة مقاطع وهى: (ص ح ص + ص ح ح + ص ح ص) وقد انتقل النبر إلى المقطع الثانى، فسبب ذلك إطالة حركته من الضمة القصيرة إلى الواو الطويلة.

ولم يكن العلماء العرب، فى هذه العصور المتقدمة، يعرفون هذه القضايا الصوتية، كالنبر والتنغيم والمقاطع الصوتية، التى تعد من ثمار الدراسات الصوتية الحديثة.

(١) الخصائص ٣ / ١٢٣.

(٢) الخصائص ٣ / ١٢٩.

وأما قوله: «ومن منن العرب القبض، محاذاة للبسط الذي ذكرناه، وهو: التقصان في الحروف، كقول القائل:

* غَرَمَى الوشاحين حَمَوْتُ الخَلْخَلُ *

أراد: الخلخال.

وكذلك قول الآخر: و «سُرْحُ خُرْجُجٍ» أراد: خُرْجُونًا وهي: الضامر^(١) فالذي أدى إلى هذا القبض، هو انتقال مواضع النبر عن مقاطعه، مما أدى إلى نتيجة عكسية - كذلك - تتمثل هذه المرة في تقصير الحركات الطويلة، فكلمة: خَلْخَلٌ، تتألف من مقطعين وهي: (ص ح ص + ص ح ص) في حين تتألف كلمة: خَلْخَالٌ من مقطعين وهما: (ص ح ص + ص ح ص) وقد انتقل النبر من المقطع الثاني: ص ح ص، إلى المقطع الأول: ص ح ص، فأدى ذلك إلى تقصيره إلى مجرد: ص ح ص، بسبب انحسار النبر عنه.

قضية شاهد الحال:

وقد تحدث عنها ابن فارس في باب المنقول في أصول أسماء، قيس عليها، وألحق بها غيرها^(٢) وهو يذكر لذلك أمثلة منها: «ويقولون: رفع عقيرته» أي: صوته، وأصل ذلك، أن رجلاً عُقِرَتْ رجله، فرفعها، وجعل يصيح بأعلى صوته، فقبل بعد لكل من رفع صوته: رفع عقيرته^(٣).

وشاهد الحال عبارة عن مجموعة من الألفاظ والتعبيرات اللغوية في العربية، يبدو لمن لا يعرف السبب في منشئها، أو الحادثة التاريخية، التي

(١) الصاحبي ٢٨١.

(٢) الصاحبي ١١٢.

(٣) الصاحبي ١١٢.

أقررتها، أنها بمعناها الذي تستخدم فيه عادة، منقطعة الصلة بالأصل الاشتقاقي الذي أخذت منه، غير أننا إذا عرفنا الحادثة الاجتماعية أو التاريخية، التي تفسرها، والحال التي قيلت فيها، اتضح مذهب اشتقاقها، وبان وجه إطلاقها على المعنى الذي تدل عليه^(١).

قضية المصطلح بين القديم والحديث:

تناول ابن فارس في «باب القول في الاحتجاج باللغة العربية»^(٢) مصطلحين هما:

١- علم اللغة.

٢- علم العربية (الإعراب).

وهو يقصد بالمصطلح الأول ما يمكن أن يطلق عليه: متن اللغة، أي ما تشتمل عليه اللغة من مفردات وألفاظ وعبارات، مع معرفة معانيها ومدلولاتها، على نحو ما يجري في عمل «معاجم اللغة».

أما مصطلح علم اللغة في الدرس اللغوي الحديث، وهو ترجمة للمصطلح الأجنبي Linguistics إنما يعني أموراً أوسع وأرحب مما ذكره ابن فارس، فعلم اللغة linguistics يعدُّ من العلوم الحديثة، التي تعنى بدراسة القضايا المتعلقة باللغة، مجردة عن الارتباط بأية لغة من اللغات،

(١) التطور اللغوي، مظهره وعمله وقواتبه ١٥٥، وانظر الأمثلة التي أوردتها كل من سيويه وابن جني وابن السراج في: الكتاب/ ٢٦٨ والخصائص ١/ ١٦٦، ٢٤٨ والاشتقاق ٣٣، وقد أورد د/ رمضان عبد التواب عدداً من الأمثلة والنماذج سواء من التراث القديم أو من الواقع اللغوي المستعمل، انظر: التطور اللغوي ١٥٥ - ١٧٠.

(٢) الصاحبي ٥٠ - ٥٦.

فقواعد هذا العلم تتسم بأنها قواعد عامة، لا تختص بلغة بعينها، وإنما هي قواعد تخص «اللغة» في ذاتها ومن أجل ذاتها^(١) أي اللغة التي تظهر وتتحقق في أشكال لغات كثيرة، ولهجات متعددة، وصور مختلفة من صور الكلام الإنساني، ومع أن اللغة العربية تختلف عن الإنجليزية، وهذه تختلف عن الألمانية، فإن هناك أصولاً وخصائص جوهرية، تجمع بين هذه اللغات من جانب، كما تجمع بينها وبين سائر اللغات، وصور الكلام الإنساني من جانب آخر، وهو أن كلاً منها لغة أو نظام اجتماعي معين، تتكلمه جماعة معينة، بعد أن تتلقاه عن المجتمع^(٢) ناهيك عن أن علم اللغة الحديث، قد شهد ثورتين في الربع الأول من هذا القرن والنصف الثاني من هذا القرن العشرين، على يدي كل من اللغوي الشهير: [أدي سومير] واللغوي الشهير [نعوم تشومسكي] وما أدخلاه من مناهج وأسس أثرت في الدراسات اللغوية، وجعلها تقف جنباً إلى جنب مع الدراسات الإنسانية والعلوم الأخرى^(٣).

أما المصطلح الثاني: علم العربية

فإن ابن فارس يذكره مرادفاً لعلم الإعراب، إذ يقول «وكذلك الحاجة إلى علم العربية، فإن الإعراب، هو الفارق بين المعاني...»^(٤) ولعل أهمية

(١) انظر: اللغة والمجتمع رأي ومنهج د/ السمران ٥١.

(٢) فصول في فقه العربية ١١.

(٣) يمكن الرجوع إلى مؤلفات عديدة، تلقى الضوء على مسيرة التدريس اللغوي الحديث، وتطور مناهجه.

(٤) الصاحبي ٥٥.

الإعراب، هي التي دعت ابن فارس وغيره إلى القول بأن الإعراب، هو علم العربية؛ يقصد بذلك: علم النحو، باعتباره العلم المسئول عن النظام التركيبي للجمل والعبارات، وأن أسس هذا النظام وقواعده، هي التي تتضمن سلامة الجمل والتراكيب من اللحن والانحراف وفي ضوء هذا المفهوم، يقول ابن فارس: «ألا ترى أن القائل إذا قال: «ما أحسن زيد» لم يفرق بين التعجب والاستفهام والذم إلا بالإعراب»^(١).

ولسنا نقلل من قيمة الإعراب وأهميته، فهو من أظهر القرائن، التي بها يستقيم الكلام العربي، ويأمن من الانحراف عن الصحة القاعدية والصوابية، التي ينبغي أن يكون عليها الأسلوب العربي، لكننا نرى أن الإعراب - على الرغم من إسهامه - الفاعل في صون الأساليب العربية وحمايتها من البعد عن مستواها الصوابي، إلا أنه ليس هو وحده المسئول عن ذلك، إذ أن هناك قرائن أخرى عديدة، تسهم بأدوار لا تقل شأنًا عن الدور الذي يقوم به الإعراب نذكر من هذه القرائن مثلاً: قرينة الرتبة وقرينة التضمام وغيرها من القرائن^(٢).

(١) الصاحي ٥٥.

(٢) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٣٠٥ - ٣٣١ حيث أورد د/ حسان تمام حديثاً مفصلاً عن القرائن اللفظية ممثلة في:

- | | |
|-----------------------|--------------|
| ١- العلامة الإعرابية. | ٢- الرتبة. |
| ٣- الصيغة. | ٤- المطابقة. |
| ٥- الربط. | ٦- التضمام. |
| ٧- الأداة. | ٨- النقطة. |

وانظر تفصيلات حول القرائن المعنوية من تخصيص وإسناد ومعية وظرفية وملازمة وغيرها ١٩١ - ٢٠٤.

إن تضافر هذه القرائن معاً وليست قرينة الإعراب وحدها، هو المستول عن صحة التركيب النحوي، أما العلماء العرب، فقد احتفوا بقرينة الإعراب وحدها احتفاء أوقعهم في اللجوء إلى التأويل والافتراض، وإلى التناقض في الأحكام في كثير من أبواب النحو، ولو أنهم لجثوا إلى تضافر القرائن، لما وقعوا في ذلك، ولما تكلفوا المشقة والعنت في إصدار الأحكام!

قضية دلالة العلامات الإعرابية على المعاني المختلفة:

وحول هذه القضية، يقول ابن فارس: فأما الإعراب، فيه تميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين، وذلك أن قائلاً لو قال: «ما أحسن زيداً» أو «ما أحسن زيداً» أو «ما أحسنُ زيدٍ» أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراد^(١) وهو يذكر في موضع آخر بأن «الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر، الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما ميز بين فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعت ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد^(٢)».

وابن فارس في رأيه هذا، إنما يتفق مع جمهور النحاة العرب القدامى الذين يرون أن الإعراب في اللغة العربية الفصحى، إنما هو للتفريق بين المعاني المختلفة، وهذا ما ذكره الزجاجي في كتابه: «الجملة» بقوله: «وأصل الإعراب للأسماء، وأصل البناء للأفعال والحروف، لأن الإعراب، إنما يدخل في الكلام، ليفرق بين الفاعل والمفعول، والمالك والمملوك

(١) الصاحبي ٣٠٩.

(٢) الصاحبي ٧٦.

والمضاف والمضاف إليه، وسائر ذلك مما يعتور الأسماء من المعاني وليس شيء من ذلك في الأفعال ولا الحروف^(١).

لكننا في المقابل، نجد واحداً فقط من علماء النحو القدامى ألا وهو قطرب، محمد بن المستير يقول: «إنما أعربت العرب كلامها، لأن الاسم في حالة التوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون - أيضاً - لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، وكانوا يبطئون عند الإدراج، فلما وصلوا أمكنهم التحريك، جعلوا التحريك، معاقباً للإسكان ليعتدل الكلام، ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن، ومتحركين وساكن، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلمة، ولا في حشو بيت، ولا بين أربعة أحرف متحركة، أنهم في اجتماع الساكنين يبطئون، وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون، وتذهب المهلة في كلامهم، فجعلوا الحركة عقب الإسكان^(٢)».

قضية أفراد اللغة العربية القصصى بالإعراب دون سائر اللغات:

يقول ابن فارس: «وللعرب ما ليس لغيرها، فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني^(٣) ويقول أيضاً في «باب ذكر ما اختلفت به العرب»^(٤)

(١) الجمل، للزجاجي ٢٦٠، وانظر: الإيضاح في علل النحو ٦٩، حيث أورد نصاً آخر معائلاً لما ورد في: الجمل.

(٢) الإيضاح في علل النحو ٧٠ وكنا: الأشباه والنظائر ١ / ٧٩ ومسائل خلافية، للعبكري ٩٥، ولكننا نجد أن الدكتور إبراهيم أنيس، يؤيد هذا الرأي كذلك، انظر تفصيلات رأيه في الإعراب في: من أسرار اللغة ط ٣ / ١٨٣ - ٢٥٨، وانظر في الرد على ذلك: فصول في فقه العربية ٣٨٢ - ٣٩٥.

(٤) الصاحبي ٧٦ - ٧٧.

(٣) الصاحبي ٣٠٩.

أن من العلوم الجليلة التي اختصت بها العرب الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ^(١).

وهذا القول عند ابن فارس، لا يستند إلى الدليل العلمي، أو البرهان الأكيد من لغة أخرى من اللغات الإنسانية، بل إننا نجد الأمر على عكس ذلك، فمن المعلوم أن اللغات الهند وأوربية القديمة، كاللغة اللاتينية واليونانية، كانت من اللغات المعربة، ليس ذلك فحسب، بل إن رموز الحركات الإعرابية في هذه اللغات، لا تسقط مطلقاً من نهاية الأسماء حين الوقف عليها، كما يحدث - غالباً - للحركات الإعرابية في لغتنا العربية^(٢).

كما أن اللغات السامية، كاللغة الأكادية والحبشية والاورجريتية، من اللغات المعربة^(٣).

ومن ثم فإن وجهه نظر ابن فارس، حول الإعراب، وتخصيصه على العربية فحسب، تفتقر إلى الدليل القوي، نظراً لعدم تقصيه أحوال اللغات الإنسانية الأخرى... ولعله اعتمد في حكمه السابق على مقارنة بين العربية والفارسية... على الرغم من وجود حركة للإضافة في اللغة الفارسية وهي الكسرة.

كما يشتمل الكتاب على موضوعات وقضايا أخرى عديدة، حول أقسام الكلام^(٤) كما خصص أبواباً للحديث عن حروف المعاني^(٥) وأبواباً أخرى

(١) الصاحبي ٧٦.

(٢) انظر: فصول في فقه العربية ٧٤.

(٣) انظر: فصول في فقه العربية ٣٨٢ - ٣٨٥.

(٤) الصاحبي ٨٩ وما بعدها.

(٥) الصاحبي ١٢٣ وما بعدها.

لأنواع الأسلوب العربي من خبر واستخبار وأمر ونهى وغيرها^(١) كما خصص أبوابا عديدة حول المعاني البلاغية المتنوعة من الخطاب وصوره والكلام على الحقيقة والمجاز^(٢).

ويعد... فإن القضايا اللغوية، التي أثارها ابن فارس، في كتابه «الصاحبي» تعد من القضايا اللغوية الجديرة بالاعتبار والبحث والنظر لاستجلاء ما فيها من معالجات وأفكار، تقف جنبا إلى جنب، مع نظيراتها من القضايا اللغوية المعاصرة، ويُعدّ من الضروري إذن إعادة البحث والفحص والقراءة الدقيقة لمثل هذه المؤلفات العربية في تراثنا الزاخر، في ضوء مناهج البحث اللغوي الحديث.

(١) الصاحبي ٢٨٩ وما بعدها.

(٢) الصاحبي ٣٢١ وما بعدها.

أهم نتائج البحث

١- تمثل إعادة قراءة تراثنا اللغوي العربي، في ضوء مناهج البحث اللغوي الحديث مطلباً علمياً ضرورياً، يستوجب أن ينهض به الباحثون والدارسون، للكشف عن قيمة هذا التراث وأهميته، وتخليط الضوء على مافيه من آراء وأفكار سديدة، جاءت متساوية في دقتها ومنهجيتها مع أحدث ما توصلت إليه النظريات اللغوية الحديثة.

٢- كتاب الصاحبى فى فقه اللغة العربية وسنن العرب فى كلامها، يعدُّ واحداً من المؤلفات اللغوية العربية الجديرة بالاهتمام والدراسة، لما يتضمنه من قضايا لغوية متنوعة وهامة، قدمها أحمد بن فارس من خلال وجهة نظره، التى تسيطر عليها روح التعصب للغة العربية، باعتبارها لغة القرآن الكريم، مما جعله يوقف عليها وحدها الخصائص الفريدة والتميزة، دون غيرها من سائر اللغات الأخرى.

٣- قضية الأصل والفرع فى علوم العربية فى تمهيد للكتاب، هى من القضايا الهامة المثارة على ساحة البحث اللغوي الحديث، عند علماء النظرية التوليدية التحويلية، وفى أحدث مراحلها على الرغم من الفارق الكبير بين مفهوم ابن فارس، الذى يتركز على موضوع اللغة العربية ومنشئها وحدها، فى حين يتعلق هذا المفهوم عند التوليديين والتحويليين بالملكة اللغوية الإنسانية، ومحاولة تفسيرها فى عقول المتكلمين بوجه عام.

٤- عالج ابن فارس كثيراً من القضايا التى أوردها فى كتابه بروح من

التعصب والحب للغة العربية، من هذه القضايا: قضية نشأة اللغة، حيث جعل اللغة العربية هي أصل اللغات وأقدمها، وقضية الخط العربي، الذي جعله أيضاً توقيفاً من عند الله، وأنه أقدم الخطوط كذلك، وقضية البيان والفصاحة التي تتمتع بها اللغة العربية دون سواها من اللغات، وقضية الاقتراض من اللغات الأخرى، حيث يقرر بأن القرآن الكريم يخلو من الألفاظ الأعجمية، وأن من يقول بذلك، فقد أعظم القول على الله، وقدمت هذه الدراسة عرضاً شاملاً لوجهات نظر البحث اللغوي الحديث، وأن المعالجة اللغوية ينبغي أن تأتي خالصة وفقاً للقوانين اللغوية ومناهج البحث اللغوي السديدة، بعيدة عن الميل والهوى، غير متأثرة بمؤثرات دينية أو قومية.

٥- على الرغم من أنه خصص للظواهر اللهجية باباً سماه: باب اللغات المذمومة، إلا أنه يقرر بأنه لا ينكر أن يكون لكل قوم لغة، لكنه يرى بأن هذه اللغات انحرف ولحن وخروج على اللغة العربية الفصحى ومستوياتها الصوابية، سواء في مستوى الأصوات أو في مستوى الأبنية أو في مستوى التركيب أو في مستوى الدلالة.

٦- اتفقت وجهة نظر ابن فارس، مع وجهه نظر البحث اللغوي الحديث في أن اللغة تؤخذ اعتياداً، كالصبي العربي، يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ عنهم على مر الأوقات.

٧- يتشدد ابن فارس في قضية القياس والاشتقاق ويرى بأنهما من الأمور التوقيفية من عند الله، ولا يجوز أن نشق أو نخترع أو نقول غير ما قاله العرب قديماً، ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه، لأن ذلك فساد للغة.

كما يرفض القول بوجود الترادف في اللغة العربية، ويقول بأن الاسم واحد.. وما بعده من الألقاب صفات، وقضية الترادف من القضايا الخلافية عند القدماء والمحدثين، ويرى العلماء القائلون بالترادف بضرورة توفر مجموعة من الشروط للقول بذلك.

٨- ثمة مجموعة من القضايا اللغوية، التي عالجهها ابن فارس، تعد بحق من المعالجات اللغوية السديدة، مثل قضية التضاد في اللغة العربية، التي أنكرها بعض المستشرقين، ويرى بأنها من خصائص هذه اللغة العربية الشريفة، وألف فيها كتابا، وكذلك قضية الاتباع والمزاوجة، التي ألف فيها كتابا أيضًا، وقضية النحت، التي خصص لها فصلا، حيث يُعد من أوائل القائلين بالنحت ومن رواده، وقام بمعالجة الصيغ الرباعية والخماسية في معجمه المقاييس، وحاول ما أمكنه إرجاع هذه الصيغ إلى أصولها المنحوتة منها.

٩- في حين يذكر ابن فارس أن العلامات الإعرابية تدل على المعاني المختلفة، متفقا في ذلك مع جمهور النحاة العرب، الذين خالفهم قطرب، وبعض العلماء المحدثين، نجده يقصر الإعراب على اللغة العربية وحدها ذاكرا أن العلوم التي اقتصت بها العرب: الإعراب، الذي هو الفارق بين المعاني، وليس الأمر كذلك، فاللغات الهندوأوربية القديمة، كالكلاسيكية واليونانية، من اللغات المعربة، بل إن علامات الإعراب فيها ملازمة لأواخر الكلمات لانفارقها، كما أن بعض اللغات السامية، كالأكدية والحبشية والأوجرايتية هي من اللغات المعربة أيضًا.

والله ولي التوفيق

فهرست المراجع

- ١- الإبدال، لأبي الطيب اللغوي، تحقيق د/ عز الدين التوحي - دمشق ١٩٦٠م
- ٢- أسس علم اللغة، لماريو باي، ترجمة د/ أحمد مختار عمر طرابلس ١٩٧٣م
- ٣- الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي، حيدر آباد - الدكن - الهند ١٣٥٩هـ
- ٤- الاشتقاق، لابن السراج، تحقيق د/ محمد صالح ١٩٥٠م
- ٥- الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس - القاهرة ١٩٦٣م
- ٦- الأضداد، لأبي الطيب، تحقيق د/ عزة حسن - دمشق ١٩٦٣م
- ٧- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة د/ نايف خرما - الكويت ١٩٧٩م
- ٨- الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي - حيدر آباد - الدكن - الهند ١٣٥٩هـ
- ٩- اكتساب اللغة، لمارك رويشل - ترجمة كمال بككاش بيروت ١٩٨٤م
- ١٠- الإكليل، للهمداني - تحقيق أنستاس الكرملي - بغداد ١٩٣١م
- ١١- ألف باء، للبلوي القاهرة ١٢٨٧هـ
- الأمالي، لابن الشجري - الهند ١٣٤٩هـ
- ١٢- الأمالي، لأبي علي القالي - بولاق ١٣٢٤هـ

- ١٣- الإيضاح على علل النحو، للزجاجي - القاهرة ١٩٥٩م
- ١٤- إيضاح الوقف والابتداء، لأبي بكر بن الأنباري
تحقيق محيي الدين رمضان دمشق ١٩٧١م
- ١٥- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي - القاهرة ١٣٢٨هـ
- ١٦- بحوث ومقالات في اللغة د/ رمضان عبد التواب -
القاهرة ١٩٨٢م
- ١٧- تاريخ اللغات السامية، لإسرائيل ولفنسون - القاهرة ١٩٢٩م
- ١٨- شرح التصريح للشيخ خالد الأزهرى على التوضيح
لالفية ابن مالك في النحو لابن هشام - القاهرة ١٣٢٥هـ
- ١٩- التطور اللغوي، مظاهره وعمله وقوانينه د/ رمضان
عبد التواب - القاهرة ١٩٨١م
- ٢٠- تفسير القرطبي = الجامع لاحكام القرآن - القاهرة ١٩٦٧م
- ٢١- الجمل، للزجاجي، تحقيق على توفيق الحمد - الأردن ١٩٨٥م
- ٢٢- جمهرة اللغة، لابن دريد الأزدي، تحقيق كرنكو -
حيدر آباد الهند ١٣٤٤ - ١٣٥١هـ
- ٢٣- خزانة الأدب، لعبد القادر البغدادي - بولاق ١٢٩٩هـ
- ٢٤- الخصائص، لابن جني - تحقيق محمد علي النجار -
القاهرة ١٩٥٢ - ١٩٥٦م
- ٢٥- دراسات في فقه اللغة د/ صبحي الصالح - بيروت ١٩٧٠م
- ٢٦- دروس في علم أصوات العربية، لجان كاتينو -
ترجمة صالح القرماذي - تونس ١٩٦٦م

- ٢٧- دلالة الألفاظ، د/ إبراهيم أنيس - القاهرة ١٩٥٨م
- ٢٨- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان - ترجمة
د/ كمال بشر - القاهرة ١٩٦٢م
- ٢٩- ديوان زهير بن أبي سلمى، بشرح ثعلب - القاهرة ١٩٤٤م
- ٣٠- الزينة في الكلمات الإسلامية العربية لأبي حاتم الرازي -
تحقيق حسين الهمداني - القاهرة ١٩٥٧م
- ٣١- سر صناعة الإعراب، ابن جنى - تحقيق مصطفى السقا
وأخريين - القاهرة ١٩٥٤م
- ٣٢- شرح أدب الكاتب، للجواليقي - نشر مصطفى صادق
الرافعي القاهرة ١٣٥٠هـ
- ٣٣- شرح السيرافي لكتاب سيويه مخطوط بدار الكتب المصرية
برقم ١٣٧ نحو
- ٣٤- شرح شواهد الشافية، لعبد القادر البغدادي - تحقيق
محمد الزفزاف وأخريين - القاهرة ١٣٥٦هـ
- ٣٥- الصحابي في فقه اللغة العربية لأحمد بن فارس -
تحقيق السيد أحمد صقر - القاهرة ١٩٧٧م
- ٣٦- العقد الفريد، لابن عبد ربه - تحقيق أحمد أمين وأخريين -
القاهرة ١٩٤٨ / ١٩٥٣م
- ٣٧- اللغة والمجتمع رأي ومنهج د/ السمران - الإسكندرية ١٩٦٣م
- ٣٨- علم اللغة العام - الأصوات - د/ كمال بشر - القاهرة ١٩٧٠م

- ٣٩- فصول في فقه العربية د/ رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٨٠م
- ٤٠- فقه اللغة د/ علي عبد الواحد واقى - القاهرة ١٩٥٦م
- ٤١- فقه اللغة وسر العربية، للشعالبي - القاهرة بدون تاريخ
- ٤٢- في اللهجات العربية د/ إبراهيم أنيس - القاهرة ١٩٥٦م
- ٤٣- القراءات الشاذة، للشيخ القاضي - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ١٩٥٦م
- ٤٤- الكامل في اللغة والأدب، للمبرد - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته - القاهرة ١٩٥٦م
- ٤٥- الكتاب، لسيويه - بولاق ١٣١٦ هـ - ١٣١٧ هـ
- ٤٦- الكتاب لسيويه، تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٦٦م - ١٩٧٧م
- ٤٧- لحن العامة والتطور اللغوي د/ رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٦٧م
- ٤٨- لسان العرب، لابن منظور - بولاق ١٣٠٠ - ١٣٠٧ هـ
- ٤٩- لغات البشر، لعاريو باي - ترجمة د/ صلاح العربي - القاهرة ١٩٧٠م
- ٥٠- لغة الطفل في ضوء مناهج البحث اللغوي الحديث د/ حسام البهنساوي - القاهرة ١٩٩٤م
- ٥١- اللغة، لفندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلى و د/ محمد القصاص - القاهرة ١٩٥٠م

- ٥٢- اللغة العربية في عصر ما قبل الإسلام لأحمد حسين
شرف الدين - القاهرة
١٩٥٠م
- ٥٣- اللغة العربية معناها ومبناها د/ تمام حسان - القاهرة ١٩٧٩م
- ٥٤- اللغة والمجتمع، رأى ومنهج د/ السمران - الإسكندرية ١٩٦٣م
- ٥٥- اللهجات العربية الغربية، لرايين - ترجمة د/ عبد الرحمن
أيوب - الكويت
١٩٨٦م
- ٥٦- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى - تحقيق
محمد فؤاد سزكين - القاهرة
١٩٥٤م
- ٥٧- مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٦٠م
- ٥٨- مجلة كلية الآداب، مجلد ١٠، مقال ابن ليمان - القاهرة ١٩٤٨م
- ٥٩- محاضرات الأدباء، ومحاضر الشعراء والبلغاء للراغب
الأصفهاني هذبه واختصره إبراهيم زيدان - القاهرة
١٢٨٧هـ
- ٦٠- مختصر شواذ القراءات، لابن خالويه - نشر برجشتراسر
المطبعة الرحمانية - القاهرة
١٩٣٤م
- ٦١- المدخل إلى علم اللغة د/ رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٨٥م
- ٦٢- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي - تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين - القاهرة
١٩٥٨م
- ٦٤- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم
للجواليقي - تحقيق أحمد شاکر - القاهرة
١٩٦١م
- ٦٥- المعرفة اللغوية، طبيعتها وأصولها واستخدامها لنوعم
تشومسكى، ترجمة د/ محمد فتيح - القاهرة
١٩٩٣م

- ٦٦- المفضليات، للمفضل الضبي - تحقيق أحمد شاکر
وعبد السلام هارون - القاهرة
١٩٦٤م
- ٦٧- مقایس اللغة، لأحمد بن فارس - تحقيق
عبد السلام هارون - القاهرة
١٣٦٦ - ١٣٧١هـ
- ٦٨- من أسرار اللغة د/ إبراهيم أنیس - القاهرة
١٩٥٠م
- ٦٩- المنصف، لابن جنی = شرح التصريف للمازنی
تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين - القاهرة
١٩٥٤م
- ٧٠- نظرية تشومسكى اللغوية، جون ليونز، ترجمة د/
حلمی خليل - الإسكندرية
١٩٨٥م
- ٧١- النهاية، لابن الأثير، تحقيق د/ محمود الطناحي -
القاهرة
١٩٦٣ - ١٩٦٥م
- ٧٢- النواذر في اللغة، لأبي زيد الأنصاري
نشر سعيد الشرتوني - بيروت
١٨٩٤م
- ٧٣- همع الهوامع شرح جمع الجوامع، للسيوطي - القاهرة ١٣٢٧هـ

المبحث الثاني

**القيمة اللغوية لخصائص ابن جنى
مع دراسة في مصادره وآرائه**

القيمة اللغوية لخصائص ابن جنى مع دراسة في مصادره وآرائه

أولاً: القيمة اللغوية لكتاب الخصائص:

يعد كتاب «الخصائص» لصاحبه اللغوي الكبير «ابن جنى» أشهر سفر في علم العربية على الإطلاق، إذ حلق فيه «ابن جنى» في أجواء العربية، متحدثاً عن خصائصها، ومشتقاتها وتصاريفها، ذاكراً لغات العرب الفصيحة والشاذة وغيرها، نافذاً إلى الحديث عن اللغات وأصولها، ولا غرابة أن يأتي هذا السفر الجليل على هذا الوجه من التبحر والشمول، والدقة والبراعة، ولقد أتمه ابن جنى تحت رعاية أستاذه وشيخه «أبي علي الفارسي» فأقاد من آرائه وخواتمه، وأضاف إليها كثيراً من ملاحظاته واستقصاءاته، يساعده على ذلك حس مرهف ونظر ثاقب ومعرفة واسعة.

والكتاب - بحق - يعد محاولة رائعة في وضع القوانين الكلية لعلم التصريف، حيث شخّص فيه ابن جنى الأبنية العربية وجسدها، بما يجعلنا نطمئن إلى القول بأنه واضح أصول هذا العلم، فقد قرأ كتاب: التصريف، للمازني على أستاذه أبي علي، وهو يعد من أنفس ما ألف في علم التصريف حتى عصر ابن جنى، ولم يكتب بحفظ هذا الكتاب فحسب، وإنما عمد إلى شرحه شرحاً واعياً ومناقشته مناقشة دقيقة في كتابه: «المنصف» شرح التصريف للمازني^(١).

(١) انظر: المنصف، شرح التصريف للمازني، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين - القاهرة ١٩٥٤م حيث يرى المازني أن الأفعال قد نشئت من أسماء الأعيان، حيث يقول: «إننا إذا =

ويشتمل الخصائص على مائة واثنين وعشرين باباً من أبواب علم العربية، في اللغة والصرف والنحو وغيرها» يبدأها «بباب القول على الفصل بين الكلام والقول»^(١) وينتهي «بباب في المستحيل وصحة قياس الفروع على فساد الأصول»^(٢) إلى جانب عرضه لمسائل التعليل والقياس والسماع، نجده يتحدث عن نشأة اللغة في باب سماه: «باب القول على أصول اللغة إلهام هي أم اصطلاح»^(٣) يبين فيه رأى العلماء من أهل النظر على أن أصل اللغات، التواضع والاصطلاح، إلا أن أستاذه أبا علي قال له: هي من عند الله، واحتج بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١) ثم يستعرض الآراء المختلفة، ويناقشها ويذكر حججها وأدلتها، وعلى الرغم من أنه يتصر لراى القائلين بأنها من الأصوات المسموعات، وأنها محاكاة لأصوات الطبيعة، حيث يذكر ذلك قائلاً: «وهذا عندي وجه صالح، ومذهب متقبل»^(٤) إلا أنه بعد مداومة التنقيح والبحث، وجد لديه من الدواعى والخوارج القوية والرقية، ما يقوى في نفسه من اعتقاد كونها من عند الله سبحانه، وأنها وحى^(٥).

ولسنا نجاوز الحقيقة، إذا قلنا إنه هو الذى ثبت أركان فكرة الاشتقاق

= اشتقنا من: مفرجل، قلنا: مفرج يسفرج فهو مسفرج المنصف ١ / ٣٣ كما أن الأفعال قد

تشق من الحروف، فيقول: قوت قاقاً، وكوت كاكاً ودوت دالاً، المنصف ٢ / ١٥٤.

(١) الخصائص ١ / ٥ - ٣٣ تحقيق محمد على النجار - القاهرة ٥٢ - ١٩٥٦.

(٢) الخصائص ٣ / ٣٢٨ - ٣٤١.

(٣) الخصائص ١ / ٤٠ - ٤٧.

(٤) الخصائص ١ / ٤٧.

(٥) الخصائص ١ / ٤٧.

الأكبر، التي تقوم على أساس التقاليد المتعددة، لأصل الكلمة، وهو يحاول جاهداً أن يجمع الكلمة ومشتقاتها في معنى واحد ولا شك أن الخليل بن أحمد، قد أسس معجمه، العين على أساس من هذه الفكرة^(١) بيد أن ابن جنى، هو صاحب حصرها في معنى واحد، أو دلالة واحدة، حيث إن تقاليد الخليل بن أحمد، تعد تقاليد صرفية فحسب لتحديد الصيغ المستعملة والمهملة في اللغة العربية.

ولا ينكر ابن جنى فضل أستاذه أبي علي الفارسي، وأنه استمد منه فكرة هذا الاشتقاق، بيد أن تأصيلها وتطبيقها وتعميقها بل وتسميتها، كل ذلك من صنع ابن جنى، حيث يقول: «هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا، غير أن أبا علي - رحمه الله - كان يستعين به، ويخلد إليه مع إعواز الاشتقاق الأصغر، لكنه - مع هذا - لم يسمه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة ويستروح إليه، ويتعلل به، وإنما هنا التلقيب لنا نحن»^(٢) كما تعد فكرة التضمن - أيضاً - واحدة من الأفكار التي أصلها ابن جنى، وقد حفل الخصائص بكثير من الأمثلة، التي تؤكد هذه الفكرة وتدعمها، وتقوم فكرة التضمن على أساس إشراب للفظ معنى لفظ آخر، مع أخذ حكمه أيضاً، وقد ذكر سيويه والكسائي هذه الفكرة، كما لاحظها أبو علي، لكن يبقى ابن جنى هو الذي ثبت أركانها، وعمل على تأكيدها بالعديد من الأمثلة، ففي قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٧) يقول ابن جنى:

(١) ينفي التنويه إلى الأساس الأول الذي اعتمد عليه الخليل في صنع معجمه العين وهو الأساس الصوتي.

(٢) الخصائص ٢ / ١٣٣.

الرفث، يتعدى بالباء، غير أنه ضمن في الآية معنى الإفضاء، ولذلك يتعدى
 بآلى، كما يتعدى بها في الإفضاء، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى
 اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٥٢) أى: مع الله، لأنه فى معنى من يضاف فى نصرنى إلى
 الله، وكقوله تعالى: ﴿هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ﴾ (التلذعات: ١٨) وضعت: إلى،
 موضع: فى، لأن ما قبلها فى معنى: أدعوك وأرشدك^(١).

ولابن جنى آراء سديلة، ووجهات نظر دقيقة، يختص بها فى مسائل
 التعليل والقياس والسمع فى أبواب النحو والصرف على السواء.

لقد أجاد ابن جنى تعليلاته فى أبواب النحو والصرف أياً إجابة، وهو
 يقدم للحديث عن التعليل بيان مدى صلة علل النحاة، بعلل المتكلمين
 والمتفهمين، ويذكر أن علل النحويين أقرب إلى علل المتكلمين، منها إلى
 علل المتفهمين، فهو يقول فى باب خصصه لذلك بعنوان: «باب علل العربية
 اكلامية هى أم فقهية»^(٢) يقول فيه: «اعلم أن علل المتفهمين، وذلك أنها إنما
 هى أعلام وأمارات لوقوع الأحكام، ووجوه الحكمة فيها خفية عنها»^(٣) وهو
 لا يكتفى فى تعليه بما ذكره العلماء قبله فحسب، وإنما يناقشهم ويعترض
 على تعليلاتهم، ويعتل لما يراه صائباً من وجهة نظره، فنحن نجد بعد ما
 أفاض فى عرض علل النحاة ينكر التقسيم الذى ذكره ابن السراج وتلميذه
 الزجاج فى القول بعله العلة أو القول بعله لعله العلة، فيما يطلق عليه،
 العلل الثوانى والثالث، ويذكر أن هذه العلل ما هى إلا تميم للعله الأولى،
 ويخصص لذلك باباً بعنوان: «باب فى العلة وعله العلة»^(٤) يقول فيه: «وهذا

(٢) الخصائص ١ / ٤٨.

(١) الخصائص ٢ / ٣٨٠ وما بعدها.

(٤) الخصائص ١ / ١٧٣.

(٣) الخصائص ١ / ٤٨.

موضع ينبغي أن تعلم منه أن هذا الذي سماه (يقصد ابن السراج) علة العلة، إنما هو تجوز في اللفظ، فإما في الحقيقة، فإنه شرح وتفسير وتسميم للعلة^(١) ولا تقتصر مناقشاته على العلماء فحسب، بل نجده يتثبت في تعليقاته من رواه الذين يثق فيهم من الأعراب الفصحاء، ولعل سؤالاته لأبي عبد الله محمد العساف العقيلي الجوثي دليل على ذلك^(٢).

وعلى نحو من براعته في التعليل، يقدم لنا القياس والسماع، فهو يقدم بين يدي المسألتين بباب سماه: «باب القول على الأطراد والشذوذ»^(٣) ويتحدث عن التوسع في القياس وأن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب^(٤) وهو يخصص باباً لتعارض السماع والقياس^(٥) يقول فيه: «اعلم أنك إذا أدك القياس إلى شيء ما ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره، فدع ما كنت عليه إلى ما هم عليه»^(٦).

والحق: فإن ابن جنى يقف موقفاً وسطاً في مسألة السماع، فلم يقصر الأخذ عن الأعراب القح، كما شدد على ذلك علماء المدرسة البصرية ولم يفتح الباب على مصراعيه للأخذ من جميع الأعراب الفصحاء منهم وغير الفصحاء، كما فعل ذلك علماء المدرسة الكوفية، لكنه يراوح بين هؤلاء وهؤلاء، وتلك سمة من سمات المدرسة البغدادية، التي يعد ابن جنى رائداً من روادها في جيلها الثاني، حيث نجده يعقد باباً في خصائصه بعنوان:

(٢) انظر: الخصائص ١ / ٧٦.

(٤) الخصائص ١ / ١٤٤.

(٦) الخصائص ١ / ١٢٥.

(١) الخصائص ١ / ١٧٣ وما بعدها.

(٣) الخصائص ١ / ٧٦ وما بعدها.

(٥) الخصائص ١ / ١١٧.

«باب في ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر»^(١) ثم يعقد باباً آخر بعنوان: «باب في العربي الفصيح ينتقل لسانه»^(٢) ويصرح في باب بعنوان: «باب اختلاف اللغات وكلها حجة»^(٣) ذاكراً: «أن إنساناً لو استعملها، لم يكن مخطئاً لكلام العرب، لكنه كأن يكون مخطئاً لأجود اللغتين»^(٤).

كما حفل هذا السفر الجليل بالعديد من التحليلات الصوتية، التي تتسم بالدقة وحسن المذاق، تدعوننا - حقاً - إلى الدهشة والإعجاب، لما تتضمنه هذه التحليلات من آراء وتفسيرات، تقف على قدم المساواة مع ما توصلت إليه الدراسات الصوتية الحديثة، على الرغم من الفارق الهائل من حيث الزمن من جهة، ومن حيث إمكانات البحث والتحليل المتوافرة من جهة أخرى.

وإذا كانت فكرة أن الصوت المضعف، ليس في حقيقة أمره إلا صوتاً واحداً طويلاً، تعد فكرة حديثة، إلا أننا نجد عند ابن جني، وقد أدركها برهافة حسه وعمق إدراكه، حيث نجده يقول: «الحرف لما كان مدغماً، خفى فنياً اللسان عنه وعن الآخر بعد نبوة واحدة فجريا لذلك مجرى الحرف الواحد»^(٥) وهو يذكر ذلك في موضع آخر بقوله: «إدغام الحرف في الحرف أخفٌ عليهم من إظهار الحرفين، ألا ترى أن اللسان ينبو عنهما معاً نبوة واحدة»^(٦).

تقف وجهة النظر هذه لابن جني: في موضع المساواة مع وجهة نظر

(١) الخصائص ٢ / ٥ وما بعدها.

(٢) الخصائص ١ / ١٠ - ١٢.

(٣) الخصائص ٢ / ١٢.

(٤) الخصائص ١ / ٩٢.

(٥) الخصائص ٢ / ١٢ - ١٣.

(٦) الخصائص ٢ / ٢٧٢.

(كاثينو) في تعريفه الأصوات المضعفة، حيث يذكر هذا الأخير أن الأصوات المضعفة: «هي التي يمتد النطق بها، فيضاهي مداها، مدى حرفين بسيطين تقريباً، وترسم هذه الحروف عادة في الأبجدية الأوربية بحرفين متتابعين (bb) أو (mm) وهكذا»^(١).

أما فكرة النبر: stress بمعنى الضغط accent على بعض المقاطع الصوتية، فإنها - أيضاً - فكرة صوتية حديثة لم يذكرها العلماء العرب في دراساتهم، ولم يدركوها في أبحاثهم، غير أننا نجد ابن جنى وقد أشار إليها، وأدرك أثر الضغط على بعض حركات الكلمة، وهو يعتقد لذلك باباً يسميه «باب مظل الحركات»^(٢) يقول فيه: «وإذا فعلت العرب ذلك، أنشأت عن الحركة، الحرف من جنسها، فتشبه بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة الواو»^(٣) وهو يقدم أمثلة لذلك المظل (النبر) في الفتحة والكسرة والضمة، وما ينشأ عن هذا المظل من إطالة لها^(٤).

ويقول في موضع آخر: «وكذلك الحركات عند التذکر بمطلن، كما تمطل الحروف، وذلك قولهم عند التذکر مع الفتحة في قمت: قمتا، أي: قمتاً يوم الجمعة، ومع الضمة: قمتو، في: قمتُ إلى زيد، ونحو ذلك»^(٥) كما يذكر - أيضاً - في باب مظل الحروف^(٦) قوله: «والحروف الممطولة هي الحروف الثلاثة اللينة المصوتة، وهي الألف والياء والواو، اعلم أن هذه

(١) دروس في علم أصوات العربية ٢٥ لكاثينو، ترجمة صالح القرماوى - تونس ١٩٦٦ م.

(٢) الخصائص ٣ / ١٢٣ .

(٣) الخصائص ٣ / ١٢٣ .

(٤) الخصائص ٣ / ١٢١ - ١٢٤ .

(٥) الخصائص ٣ / ١٢٩ - ١٣٠ .

(٦) الخصائص ٣ / ١٢٤ .

الحروف، أين وقعت، وكيف وجدت بعد أن تكون سواكن يتبعهن بعضهن غير مدغمات، ففيها امتداد ولين. . إلا أن الأماكن التي يطول فيها صوتها، وتتمكن مدتها ثلاثة:

- ١- وهي أن تقع بعدها - وهي سواكن توابع لما هو منهن، وهو الحركات من جنسهن - الهمزة.
- ٢- أو الحرف المشدد.
- ٣- أو أن يوقف عليها عند التذکر^(١).

ويقدم ابن جنى أمثلة عديدة على مظل هذه الأصوات الثلاثة المصوتة، باعتبارها أصوات لين، في هذه المواضع الثلاثة، مبيّناً أسباب ذلك، ففي مظلها حينما تقع بعدها همزة يقول: «وإنما تمكن المد فيهن مع الهمزة أن الهمزة حرف نأى منشؤه، وتراخى مخرجه، فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوتة قبله، ثم تماديت بهن نحوه ظنن وشعن في الصوت»^(٢) وفي مظلها إذا وقع بعدها حرف مشدد يقول ابن جنى: «فلأنهن - كما ترى - سواكن وأول المثلين مع التشديد ساكن، فيجفون عليهم أن يلتقى الساكنان حشواً في كلامهم، فحيثما ما ينهضون بالألف بقوة الاعتماد عليها فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها عوضاً مما كان يجب لالتقاء الساكنين، من تحريكها، إذا لم يجدوا عليه تطرفاً ولا بالاستراحة إليه تعلقاً - وذلك نحو: شابه، ودابه، وهذا قضيب بكر، في قضيب بكر، وقد تمود الثوب، وقد قوص بما عليه»^(٣).

(٢) الخصائص ٣ / ١٢٥.

(١) الخصائص ٣ / ١٢٤ - ١٢٥.

(٣) الخصائص ٣ / ١٢٦.

وأما مطلقها عند الوقف وعند التذکر، فيقول ابن جنى: «لكنك لما وقفت مطلت الحرف علم بذلك أنك متطاول إلى كلام تالٍ للأول، منوط به، معقود ما قبله على ما تضمنه وخلطه بجملته»^(١).

والحق، أن هذا التحليل الصوتي الدقيق، في بيان مدى تأثير الممثل على هذا النحو الذي عرضه ابن جنى، هو ما يطلق عليه في الدرس الصوتي الحديث، تأثير النبر في تغيير أنظمة المقاطع في اللغة، سواء على مستوى الكلمة المفردة أو على مستوى التركيب، فالنبر في النماذج الثلاثة التي ذكرها ابن جنى، هو المسئول عن وجود المقطع الصوتي الزائد الطول، ص ح ح ص، نادر الوجود والشيع في اللغة العربية الفصحى^(٢) ويُعد النبر الطارئ على مقطعة هو السبب في ظهوره ووجوده.

والتنغيم Intonation بمعنى رفع الصوت وخفضه في أثناء الكلام للدلالة على المعاني المختلفة للكلمة الواحدة، فإنه يعد من الظواهر الصوتية الحديثة، التي لم يتبها إليها العلماء العرب، ولم يذكرها في دراساتهم ومؤلفاتهم غير أننا نجد ابن جنى وقد فطن إلى هذا التنوع الصوتي، ارتفاعاً وانخفاضاً، وقد ذكر ذلك في الخصائص في قوله: «وقد حذف الصفة ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل، وكان هذا إنما حذف فيه

(١) الخصائص ٣ / ١٢٨.

(٢) ويجدر التنويه إلى أن هذا المقطع يشيع في اللهجة المصرية في كثير من استعمالاتهم، وقد نتج عندهم عن طريق النحت، من ذلك قولهم: قين Pēn وقولهم: ليه Lēh، وغيرها من النماذج انظر: دراسة وصفية تاريخية للهجات الدقهلية، على مستوى الأصوات والابنية ٩٩ وما بعدها مخطوط - القاهرة ١٩٨٦ م.

الصفة، لما دل من الحال على موضعها، وذلك أنك أحسن في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك، وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه: فتقول: كان والله رجلاً! فتزيد في قوة اللفظ (بالله) هذه الكلمة، وتمكن من تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها - أي: رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك، وكذلك تقول: سألتاه فوجدناه إنساناً، وتمكن بالصوت إنساناً وتفخمه، فتستغنى بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك، وكذلك إذا ذمته ووصفته بالضيق قلت: سألتاه وكان إنساناً وتزوى وجهك وتقطبه، فيغنى ذلك عن قولك: إنساناً لثيماً أو لحزماً أو مبخلاً أو نحو ذلك»^(١).

ولعل ما ذكره ابن جنى في قوله: «فإن قلت، زعمت أن العرب تجتمع على لغتها فلا تختلف فيها»^(٢) يعد هذا القول دليلاً على إدراك ابن جنى لما يطلق عليه بالكفاءة الذاتية أو القدرة الكامنة لدى أصحاب اللغة المعينة، تلك الكفاءة التي تمكن أصحاب اللغة من امتلاك جملها الأصولية، التي تمثلها الأبنية العميقة في هذه اللغة، كما تقول بذلك النظرية التوليدية التحويلية، فالواقعة الرئيسية التي يجب أن يحيط بها اللغوي كما يذكرها روقت «Ruweet» أنه «يستطيع كل شخص راشد، ينطق بلغة معينة أن يرسل في كل وقت وبصورة تلقائية عدداً لا متناهياً من الجمل أو أن يدركها ويفهمها، وذلك دون أن يكون قد تلفظ بمعظم هذه الجمل أو سمع بها

(١) الخصائص / ٢ - ٢٧٠ - ٢٧١.

(٢) الخصائص / ١ - ٢٤٣.

مطلقاً، يمتلك كل شخص إذن بعض الاستعدادات المخصوصة جداً، والتي يمكن أن ندعوها بكفاءته اللغوية^(١) ويؤكد ابن جنى عدم اختلاف العرب على لغتها وامتلاكها الكفاءة الكاملة، التي تمكن أصحابها من التكلم بها والاتصال فيما بينهم عبر تراكيبها ودلالاتها، على الرغم من وجود بعض الاختلاف في قواعد التركيب عند بعضهم عن بعضهم الآخر، يقول ابن جنى: «وقد نراها ظاهرة الخلاف، ألا ترى إلى الخلاف في (ما) الحجازية والتميمية، وإلى الحكاية في الاستفهام على الأعلام في الحجازية، وترك ذلك في التميمية، وإلى غير ذلك، قيل: هذا القدر من الخلاف لقلته ونزارته مختصر غير محتفل به، ولا مُعجج عليه، وإنما هو في شيء من الفروع يسير، فأما الأصول وما عليه العامة والجمهور فلا خلاف فيه، ولا مذهب للطاعن به»^(٢) فذلك تصريح واضح بأن الجمل الأصولية واحدة في أذهان الجماعة اللغوية الواحدة، بيد أنها قد تختلف أو تنحرف عن معيار الأصولية على السنة متكلمياً في الجمل المنطوقة أو ما يطلق عليه بالأبنية السطحية، والتي تمثلها ما يطلق عليه بالجمل المقبولة، فإذا ما وافقت تلك الجمل المقبولة، قواعد الجمل الأصولية، التي ينبغي أن يمتلكها كل مستمع متكلم جيد في لغته، فإنها تخرج في حالة الأداء الفعلي، ممثلة لشروط الكفاءة الكاملة، التي يمتلكها أصحاب اللغة^(٣) وعندما يقول: «ومع هذا فليس شيء مما يختلفون فيه - على قلته وخفته - إلا له من القياس وجه يؤخذ

(١) انظر: اكتساب اللغة ١٢ . (٢) الخصائص ١ / ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٣) انظر: مظاهر النظرية النحوية ٢٧ لنعوم ترومكي، ترجمة مرتضى جواد باقر - بغداد، وكذا

اكتساب اللغة ٣٢ لمارك رويشل، ترجمة د. كمال بكلاش - بيروت ١٩٨٤ م.

به، ولو كانت هذه اللغة حشواً مكيبلاً وحشواً مهيبلاً لكثير خلافها، وتعادت أوصافها، فجاء عنهم جر الفاعل ورفع المضاف إليه والمفعول به والجزم بحروف النصب، والنصب بحروف الجزم، بل جاء عنهم الكلام سدى، غير محصل، وغفلاً من الإعراب، ولاستغنى بإرساله وإهماله عن إقامة إعرابه والكلف الظاهر بالمحاماة على طرد أحكامه^(١) فذلك - أيضاً - يعد إدراكاً لمفهوم الحدس اللغوي الصحيح لأبناء اللغة، الذي عولت عليه النظرية التوليدية التحويلية، وجعلته أساساً في الحكم على صحة القواعد النحوية، حيث يعتمد الباحثون والدارسون على صدق هذا الحدس في بناء القواعد النحوية للغة المعينة - هذه من جهة - كما يعد هذا القول - أيضاً - إدراكاً من ابن جنى بأهمية ما يطلق عليه بالقدرة التوليدية الضعيفة Weak generative Capacity والتي يمكن أن توضع في الاعتبار، على الرغم من قلة إسهامها في بناء قواعد اللغة في النظرية التوليدية التحويلية^(٢).

ثمة ظاهرة من ظواهر التطور اللغوي، تسمى: شاهد الحال، وهي من الظواهر اللغوية الحديثة، التي يستعين بها الباحثون في إلقاء الضوء على حقيقة حدث لغوي، وكشف غموضه، وذلك بالرجوع إلى مسرحه اللغوي الأول الذي اقترن به، لتبين إلى أي مدى اختلفت الدلالة أو اتفقت أو تطورت مع الحدث الحقيقي لها، لقد ألمح ابن جنى إلى هذه الظاهرة وذكر أهميتها، وفضل العلماء العرب الأوائل، الذين عاينوا الأحداث، وعاشوها وتعرفوا مسارحها اللغوية، فنقلوها لنا، وكشفوا بذلك اللثام عن

(١) الخصائص ١ / ٢٤٤.

(٢) مظاهر النظرية النحوية ٧٧ - ٧٨.

غموض يحول بيننا وبين فهم الدلالة المقصودة، أو يؤدي إلى تفسير خاطيء وفهم بعيد عن جادة الصواب، يقول ابن جنى: «فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ووجوهها، وتضطر إلى معرفته من أغراضها وقصودها، من استخفافها شيئاً أو استثقاله وتقبله أو إنكاره والانس به أو الاستيحاش منه والرضا به، أو التعجب من قائله، وغير ذلك من الأحوال المشاهدة بالمقصود، بل الحالفة على ما فى النفوس، ألا ترى إلى قوله: (الطويل)^(١)»:

تقول وصكت وجهها بيمينها

أبعلى هذا بالرحى المتقاعس!

فلو كان حاكياً عنها: أبعلى هذا بالرحى المتقاعس - من غير أن يذكر صك الوجه - لأعلمنا بذلك أنها كانت معجبة منكراً، لكنه لما حكى الحال، فقال: وصكت وجهها، علم بذلك قوة إنكارها، وتعاضم الصورة لها، هذا مع أنك سامع لحكاية الحال، غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف، ولعظم الحال فى نفس تلك المرأة أين . . . وليست كل حكاية تروى لها، ولا كل خبر ينقل إلينا^(٢) ويقول أيضاً: «الاعتقاد يخفى، فلا يعرف إلا بالقول، أو ربما يقوم مقام القول من شاهد الحال»^(٣) ويوضح ابن جنى ذلك فى قوله: «وقد يمكن أن تكون أسباب التسمية تخفى علينا، لبعدها الزمانى عنا، ألا ترى إلى قول سيويه^(٤)، أو لأن الأول وصل إليه،

(١) البيت لأعرابي من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم، يكنى بأبى محلم، انظر: الخصائص / ١ / ٢٤٥ والكامل فى اللغة والأدب / ١ / ٢٨.

(٢) الخصائص / ١ / ٢٤٥ - ٢٣٦. (٣) الخصائص / ١ / ١٩.

(٤) الكتاب / ١ / ١٦٨.

علم لم يصل إلى الآخر، يعنى ما نحن فيه من مشاهدة الأحوال الأوائل»^(١) ويذكر ابن جنى ما توقف عليه ابن السراج، مما أسرع إليه أبو إسحاق الزجاج من ارتكاب طريق الاشتقاق، واحتجاج ابن السراج، بأننا لو ذهبنا نشتق لقولهم: (ع ق ر) من معنى الصوت، لبعد الأمر جداً، وإنما هو أن رجلاً قطعت إحدى رجله، فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم نادى وصرخ بأعلى صوته، فقال الناس: رفع عقيرته، أى: رجله المعقورة، قال ابن السراج، فقال أبو إسحاق الزجاج: لست أدفع هذا!!^(٢).

وتجده فى باب يسميه: «باب فى العدول عن الثقيل إلى ما هو أثقل منه، لضرب من الاستخفاف»^(٣) نجده يتعرض لمسألة صوتية، تتعلق بقانون السهولة والتيسير فى الدراسات الصوتية الحديثة ألا وهى: المخالفة Dis-simallation^(٤) حيث يقول: «وذلك أنه أمر يعرض للأمثال إذا ثقلت لتكريرها: فينزل الحرف إلى ما هو أثقل منه، ليختلف اللفظان فيخفا على اللسان»^(٥) ويقدم ابن جنى أمثلة لهذه المخالفة الصوتية فى الحركات فى مثل قلبهم الياء فى كلمة: الحيوان، لأن أصلها: الحيان، حيث يقول: «فلما ثقل عدلوا عن الياء إلى الواو، وهذا مع إحاطة العلم بأن الواو أثقل من

(١) الخصائص ١ / ٦٦ ، ١ / ٢٤٨ .

(٢) انظر: الخصائص ١ / ٢٤٨ كلاً: الاشتقاق لابن السراج ٢٣ - ٣٤ وانظر: التطور اللغوى مظاهره وعلمه وقوانينه ١٥٦ - ١٧٠ .

(٣) الخصائص ٣ / ٨ .

(٤) والمخالفة قانون صوتى يسير عكس قانون صوتى آخر يسمى: المماثلة Assimallation .

(٥) الخصائص ٣ / ١٨ .

الياء^(١) لكنه لما اختلف الحرفان ساغ ذلك^(٢) ثم يذكر ابن جنى أن هذه المخالفة تحدث - أيضاً - في الحروف الصامتة، حيث يتحول أحد الصوتين الصامتين المدغمين إلى صوت صائت، فيقول: وإذا كان اتفاق الحروف الصحاح القوية الناهضة يكره عندهم، حتى يبدلوا أحدها ياء نحو: دينار وقيراط وديماس وديياج، فيمن قال: دماميس ودياييح^(٣).

فهذه الكلمات جميعاً أصلها: دتار وقراط ودماس وديياج، ثم يعلق على هذا جميعه بما يؤكد إدراكه لفكرة المخالفة الصوتية، وما تقدمه من تسهيل وتيسير على السنة المتكلمين، فيقول: «ألا تراهم إنما كرهوا التضعيف في ديوان، فأبدلوا ليختلف الحرفان، ويقدم على نحو من هذه المخالفة الصوتية نماذج أخرى، كالإضافة في كلمة: آية ورأية، فتكون: آتى ورأى، بقلب الياء همزة لتختلف الحروف ولا تجتمع ثلاث ياءات»^(٤) على الرغم من أن الهمزة أثقل من الياء، حيث إن الصوت الصامت، يتطلب مجهوداً عضلياً في النطق عن نظيره الصوت الصائت، الذي لا يتطلب نفس المجهود العضلي، بل إنه ينطق غفلاً ساذجاً، وكذلك الحال في الإتيان بصيغة: فعاليل من: رميت، فتكون: رماوى ورمائى، فأبدلوا الياء من: رمايى، واواً وأخرى همزة، وكلتاها أثقل من الياء لتختلف الحروف^(٥).

ونجده في باب شواذ الهمز، يقدم العديد من الأمثلة والنماذج والشواهد

(١) انظر: سر صناعة الإعراب ١ / ٢٣ والخصائص ١ / ٧٥ - ٧٦ وكذا: تصحيح الفصح ١٠٥ حيث يؤكد ابن جنى أن بين الواو والياء قرناً ونياً.

(٢) الخصائص ٣ / ١٨ .

(٣) الخصائص ٣ / ١٨ .

(٤) الخصائص ٣ / ١٩ .

(٥) الخصائص ٣ / ١٩ .

الشعرية، التي تؤكد حدوث هذه الظاهرة عند العرب، ويذكر ابن جنى أنه يرى: «ما ورد عنهم من همزة الألف الساكنة في: بأز وشامد وتأبل ونحو ذلك، إنما هو تطرق وصنعة، وليس اعتبار هكذا من غير مسكة، وذلك قد ثبت عندنا من عدة أوجه أن الحركة إذا جاوزت الحرف الساكن، فكثيراً ما تجريها العرب مجراها فيه، و فيصير لجواره إياها كأنه محرك بها، فإذا كان كذلك، فكان فتحة باء «بار» إنما هي نفس الألف، فالألف لذلك، وعلى هذا التنزيل كأنها محركة، وإذا تحركت الألف، انقلبت همزة^(١).

والحق، فإن هذه الكلمات المهموزة، كانت في الأصل من المقطع الصوتي: ص ح ح ص الزائد الطول المغلق، الذي لا يجوز في اللغة العربية الفصحى، إلا في أواخر الكلمة، في حالة الوقف عليها أو في وسطها بشرط أن يكون المقطع التالي له، مبتدئاً بصامت يماثل الصامت الذي ختم به المقطع السابق، وهذه الحالة الأخيرة، هي ما عبر عنها اللغويون القدامى «بالتقاء الساكنين على حدهما» وهو أن يكون الأول حرف لين، والثاني مدغماً في مثله^(٢) وذلك نحو: الضالين، وشابه، ومدهامتان^(٣) والعربية عندما تشتق كلمات من نفس المقطع ص ح ح ص في غير الحالتين السابقتين، فإنها تحوله إلى المقطع الطويل المغلق ص ح ص، مثل: يقوم، التي تصير عند الجزم: «لم يقم» وكان الأصل فيها: «لم يقوم»^(٤).

(١) الخصائص ٣ / ٤٧، ٣ / ١٢٦.

(٢) انظر: شرح ابن يعرب ٩ / ١٢٠، القاهرة بدون تاريخ.

(٣) انظر: التطور اللغوي، مظاهره وعمله وقوانينه ٩٦.

(٤) التطور اللغوي ٩٦.

وهذا المقطع لا يجوز في الشعر أصلاً إلا في الوقف، أي: إنه لا يجوز فيه مثال: «الضالين، شابه، مدهامتان» وإذا كان الثر لا يقبل هذا النوع من المقاطع، فإن الشاعر إذا أراد استخدام كلمة تحتوي على هذا المقطع أقحم همزة في الكلمة، أو بعبارة أخرى: قسم المقطع إلى مقطعين^(١) ومثال ذلك قول كثير: (الطويل)^(٢):

وأنت ابن ليلي خير قومك مشهدك

إذا ما أحمرت بالعبيط العوامل

وقد أورد ابن جني شطره الأخير هكذا^(٣):

* إذا ما العوامل بالعبيط أحمرت *

ثم يعقب قائلاً: يريد: أحمرت.

وكقوله^(٤):

وللأرض إما سودها فتجللت

بياضاً وأما يبيضها فأسوأدت

وكقول الشاعر^(٥): (الراجز)

* يا عجباً لقد رأيت عجباً *

(١) التطور اللغوي ٩٦.

(٢) ديوانه في ٤٦ / ١٠ ص ٢٩٤، ولسان العرب (حزن) ١٦ / ٢٤٩، وعيثة الوليد ٦٩، وديوان أبي محجن الثقفي ١٠٦ وقد ذكره كما في الخصائص، وألف باء للبلوي ٢ / ١٢٣.

(٣) الخصائص ٣ / ١٢٦، ١٤٨.

(٤) الخصائص ٢ / ١٢٧، ١٤٨ بيد أن البيت ورد في ديوانه: فأدهامت ٤ / ٥٤ ص ٣٢٣ وشرح شواهد الشافية ١٤ - ١٧ والفاائق للزمخشري ١ / ٤٦٢ والممتع لابن عصفور ١ / ٣٢٢ وسر صناعة الإعراب ١ / ٨٤.

(٥) الخصائص ٣ / ١٤٨ وشواهد الشافية ١٦٧.

* حمار قبان يسوق أرنبا *

* خاطمها زامتها أن تذهبها *

وكقول دكين^(١):

* وجهه حتى أبيض مليه *

ويبدو أن كل صيغة على وزن: أفعال قد جاءت في العربية عن هذا الطريق ولو لم يوجد إلى جانبها صيغة: أفعال في الاستعمال، وذلك مثل اشمأر واجزأل واطمأن وغير ذلك^(٢).

(١) الخصائص ٣ / ١٤٨ .

(٢) انظور: التطور اللغوي ٧٩ وكنا: فصول في فقه العربية ١٩٣ - ٢٢٦ .

ثانياً: دراسة في مصادره وآرائه:

لقد تعددت مصادر كتاب الخصائص وتنوعت بما يؤكد حرص ابن جنى على أن يأتي هذا الكتاب على هذا النحو من الإحاطة والشمول بمسائل اللغة والنحو العربي، إلى الدرجة التي جعلته يصرح في المقدمة، أنه لم ير أحدًا من علماء البصرة والكوفة، تعرض لعمل أصول النحو، على مذهب الكلام والفقهاء، وأن كتاب الأصول لابن السراج، لم يتضمن إلا مسألة أو مسألتين من مسائل الأصول، «فلم يلتم فيه بما نحن عليه إلا حرفًا أو حرفين في أوله، وقد تعلق عليه به، وسنقول في معناه»^(١) كما يذكر أن ما صنعه سعيد بن مسعدة، الأخفش الأوسط، في المقاييس، عبارة عن كتيب لا يحتوي إلا على التذر اليسير، إذا ما قورن بكتابه: الخصائص، حيث يقول: «إذا أنت قرنته بكتابنا هذا علمت بذلك أننا نبنا عنه فيه وكفيناك كلفة التعب به وكافأناه على لطيف ما أولناه من علومه المقدمة إلينا المفيضة ماء البشر والبشاية علينا، حتى دعا ذلك أقوامًا نزلت من معرفة حقائق هذا العلم حظوظهم، وتأخرت عن إدراكه أقدامهم، إلى الطعن عليه والقدح في احتجاجاته وعلمه...»^(٢).

ولعل نظرة فاحصة في مصادر هذا السفر الجليل تؤكد لنا أن ابن جنى قد اعتمد على مصدرين رئيسيين أحسن اختيارهما وأجاد في الإفادة بهما، فهو قد اعتمد على العديد من شيوخ العربية وعلمائها ومفكريها من أساتذته السابقين والمعاصرين له، كما اعتمد ابن جنى على آراء وأفكار ما ينيف على

(١) الخصائص ٢/١.

(٢) الخصائص ١/٣٠٣.

خمسين عالماً من علماء اللغة والنحو والقراءات، وتشمل هذه القائمة على عديد من علماء البصرة وعلماء الكوفة، وهو في جمعه بين علماء المدرستين، يجعلنا نطمئن إلى القول بأنه يمثل الاتجاهين معاً، فيما يعرف بالمدرسة البغدادية وهو يعد رائداً من روادها في جيلها الثاني.

وينبغي أن نؤكد أن اعتماد ابن جنى على هذه المصادر، لم يكن مجرد ناقل أو مردد لآراء أصحابها من العلماء فحسب، بل إنه كان - دائماً - يدلي بدلوه، فيناقش هذه الآراء ويقبل ما يوافق وجهة نظره، فيقرظ أصحابها ويشي عليهم، ويرفض منها ما يخالف وجهة نظره، ويتعد عن تفكيره ومنهجه.

ويأتي في مقدمة هؤلاء العلماء، شيخه وأستاذه، أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، وقد بلغت مرات ذكره في خصائصه حوالي اثنتين وثلاثين ومائة مرة، ولا غرابة أن تصل مرات ذكره إلى هذا العدد الكبير، فلقد كان أبو علي الفارسي، شيخ ابن جنى بلا منازع، فقد لازمه زمناً طويلاً يصل إلى حوالي أربعين سنة، لا ينقطع عنه ولا يفصل في حله وترحاله، ولا غرابة أن يظهر ابن جنى من الحب والتقدير لشخصه والإقبال والانتفاع بعلمه، وهو يصرح بذلك معترفاً مفاخرًا.

وتجمع الروايات على أن لقاءه الأول بأستاذه، كان في جامع الموصل، عندما كان ابن جنى يجلس لتدريس العربية وهو ما يزال في سن صغير، وأن أبا علي وجده مقصراً في مسألة قلب الواو ألفاً، فأرشدته إلى الصواب، وقال له تزيت وأنت حصرم^(١) وقد ألف ابن جنى كتبه وأعماله في حياة أستاذه،

(١) بدأت تلك الصحبة سنة ٣٣٧ هـ وابن جنى في الخامسة عشرة من عمره، انظر: تاريخ بغداد

وكان أبو علي يستحسن تأليفها ويقرظها بالثناء والتقدير، ومن ذلك ما ذكره ابن جنى فى الخصائص: «وقلت مرة لأبى بكر أحمد بن على الرازى - رحمه الله - وقد أفضنا فى ذكر أبى على ونبل قدره ونباوة محله: أحسب أنت أبا على قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا: فأصغى أبو بكر إليه ولم يتبشع هذا القول عليه»^(١) ويقول أيضاً: «والله هو وعليه رحمته! فما كان أقوى قياسه، وأشد بهذا العلم اللطيف الشريف أنسه، فكأنه إنما كان مخلوقاً له، وكيف لا يكون كذلك، وقد أقام على هذه الطريقة مع جلة أصحابها وأعيان شيوخها سبعين سنة، زائحة علة ساقطة عنه كلفه، وجعله همه وسدمه، لا يعتاقه عنه ولد ولا يعارضه فيه متجر، ولا يسوم به مطلباً ولا يخدم به رئيساً إلا بأخرة، وقد حط عنه أثقاله، وألقى عصا ترحاله»^(٢).

لقد كان ابن جنى دائم الإفادة والاستزادة من علم أستاذه ومن آرائه، وهو يشبه نفسه فى ذلك بسيويه فى نقله من علم الخليل^(٣) غير أنه يذكر أن أستاذه كان يسأله فى بعض المسائل، وأنه كان يأخذ برأيه فيها، وكان يدونه فى بعض كتبه، وفى ذلك يقول ابن جنى: «وقلت مرة لأبى على - رحمه الله - قد حضرنى شيء فى الإتياع فى: نقيذ، وإن عرى أن تكون عينه حلقيه، وهو قرب القاف من الخاء والغين، فكما جاء عنهم: التَّخِير والرُّغَيْف كذلك جاء

(١) الخصائص / ١ / ٢٠٨.

(٢) الخصائص / ١ / ٢٧٦.

(٣) لقد كان أبو على الفارسى إماماً من أئمة البصريين، وشيخاً لمدرسة نحوية، لها تلاميذ ومريلون ينقلون عنه ويرجعون إليه، فيؤلف ابن جنى كتاب: اللمع يجمعه من كلام شيخه، الحجة ١١.

عنهم: النقيذ، فجاز أن تشبه القاف لقربها من حروف الحلق بها، كما شبه من أخفى النون عند الخاء والغين إياهما بحروف الفم، فالنقيذ في الإتياع، كالمنخل والمنغل فيمن أخفى النون، فرضية وتقبله، ثم رأته بعد ذلك في تذكرته^(١) وكان أبو علي كثيراً ما يشرئد برأى تلميذه ابن جنى، وكثيراً ما كانا يتبادلان الرأي في مسألة من المسائل، حتى يصلأ فيها إلى وجه الصواب، وفي ذلك يقول ابن جنى: «ودخلت يوماً على أبي علي - رحمه الله - خالياً آخر النهار، فحين رآني قال لي: أين كنت؟ أنا أطلبك، قلت: وما ذلك؟ قال: ما تقول فيما جاء عنهم من حوريت؟ فخضنا معاً فيه، فلم نحل بظائل منه، فقال: هو من لغة اليمن، ومخالف للغة بني نزار، فلا ينكر أن يجيء مخالفاً لأمثلتهم^(٢)، كما كان ابن جنى يذكر رأى أستاذه، لكنه لا يرتضيه، ويذكر غيره، ومن ذلك قوله: «سألت يوماً أبا علي - رحمه الله - عن تجفاف، أتأوه للإلحاق بباب قرطاس؟ فقال: نعم، واحتج في ذلك بما انضاف إليها من زيادة الألف معها، فعلى هذا يجوز أن يكون ما جاء عنهم من باب أملود وأظفور ملحقا بباب عسلوج ودملوج، وأن يكون إطريح وإسليج ملحقا بباب شنظير وختزير^(٣) ثم نجده يرفض هذا الرأي ويعارضه بقوله: «ويبعد هذا عندي، لأنه يلزم منه أن يكون باب إعصار وإسنام ملحقا بباب جديار وهلقام، وباب إفعال لا يكون ملحقا، ألا ترى أنه في الأصل للمصدر، نحو إكرام وإحسان وإجمال وإتعام، وهذا مصدر فعل غير ملحق،

(١) الخصائص ١ / ٣٦٥.

(٢) الخصائص ١ / ٣٨٧، ١ / ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٣) الخصائص ١ / ٢٣١.

فيجب أن يكون المصدر في ذلك على سمت فعله غير مخالف له، وكان هذا ونحوه إنما لا يجوز أن يكون ملحقاً من قبل أن مازيد على الزيادة الأولى في أوله إنما هو حرف لين، وحرف اللين لا يكون للإلحاق، إنما جاء به كمعنى، وهو امتداد الصوت به، وهذا حديث غير حديث الإلحاق، ألا ترى أنك إنما تقابل بالملحق الأصل، وباب المد إنما الزيادة أبداً، فالأمر على ما ترى في البعد غايتان^(١) وقد يصل الأمر في مخالفة ابن جنى لاستاذة في المنهج والطريقة، فقد ألف أستاذة كتاب: «الحجة في توجيه القراءات السبع»^(٢) فإذا باين جنى يؤلف كتاباً في الانتصار للقراءات الشاذة، وهو كتاب: «المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها»^(٣).

لقد أفاد ابن جنى من آراء البصريين الأوائل، واعتمد في خصائصه على آراء هؤلاء العلماء في اللغة والنحو، فلقد ورد ذكر أبي الأسود بأشعاره: في مسائل ارتضى بعضها ابن جنى في مسعة القياس، على الرغم من عدم سماعها من العرب، فهو يقول: «واعلم أن الشاعر إذا اضطر جاز له أن ينطق بما يسيحه القياس، وإن لم يرد به سماع، ألا ترى إلى قول أبي الأسود: (الرملة):

ليت شعري عن خليلي ما الذي

غاله في الحب حتى ودعه

(١) الخصائص ١ / ٢٣٢.

(٢) الحجة لأبي علي - تحقيق علي النجدي وآخرين ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٤ م.

(٣) المحتسب، تحقيق علي النجدي وآخرين ١٣٨٦ هـ.

ويقول ابن جنى: وعلى ذلك قراءة بعضهم: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾
 (الضحى: ٣) بالتخفيف، أى: ما تركك، دل عليه قوله: ﴿ وَمَا قَلَى ﴾ لأن
 الترك، ضرب من القلى، فهذا أحسن من أن يعلى باب استحوذ واستنوق،
 لأن استعمال (ودع) مراجعة أصل، وإعلال استحوذ واستنوق ونحوهما من
 المصحح ترك أصل، وبين مراجعة الأصول إلى تركها مالا خفاء به^(١) وهو
 يعقب هنا على بيت أبى الأسود بقوله: فشاذ، وكذلك قراءة بعضهم: ﴿وما
 ودَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾.

والحق، فإن ابن جنى يتفق فى هذا التحليل والتفسير مع نظريات التطور
 الصوتى الحديثة، وبخاصة نظرية: «الركام اللغوى» فالأمثلة التى ساقها ابن
 جنى للفعل الأجوف، تعد من قبيل الركام اللغوى، لظاهرة كانت سائدة فى
 الاستعمال القديم تطورت، ولم يتبق منها سوى نماذج قليلة تنبىء عنها، وأن
 ذلك قد حدث أيضاً للغة الحبشة من اللغات السامية، فما تزال فيها نماذج
 لأفعال جوفاء جاءت على الأصل، على صورة كونها صحيحة، ومن ذلك
 الفعل bayana بمعنى: تحقق، والفعل: dayyana بمعنى: دان^(٢).

كما أفاد ابن جنى - أيضاً - من الخليل بن أحمد الفراهيدى، وقد ورد
 ذكره كثيراً فى خصائصه، فى «باب فى العربى يسمع لغة غيره أيراعبها
 ويعتمدها، أم يلغياها وي طرح حكمها»^(٣) يقول ابن جنى: «أخبرنا أبو على عن

(٤) الخصائص ١ / ٣٩٦ كنا ١ / ٩٩ .

(٢) انظر: بحوث ومقالات فى اللغة ٥٩ وما بعدها.

Dillmann: Grammatik der athiopicshensprache, 163 - 165.

حيث رآه فى الأفعال المعتلة.

(٣) الخصائص ٢ / ١٤ وما بعدها.

أبي بكر عن أبي العباس عن أبي عثمان عن أبي زيد قال: سألت خليلاً عن الذين قالوا: مررت بأخواك، وضربت أخواك، فقال: هؤلاء على قياس الذين قالوا في: يياس، ياءس، أبدلوا الياء لانفتاح ما قبلها...^(١) ويقصر ابن جنى هذا الباب بتمامه على الانتصار لقياس الخليل وتأكيد صحته^(٢) وعلى هذا النحو من التحليل، نجده - أيضاً - يحاول تفسير رأى الخليل وتوضيح وجهاته في «باب في المثلين كيف حالهما في الأصلية والزيادة، وإذا كان أحدهما زائداً، فأيهما هو»^(٣) فبعد عرضه لأحوال الأسماء والأفعال، عندما يجتمع فيهما حرف أصل ومعه حرفان مثلان، أو إذا كان فيهما أصلان ومعهما حرفان مثلان، أو إذا كان فيهما ثلاثة أحرف أصول ومعهما: مثلان غير ملتقيين... وبعدما يتهى من عرض الصور المختلفة التي يأتى عليها المثلان وحكهما، ومتى يكونان أصليين ومتى يكون أحدهما زائداً... يستعرض بالتفصيل مذهب كل من الخليل ويونس، ثم يقول: «فلذلك اعتمدناه وأنشأنا الاحتجاج للخليل عنه...»^(٤) وهو يقول: «فهذان أيضاً - ما يشهد بصحة قول الخليل»^(٥) ونجده في باب إمساس الألفاظ أشباه المعانى^(٦) يقول: اعلم أن هذا موضع شريف لطيف: وقد نبه إليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته^(٧) بيد أننا نجده يقول في موضع آخر في «باب في التعبيرين يعترضان في المثال الواحد بأيهما يبدأ»^(٨) وقول الخليل في تخفيف هذا المثال: أدى، طريف وصعب

(٢) انظر: الخصائص ٢ / ١٤ - ١٦ .

(٤) الخصائص ٢ / ٦٧ .

(٦) الخصائص ٢ / ١٥٢ .

(٨) الخصائص ٣ / ٨ .

(١) الخصائص ٢ / ١٤ .

(٣) الخصائص ٢ / ٥٦ - ٦٩ .

(٥) الخصائص ٢ / ٦٨ .

(٧) الخصائص ٢ / ١٥٢ .

ومتعب، وذلك أنه قدر الكلمة تقديرين ضدين، لأنه اعتقد صحة الواو
المبدلة من الهمزة... فلذلك قلنا إن في مذهبه هذا ضرباً من
التناقض... (١).

وإذا انتقلنا إلى سيبويه، فإننا نجد أنه قد أفاد من الكتاب - أيضاً - وهو
يستند إلى آرائه في تدعيم ما يرى فيه الصواب، وتتجلى إفادته واضحة في
خصائصه منذ بدايته، ففي باب القول على الفصل بين الكلام والقول (٢) يذكر
قول سيبويه: «واعلم أن قلت في كلام العرب، إنما وقعت على أن يحكى
بها، وإنما يحكى بعد القول ما كان كلاماً لا قولاً، ففرق بين الكلام والقول
كما ترى...» (٣) ثم يختتم الباب بقوله: «وقد علمت بذلك تعسف
المتكلمين في هذا الموضع، وضيق القول فيه عليهم، حتى لم يكادوا
يفصلون بينهما، والعجب ذهابهم عن نص سيبويه فيه، وفصله بين الكلام
والقول، ولكل قوم سنة وإمامها» (٤).

وعلى هذا النحو من الإفادة والإعجاب بآراء سيبويه نجد ابن جني يذكر
آراءه ويعتمد عليها ويعتد بصحتها وصوابها، حيث نجده يقول: «والذي رواه
صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة، لا حذفها البتة، وهو أضبط لهذا الأمر
من غيره من القراء الذين رووه ساكناً» (٥) وذلك كقراءة أبي عمرو في قوله
تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارئِكُمْ﴾ (البقرة: ٥٤) مختلساً غير ممكن كسرة الهمزة (٦)

(١) الخصائص ٣ / ١٠ - ١١.

(٢) الخصائص ١ / ٥ - ٣٢.

(٣) الخصائص ١ / ١٨ - ١٩.

(٤) الخصائص ١ / ٣٢.

(٥) الخصائص ١ / ٧٢.

(٦) الخصائص ١ / ٧٢ وانظر: الكتاب ٢ / ٢٩٧ لسيبويه - بولاق ١٣١٦ - ١٣١٧ هـ.

غير أننا نجده يرجع رأي يونس بن حبيب على رأي سيبويه، فيقول: «فأما رأي يونس: بتى وأختى. فمردود عند سيبويه، وليس هذا موضوعاً للحكم بينهما، وإن كان لقول يونس أصول تجتذبه وتسوغه»^(١) بل إنه يرفض رأيه - أيضاً - ولا يقبله، فهو يقول في «باب في نقض المراتب إذا عرض هناك عارض»^(٢) في كثرة تقديم المفعول به على الفاعل، وأنه لما استمر وكثر بصير كأنه هو الأصل، وتأخير الفاعل كأنه هو الأصل - أيضاً - يقول: «فإن قلت إن هذا ليس مرفوعاً إلى العرب، ولا محكياً عنها أنها رآه مذهباً، وإنما هو شيء رآه سيبويه واعتقده قولاً، ولنا نقلد سيبويه ولا غيره في هذه العلة ولا غيرها، فإن الجواب عن هذا حاضر عتيد والخطب فيه أيسر»^(٣).

غير أنه يعود ثانية في باب غلبة الفروع على الأصول^(٤) فيقول: «فإن قيل، وما الذي سوغ سيبويه هذا، وليس مما يرويه عن العرب رواية، وإنما هو شيء رآه واعتقده لنفسه وعلل به؟ قيل يدل على صحة ما رآه من هذا من ذهب إليه ما عرفه وعرفناه معه...»^(٥) بل إننا نجده وقد أقره للثناء عليه قرابة الصفحة الكاملة، ومن ذلك قوله: «جاز لصاحب هذا العلم (أي النحو) الذي جمع شعاعه وشرح أوضاعه ورسم أشكاله ورسم أغفاله وخلج أشطاته ويبيع أحضانه وزم شوارده وأفاد موارده...»^(٦).

وأما الكسائي، الذي يعد واحداً من أبرز علماء الكوفة ومؤسسيها، فإنه

(١) الخصائص ١ / ٢٠١.

(٢) الخصائص ١ / ٩٨.

(٣) الخصائص ١ / ٣٠٤.

(٤) الخصائص ١ / ٢٩٣ وما بعدها.

(٥) الخصائص ١ / ٣٠٠ وما بعدها.

(٦) الخصائص ١ / ٣٠٨ - ٣٠٩.

لم ينل نفس المكانة التي نالها معاصره سيويه عند ابن جنى وليس أدل على ذلك من اقتصاره الأخذ عنه في ذكر بعض الروايات عن العرب في قولهم كذا وكذا!! ومن ذلك مثلاً ما ذكره ابن جنى بقوله: «وحكى الكسائي أنه سأل بعض الأعراب عن أحد مطايب الجزور، فقال: مطيب، وضحك الأعرابي من نفسه، كيف تكلف لهم ذلك من كلامه...»^(١) وكقول الكسائي - أيضاً - وسمعت من أخوين من بني سليم يقولان: نما ينمو، ثم سألت بني سليم عنه فلم يعرفوه^(٢) بيد أننا نجد يثنى عليه فيقول: «وقد فعلت العرب ذلك، منه قولهم: أوار النار، وهو وهجها ولفحها، ذهب فيه الكسائي مذهباً حسناً، وكان هذا الرجل كثيراً في السداد والثقة عند أصحابنا، قال: هو (فُعال) من وأرت الإرة، أى: احتفرتها لإضرام النار فيها»^(٣) بيد أننا نجد يحكم بشذوذ قراءته في قوله تعالى: ﴿بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ (البقرة: ٤) فيقرأه الكسائي: «بما انزليك» فيقول: «وقياسه في تخفيف الهمزة أن تجعل الهمزة بين بين»^(٤) ولم ينسب أبو حيان هذه القراءة إلى أحد، وحكم عليها بالشذوذ^(٥).

وإذا انتقلنا إلى العبر، وهو إمام مدرسة البصرة في عصره، فإننا نجد ابن جنى، وقد أفاد من آرائه وأقواله، ومن ذلك قوله: «ويدلك على أن الفصيح من العرب قد يتكلم باللغة وغيرها أقوى في القياس عنده منها ما

(١) الخصائص / ١ / ٤٦٩ .

(٢) الخصائص / ١ / ٣٨١ .

(٣) الخصائص / ٢ / ٨٩ ، ٨٦ / ٣ وانظر ٣١١ / ٣ حيث تنازه عليه كذلك .

(٤) الخصائص / ١٣ / ١٤١ ، ١٥٠ / ٣ .

(٥) البحر المحيط / ١ / ١٤ لأبي حيان التوحيدي - القاهرة ١٣٢٨ هـ .

حدثنا به أبو علي - رحمه الله - قال عن أبي بكر عن أبي العباس أن عمارة كان يقرأ: «ولا الليلُ سابقُ النهار» بالنصب، قال أبو العباس: فقلت: ما أردت؟ فقال: أردت: (سابق النهار) قال فقلت له فهلا قلته؟ فقلت: لو قلته لكان أوزن^(١).

وهو يعارض المبرد في رفضه للقراءة في قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (النساء: ١) وهي قراءة حمزة، يقول ابن جنى: «ليست هذه القراءة عندنا من الإبعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه وذهب إليه أبو العباس، بل الأمر فيها دون ذلك وأقرب وأخف والطف، وذلك أن لحمزة أن يقول لأبي العباس: إني لم أحمل (الأرحام) على العطف على المجرور المضمرة، بل اعتقدت أن تكون فيه باء ثانية، حتى كأني قلت: (وبالأرحام) ثم حذف الباء، لتقدم ذكرها»^(٢)، والحق أن ابن جنى قد أحسن وأجاد في تخريجه الإعرابي هذا، فقاعدة الحذف في اللغة العربية الفصحى، وأحدة من قواعد التحويل الأساسية، وهي قد وردت كثيراً في القرآن الكريم سواء أكان الحذف إجبارياً أم اختيارياً، كما هو الحال في الآية السابقة، حيث اقتضت ضرورة الإعجاز والبيان فيها استعمال هذا الحذف الاختياري، وعلى قواعد اللغة أن تفسح المجال لمثل هذه الاستعمالات القرآنية المعجزة^(٣).

(٤) الخصائص ١ / ٢٥.

(٢) الخصائص ١ / ٢٨٥.

(٣) قاعدة الحذف بنوعها، إحدى القواعد التحويلية، التي ذكرها: باتش: Bach والتي تستخدم في تحويل الابنية العميقة، التي تمثل الجمل الاصولية، إلى ابنتها السطحية، انظر: Bach, In Introduction to Transformatimal syntax, p 20 وكذا: قواعد تحويلية للغة «

أما الفراء، فإنه يقدم آراءه وأقواله، ويفيد مما جاء فيها، يقول ابن جنى: «ومن ذلك قول الفراء في نحو: نُغِي، وثَبِي، وورثِي، ومثِي، إن ما كان من ذلك المحذوف منه الواو، فإنه يأتي مضموم الأول، نحو: نُفِي، وبرِي، وثَبِي، وكُرِي، وقُلِي، وما كان من الياء، فإنه يأتي مكسور الأول، نحو مثِي، وورثِي وهذا يفسده سنة، فيمن قال: سنوات، وهي من الواو كما ترى...»^(١) ويذكر ابن جنى أن ما ذهب إليه الفراء في: الجاء، إلى أنه مقلوب عن الوجه «وروينا عن الفراء، أنه قال: سمعت أعرابية من غطفان، وزجرها ابنها، فقلت لها: ردى عليه، فقالت: أخاف أن يجوهني بأكثر من هذا، قال: وهو من الوجه، أرادت: يواجهني، وكان أبو علي - رحمه الله - يرى أن: الجاء، مقلوب عن الوجه أيضاً^(٢) وقد نجده يتنصر لرأي الفراء على رأى أستاذه أبي علي فيقول: «وقال الفراء، أصلها: هل، زجر وحث، ودخلت على أم، كأنها كانت: هل أم، أي: أعجل واقصد، وأنكر أبو علي عليه ذلك وقال: لا مدخل هنا للاستفهام، وإنما هي عنده زجر وحث»^(٣) كما اعتمد ابن جنى على روايات الفراء في باب مطلق الحركات^(٤) فيقول: «وحكى الفراء عنهم: أكلت لحم شاة، فمطل الفتحة، فأنشأ عنها ألفاً»^(٥) كما يذكر ابن جنى أنه وجد بخط أبي أقوالاً للفراء ذكرها وسلم بوجاهتها^(٦)

= العربية ٣٨ - ٤٩ د. محمد علي الخولي - الرياض ١٩٨١م، والنحو العربي والنرس الحديث ١٤٠ - ١٤١ د. عبده الراجحي - الإسكندرية ١٩٧٧م، وعلم اللغة التصانيف ٦٩ - ٧٠ د. أحمد سليمان ياقوت - الإسكندرية ١٩٨٥م.

(١) الخصائص ١ / ١٧٢ .

(٢) الخصائص ٣ / ٣٥ - ٣٦ .

(٣) الخصائص ٣ / ١٢٣ .

(٤) الخصائص ٣ / ١٩٤ - ٢١٢ .

وهو يتتصر في موضع آخر لا يبي عمرو الجرمي على الفراء في سؤاله الفراء عن أصل في: قُم، فيقول: ويدل على صحة أبي عمرو إسكانهم إياه وهي مفتوحة... (١).

وأما ثعلب، فإنه قد نال حظاً وافراً من اعتماد ابن جنى عليه، في عديد من مواضع خصائصه: ومن ذلك ما ورد في «باب القول على الاطراد والشذوذ» (٢) ويقول فيه ابن جنى: «والثالث المطرد في الاستعمال، الشاذ في القياس، نحو قولهم، أخوص الرمث، واستصوبت الأمر، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى قال: يقال: استصوبت الشيء ولا يقال: استصبت الشيء، ومنه: استحوذ وأغيلت المرأة واستتوق الجميل، واستتيت الشاة، وقال زهير: (الطويل):

* هناك إن يستخولوا المال يُخولوا *

ومنه: استفيل الجميل، قال أبو النجم: (الرجز) (٣):

* يلبر عيني مُصعب مستفيل *

ونجده يتحفظ على تفسيره قول الشاعر: (الطويل) (٤):

وما كنت أخشى الدهر إحلاس مسلم

من الناس ذنباً جساءه وهو مسلما

حيث يقول: «وأخبرنا محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى - أحسبه

عن ابن الأعرابي - بقول الشاعر (البيت السابق) ثم يقول: وقال في تفسيره

(١) الخصائص ١ / ٩٦ وما بعدها.

(٢) الخصائص ١ / ٩٦ وما بعدها.

(٣) الخصائص ١ / ٩٨.

(٤) انظر: مجالس ثعلب ٩٦ والامالي ١ / ٢٠٦ واللسان (جلس) ٦ / ٥٦.

معناه: ما كنت أخشى الدهر إحلاس مسلم مسلماً ذنباً جاءه وهو، ثم يعلق على ذلك قائلاً: «ولو وكد الضمير في جاءه هو وهو لكان أحسن، وغير التوكيد أيضاً جائز»^(١) وهو يعترض على رأى ثعلب ويتصر لرأيه ورأى أستاذه أبي علي في تفسيره قول الشاعر: (مجزوء الكامل)^(٢):

إن تهبطين بلاد قـ

م يرتعون من الطلاح

حيث يقول: «فيجوز أن تكون (أن) هي الناصبة للاسم مخففة غير أنه أولاها الفعل بلا فصل، كما قال الآخر (البيط):
أن تحملا حاجة لي خف محملا

تستوحيا نعمة عندي بها ويدا

أن تقرأن علي أسماء ويحكما

منى السلام وألا تعلما أحدا

سألت عنه أبا علي - رحمه الله - فقال: هي مخففة من الثقيلة، كأنه قال: أنكما تقرأن، إلا أنه خفف من غير تعويض^(٣) ثم يقول: «وحدثنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى قال: شبه (إن) بـ (ما) فلم يعملها كما لم يعمل ما «وفي موضع آخر نجد ابن جني، وهو يشتد في نقده لثعلب إلى حد أنه ينعت بالمتعجرف حيث يقول: «وذهب أحمد بن يحيى في قوله: (الرجز)^(٤)»:

* يرد ملحاً وهديراً زغدياً *

(١) الخصائص / ١ / ٣٣٢.

(٢) انظر: الفهرست ١٠٣، والشاعر هو القاسم بن معين.

(٣) الخصائص / ١ / ٣٩٠. (٤) ديوان المعجاج ٧٤.

إلى أن الباء زائدة، وأخذه من زغد البعير يزغد زغداً في هديره، وقوله: إن الباء زائدة كلام تمجه الأذان وتضييق عن احتمال المعاذير وأقوى ما يذهب إليه فيه أن يكون أراد أنهما أصلان مقتربان كسبط سبطر، وإن أراد ذلك - أيضاً - فإنه قد تعجرف^(١) وهو يعد ذلك من قبيل سقطات العلماء بيد أننا نجد وقد امتدحه وأجزل الشاء له، حيث يقول: «ولله أبو العباس أحمد بن يحيى، وتقدمه في نفوس أصحاب الحديث ثقة، وأمانة وعصمة وحصانة، وهم عيار هذا الشأن، وأساس هذا البيان»^(٢).

كما أفاد ابن جنى من آراء الأصمعي، وأكثر من الاعتماد عليها وعلى رواياته، وقد حفلت الخصائص بهذه الآراء وتلك الروايات، ومن ذلك ما ذكره ابن جنى من حديث الخليل بن أسد النوشجاني قوله: أنه قرأ على الأصمعي من أرجوزة العجاج قوله:

* يا صاح هل تعرف رسماً مكرماً *

ويقول النوشجاني: فلما بلغت:

* تقاعس العز بنا فاقعنسا *

قال لي الأصمعي: قال الخليل: أنشدنا رجل:

* ترفع العز بنا فارتعما *

فقلت: هذا لا يكون، فقال: كيف جاز للعجاج أن يقول:

* تقاعس العز بنا فاقعنسا *

ويعلق ابن جنى بعدة احتمالات، تؤكد عدم إدراك الأصمعي للقياس، ولا لحكاية التعليل إلى الحد الذي جعل الخليل يقول للأصمعي، عندما

(١) الخصائص ١ / ٤٩، ٣ / ٢١٥، ٣ / ٢٨٤. (٢) الخصائص ٣ / ٣١٣.

أراد الأخير أن يعلمه الخليل علم العروض، وأن ذلك تعذر على الأصمعي،
ويعد عنه، فيأس الخليل منه، فقال له يوماً: يا أبا سعيد، كيف تقطع قول
الشاعر^(١):

إذا لم تستطع شيئاً فدعه

وجاوزه إلى ما تستطيع

فظن الأصمعي إلى ما يريد الخليل أن يبلغه إياه من بعد علم العروض
على فهمه وإدراكه، ونجده وقد استشهد في «باب في التطوع بما لا يلزم»^(٢)
بما أنشده الأصمعي لبعض الرجاز من قصيدة تتألف من ٩ تسعة أشطر،
التزم فيها جميعها بالظاء في كل من العروض والضرب إلى جانب ظاء ثانية
قبل ظاء الروي^(٣)، وقصيدة أخرى رائية طويلة، التزم فيها قائلها تصغير
قوافيها، وهي تتألف من سبعة وعشرين بيتاً من بحر مشطور السريع^(٤)،
وقصيدة أخرى ثالثة، تتألف من خمسة وخمسين بيتاً، التزم فيها صاحبها
اللام المشددة من أولها إلى آخرها^(٥)، وقصيدة رابعة تتألف من ستة
وعشرين بيتاً، لغيلان الربيعي، أطرقت جميع قوافيها على جر موضعها^(٦)
فهذه قصائد أربع، تبلغ مجموع أبياتها مائة وسبعة وعشرين بيتاً وشطراً،
التزم فيها أصحابها بأمور صعبة وعسيرة، تدل على مقلرتهم وسلامة

(١) انظر: الخزانة ٣ / ٤٦ والأصمعيات ٤٣ - ٤٥ والأقاني ١٤ / ٣٣ (طبعة بولاق) وأدب
الكاتب ٢٣ ومعاهد التنصيص ٢ / ٢٣٦، والبيت لعمرو بن معديكرب، وانظر: الخصائص
١ / ٣٦١ - ٣٦٢.

(٢) الخصائص ٢ / ٢٣٥.

(٣) الخصائص ٢ / ٢٣٤ وما بعدها.

(٤) الخصائص ٢ / ٢٣٩ - ٢٤٦.

(٥) الخصائص ٢ / ٢٣٨ - ٢٣٥.

(٦) الخصائص ٢ / ٢٥٠ - ٢٥٣.

قرائحهم، وأنشدها جميعاً الأصمعي ورواها، وغير العديد من الأمثلة التي ذكرها الأصمعي بروايته عن الأعراب، أو تفسيره لها، ونجده يشن على الأصمعي في تحليله قول المثقب العبدى:

أفاطم قبل بينك نولينى

ومنحك ما سألت كأن تينى

يقول ابن جنى: «فهذه رواية الأصمعي: أى: منك كينك، وإن كنت مقيمة... أى: منك إياى ماسألتك هو بينك... ورواية الأصمعي أعلى وأذهب في معانى الشعر»^(١).

أما أبو بكر السراج فإن ابن جنى قد أفاد - أيضاً - من آرائه وأفكاره وإن وجدناه يبدأ خصائصه بقوله: «وذلك أنا لم نر أحداً من علماء البلدين تعرض لعمل أصول، على مذهب أصول الكلام والفقهاء، فأما كتاب أصول أبي بكر فلم يلصق فيه بما نحن عليه، إلا حرفاً أو حرفين فى أوله، وقد تعلق عليه به»^(٢) ونجده يقول فى: «باب فى العلة وعلة العلة»^(٣) يقول: «ذكر أبو بكر فى أول أصوله هذا، ومثل منه يرفع الفاعل قال: فإذا مثلنا عن علة رفعة قلنا: ارتفع بفعله، فإذا قيل: ولم صار الفاعل مرفوعاً؟ فهذا سؤال عن علة العلة... ويقول ابن جنى: «فإنه شرح وتفسير وتتميم للعلة»^(٤) ثم ينتهى فى هذا الباب بقوله: «فقد ثبت بذلك أن هذا موضع تسمح فيه أبو بكر أو لم ينعم تأمله»^(٥) وهو يتحفظ على متابعة أبي بكر السراج، فى أن الحاء الثانية فى حشحت بدل من ثاء، وأن أصله: حشحت، وكذلك قال فى نحو: ثرة

(١) الخصائص ٣ / ١٦٧، ٣ / ٢٨٣.

(٢) الخصائص ١ / ٢.

(٣) الخصائص ١ / ١٧٣.

(٤) الخصائص ١ / ١٧٣.

(٥) الخصائص ١ / ١٧٤.

وثرثارة: إن الأصل فيها ثرارة، فأبدل من الراء الثانية ثاء، فقالوا: ثرارة، وكذلك طرد هذا الطرد، وهذا وإن كان عندنا غلطاً، لإبدال الحرف مما ليس من مخرجه، ولا مقارباً في المخرج له فإنه شق آخر من القول، ولم يدع أبو بكر فيه تكرير الفاء، وإنما هي عين أبدلت إلى لفظ الفاء، فأما أن يدعى أنها فاء مكررة فلا...^(١) ويرفض ابن جنى كذلك رأى ابن السراج في تفسير كلمة: سُرُور مال، أي: عارف بأسرار المال، فلا يخفى عنه شيء من أمره، ويقول ابن جنى: «ولست أقول كما يقول الكوفيون وأبو بكر معهم: إن سُرُورا من لفظ السر، ولكنه قريب من لفظه ومعناه»^(٢) ولكننا لانعدم استحسان ابن جنى لرأى ابن السراج في خصائصه، حيث يقول: «وكذلك قولهم: إن قمت قمت، فيجىء بلفظ الماضي والمعنى معني المضارع... وذلك أنه أراد الاحتياط للمعنى، فجاء بمعنى المضارع المشكوك في وقوعه بلفظ الماضي المقطوع بكونه، حتى كأن هذا قد وقع واستقر: لا أنه متوقع مترقب، وهذا تفسير أبي علي عن أبي بكر وما أحسنه»^(٣).

ونجده لا يقبل رأيه في أن التاء في كلمة: تُماضر وتُماز، فيقول: «ولا وجه لذلك عندي، لأنها في موضع عين عذافر: فهذا يقضى بكونها أصلاً»^(٤) وكذلك يعلق على رأى ابن السراج بأن كلمة: ينابعات من أحد الفوائت قائلًا: «فما أطرف أبا بكر أن أورده على أنه أحد الفوائت إلا يعلم أن سيويه قد قال: «ويكون على يفاعل نحو اليحامد واليرامع...»^(٥).

كذلك نجده - أيضاً - وقد أفاد من أبي حاتم السجستاني، ومن ذلك

(١) الخصائص ٢ / ٥٤ - ٥٥.

(٢) الخصائص ٣ / ١٠٥.

(٣) الخصائص ٣ / ١٩٧.

(٤) الخصائص ٣ / ١٩٨.

قوله: «أخبرنا أبو إسحاق بن أحمد القرمييني عن أبي بكر محمد بن هارون الروباني، عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني في كتابه الكبير في القراءات قال: قرأ على أعرابي بالحرم: «طيبى لهم وحسن مآب» فقلت: طويى، فقال: طيبى، فأعدت فقلت: طويى، فقال: طيبى، فلما طال على قلت: طوطو، قال: طى طى. أفلا ترى إلى هذا الأعرابي: وأنت تعتقده جافياً كزاً، لا دمناً ولا طيعاً، كيف بنا طبعه على ثقل الواو إلى الياء، فلم يؤثر فيه التلقين، ولا ثنى طبعه عن التماس الخفة هز ولا تمرين، وما ظنك به إذا خلى مع سومه وتساند إلى سليقته ونجره»^(١) وهو يعلق على نفس الرواية في موضع آخر قائلاً: «أفلا ترى إلى استعصام هذا الأعرابي بلسنته وتركه متابعة أبي حاتم»^(٢).

أما أبو الحسن الأخفش، فإننا نجد ابن جنى يذكر في مستهل خصائصه، أنه صنّف في شيء من المقاييس كتيباً إذا أنت قرنته بكتابنا هذا، علمت بذلك أننا بنا عنه فيه، وكفيناك كلفة التعب به، وكافأناه على لطيف ما أولاناه من علومه المسوقة إلينا المغيضة ماء البشر والبشاشة علينا، حتى دعا ذلك أقواماً نذرت من معرفة حقائق هذا العلم خطوطهم، وتأخرت عن إدراكه أقدامهم، إلى الطعن عليه والقدرح في احتجاجاته وعلله»^(٣) بيد أننا نجد يذکر بعد عرضه لقول ضيفم الأسدى^(٤) (الواقر).

(١) أسلفنا من قبل أن ابن جنى لا يرى فرقاً بين الواو والياء، بل هو يسوى بينهما، ويقول بأن بينهما صلة ونسباً. انظر: سر صناعة الإعراب / ١ / ٢٣ الخصائص / ١ / ٧٥ - ٤٦.

(٢) الخصائص / ١ / ٣٨٤.

(٣) الخصائص / ١ / ٢.

(٤) الخصائص / ١ / ١٠٤.

إذا هو لم يخفنى في ابن عمي

وإن لم ألقه - الرجل الظلوم

نجده بعد استعراضه المستفيض يقول: «وفي هذا البيت تقوية لمذهب أبي الحسن في إيجارته الرفع بعد إذا الزمانية بالابتداء في نحو قوله تعالى ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (الانشقاق: ١) و ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (التكوير: ١) ثم يقول: «ومعناها يشهد لقوله هذا، شيء غير هذا، غير أنه ليس ذلك غرضنا هنا، إنما الغرض إعلامنا أن في البيت دلالة على صحة مذهب أبي الحسن هذا في إجراء واو شنوءة مجرى ياء حنيفة، فكما قالوا: حنفي قياساً، قالوا: شئى أيضاً قياساً، ويعلق قائلاً: «وما أظف هذا القول من أبي الحسن أو تفسيره أن الذي جاء في قَعُوله هو هذا الحرف، والقياس قابلة، ولم يأت فيه شيء ينقصه، فإذا قاس الإنسان على جميع ما جاء، وكان - أيضاً - صحيحاً في القياس مقبولاً، فلا عزو ولا ملام»^(١) وهو يصف رأى الأخفش في أن الكاف في إياك حرف خطاب... والهاء في إياه حرف للغيبة، مخلووعة عنهما دلالة الاسمية في: رأيتنه وغلامي وصاحبي، بأنه مذهب هؤل، وإن كان كذلك... جارٍ على القوة ومقتاس بالصحة»^(٢) وقد عرض ابن جنى للعديد من آراء الأخفش وتحليلاته، ورأى صوابها ووجهة تفسيرها أحياناً، وتحفظ عليها أحياناً أخرى.

أما المازني، صاحب كتاب: التصريف، الذي حظى بشرح ابن جنى له، تحت عنوان: المنصف فإن ابن جنى قد أقاد منه ومن مؤلفاته بعامة، ومن آرائه وتفسيراته كذلك، فقد أورد رأيه في قول العرب: أقائم أخوك أم

(٢) الخصائص ٢ / ١٨٩.

(١) الخصائص ١ / ١١٦، ١ / ١٣٦.

قاعد؟ هذا كلامها، قال أبو عثمان: والقياس يوجب أن تقول: أقائم أخواك أم قاعدهما؟ إلا أن العرب لا تقول إلا قاعدان، فتصل الضمير، والقياس يوجب فصله ليعادل الجملة الأولى^(١).

وهو يأخذ برأيه في «باب في إسقاط الدليل» وذلك كقول أبي عثمان: لا تكون الصفة غير مفيدة، فلذلك قلت: مررت برجل أفعل، فصرف أفعل هذه لما لم تكن الصفة مفيدة، وإسقاط هذا أن يقال: قد جاءت الصفة غير مفيدة، وذلك كقولك في جواب من قال رأيت زيدا: أكنى ياقتى، فألمنى صفة وغير مفيدة^(٢) ويرد عليه ابن جنى بقوله: «فكما اعتبر أبو عثمان أن كل صفة ينبغي أن تكون مفيدة، فأوجد أن من الصفات مالا يفيد، وكان ذلك كسراً لقوله^(٣) ونجده وهو يعلل لما يراه المازني من تفسير أن: مثل ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلٍ مَّا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ﴾ (النار: ٢٣) على أنهما اسم واحد، بنى الأول على الفتح وهما جميعاً في موضع رفع صفة لكلمة: حق، حيث يقول: «فإن قلت: فما موضع أنكم تنطقون؟ وذلك في باب: خلع الأدلة^(٤) قيل: هو جر بإضافة (مثل ما) يقول: «فإن قلت: ألا تعلم أن (ما) على بنائها، لأنها على حرفين، الثاني منهما حرف لين، فكيف تجوز إضافة المبنى؟ قيل ليس المضاف (ما) وحدها، إنما المضاف الاسم المضموم إليه (ما) فلم تعد (ما) هذه أن تكون كساء التانيث في نحو: هذه جارية زيد، أو كالألف والنون في سرحان عمرو، أو كياء الإضافة في بصرى القوم أو كالفى التانيث في صحراء زم أو كالألف والتاء في^(٥):

* في غائلات الحائر المتوه *

(١) الخصائص / ١ / ١٠٠ . (٢) الخصائص / ١ / ١٩٩ . (٣) الخصائص / ١ / ١٩٩ .

(٤) الخصائص / ٢ / ١٨٩ وما بعدها . (٥) ديوان روية / ١٦٦ .

ثم يقول: هذا وجه، ويقول أيضاً: «وان شئت قلت: و (ما) في إضافة المبنى! ألا ترى إلى إضافة (كم) في الخبر، نحو: كم عبد ملكت، وهي مبنية... ويقول - أيضاً - معللاً رأي المازني: «وأيضاً فلو ذهب ذاهب واعتقد معتقد أن الإضافة كان يجب أن تكون داعية إلى البناء من حيث كان المضاف من المضاف إليه، بمنزلة صدر الكلمة من عجزها، وبعض الكلمة صوت والأصوات إلى الضعف والبناء لكان قولاً»^(١).

ونجده في «باب في تركيب المذاهب»^(٢) يقدم لمذهب أبي عثمان المازني في انتخابه مذهباً صرفياً مركباً من عدة مذاهب لعلماء آخرين، حيث نجده يعتقد مذهب يونس في رد المحذوف في التحقير، مثال ذلك: هوير، تحقير لكلمة: هار، ويو يضع (اسم رجل) تحقير لكلمة: يضع، ويوبلية، تحقير لكلمة: بالة، في حين لا يرد المحذوف عند سيويه، فيقال فيما سبق جميعاً: هوير، يضيح، بويلة^(٣) كما كان المازني يرى رأي سيويه في صرف نحو، جوارٍ علماً، وإجراه بعد العلمية على ما كان عليه قبلها، فيقول في رجل أو امرأة اسمها: جوارٍ أو غواشيٍ بالصرف بعد الرفع والجر على حاله قبل نقله، ويونس لا يصرف ذلك، ونحو علماً، ويجريه مجرى الصحيح في ترك الصرف^(٤).

لم يقتصر ابن جنى في مصادره في هذا السفر الجليل، الخصائص، على العلماء العرب فحسب، بل إننا نجده يعتمد على بعض الأعراب الذين لم تفسد لغاتهم، بعد أن يختبرهم ويتأكد من فصاحتهم وصدق نحيزتهم،

(١) الخصائص ٢ / ١٨٢ - ١٨٣.

(٢) الخصائص ٣ / ٧١.

(٣) انظر: الخصائص ٣ / ٧١ - ٧٢.

(٤) الخصائص ٣ / ٧٢.

بل إنه يعقد لذلك باباً في الخصائص بعنوان: «باب في ترك الأخذ عن أهل المدر، كما أخذ عن أهل الروبر»^(١).

ومن هؤلاء الأعراب الذين أخذ عنهم وكان يثق بلغتهم:

١- أبو عبد الله محمد بن العساف العقيلي التميمي، يقول ابن جنى: وسألت يوماً أبا عبد الله محمد بن العساف العقيلي الجوثي التميمي - تميم جوثة - فقلت له: كيف تقول: ضربت أخوك؟ فقال أقول: ضربت أخاك فأدرته على الرفع، فأبى، وقال: لا أقول: أخوك أبداً، قلت: فكيف تقول: ضربتني أخوك، فرفع، فقلت ألت زعمت أنك لا تقول: أخوك أبداً؟ فقال: إيش هذا! اختلفت جهتا الكلام، فهل هذا أدل شيء على تأملهم مواقع الكلام وإعطائهم إياه في كل موضع حقه، وحقه من الإعراب عن ميزة وعلى بصيرة، وأنه ليس استرسالاً ولا ترجيحاً، ولو كان توهمه هذا السائل، لكثير اختلافه، وانتشرت جهاته، ولم تنقل مقاييسه^(٢).

٢- أبو صالح السليل أحمد بن عيسى بن الشيخ، يقول ابن جنى: «وأخبرنا أبو صالح السليل عن أحمد بن عيسى بن الشيخ قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا الخليل بن أسد النوشجاني، قال: حدثني محمد بن يزيد بن زيان قال: أخبرني رجل عن حماد الراوية، قال أمر النعمان، فنسجت له أشعار العرب في الطنوج، قال: وهي الكراريس، ثم دفنها في قصره الأبيض، فلما كان المختار بن أبي عبيد

(١) الخصائص ٢ / ٥ .

(٢) الخصائص ١ / ٨٦ - ٧٧، وكذا: معجم الأدباء ٢ / ١٠٥ وفصول في فقه العربية ٣٩١.

قيل له: إن تحت القدر كترًا، فاحتفرفه فأخرج تلك الأشعار، فمن ثم أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة^(١).

ونستطيع أن نقرر أن هذا العالم الفذ، الذي لم يكن يقنع بترديد ما سبق من علم وأدب، دون إعمال فكر ونظر، نقرر بأنه استطاع بما حباه الله من ذكاء متوهج ونباهة وعمق بصيرة، أن يصنع في العربية أبوابًا لم يسبقه فيها أحد، فقد وضع أصولاً - غير مسبوقه - في الاشتقاق ومناسبة الألفاظ للمعاني، وكان في ذلك إمامًا، ينبغي أن يتبعه تلاميذه، ليستفيدوا من فكره وعلمه، والحق فإن علماء عديدين قد استفادوا من علمه ونقلوا عنه، بيد أننا نجد اللغوي الكبير ابن سيده، قد نقل من تراث ابن جنى وفوائده، وبحوثه، في كتابه: المخصص، ففي هذا الكتاب، فصل كامل^(٢) هو من صنع ابن جنى، لم يعزه ابن سيده إليه، ولقد أوقع هذا الإغفال في نسبة المنقول لابن جنى أوقع ذلك العالم اللغوي ابن منظور في خطأ كبير، حيث نجده يعزو أخذه للفصل السابق إلى ابن سيده، وهو في الحق لابن جنى، ولعل مقارنة بين نص ابن جنى في الخصائص، ونص ابن سيده في المخصص تؤكد ذلك، يقول ابن جنى: «واعلم فيما بعد - أنني على تقادم الوقت دائم التنقير والبحث عن هذا الموضوع، فأجد الدواعي والخوارج قوية التجاذب لي، مختلفة التغول على فكري...»^(٣) ويقول ابن سيده: «وقد أدمت التنقير

(١) الخصائص / ١ / ٣٧٨.

(٢) المخصص / ١ / ٣ وما بعدها.

(٣) الخصائص / ١ / ٤٧.

والبحث مع ذلك في هذا الموضوع، فوجدت الدواعي والخوارج قوية التجاذب لي، مختلفة جهات التغول على فكري... (١).

وبعد.. فإن هذا البحث قد أراد له صاحبه أن يؤكد أن علماءنا العرب، في مجال اللغة والنحو وغيرها، ينبغي علينا أن نعيد قراءة أعمالهم ومؤلفاتهم العديدة في ضوء المناهج اللغوية الحديثة، لنكشف عن معادنها النفسية وجواهرها الثمينة، ونعرف إلى أي حد كان هؤلاء العلماء على درجة من البراعة والذكاء والتوقد، وأنهم تناولوا قضايا عديدة، هي الآن أحدث ما توصلت إليه نظريات البحث اللغوي، وأنه ينبغي أن نضع هؤلاء العلماء في المكانة العالية والمنزلة الرفيعة التي يستحقونها بكل اقتدار.

(١) المخصص ٦ / ١ والحق فلان ابن سيده من العلماء اللين يلتزمون نسبة النصوص إلى أصحابها، وكتابه المخصص يشهد بذلك! ولعل هنا الإغفال من صنع الناخ بدليل تنويهم عن يباضٍ ومحوٍ في مواضع عديدة من الكتاب!!

المراجع العربية والاجنبية

- الخصائص، لابن جنى - تحقيق محمد على النجار - القاهرة
١٩٥٢ - ١٩٥٦ م.
- دراسات فى نحو اللغة العربية الوظيفى، د/ أحمد المتوكل -
المغرب
١٩٨٦ م.
- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني - تحقيق محمود
محمد شاکر - القاهرة
١٩٨٤ م.
- شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، تحقيق طه محمد
الزینى - القاهرة
١٩٦٦ - ١٩٧٠ م.
- علم اللغة، نشأته وتطوره، د/ محمود جاد الرب - القاهرة ١٩٨٥ م.
- اللسانيات واللغة العربية، د/ عبد القادر الفاس الفهرى -
المغرب
١٩٨٢ م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د/ تمام حسان - القاهرة
١٩٧٩ م.
- اللغة والمسئولية، نوعم تشومسكى - ترجمة وتمهيد
وتعليق د/ حسام البهنساوى - القاهرة
١٩٩٧ م.
- محاضرات فى علم اللغة العام، دى سوسير - ترجمة
د/ أحمد نعيم الكراعين - الإسكندرية
١٩٨٥ م.
- مظاهر النظرية التحوية، نوعم تشومسكى - ترجمة مرتضى
جواد باقر - العراق
١٩٨٣ م.

- المعرفة اللغوية، نوح تشومسكى - ترجمة د/ محمد فتح -
القاهرة
١٩٩٣ م.
- نظرية تشومسكى اللغوية - جون ليونز - ترجمة
د/ حلمى خليل - الاسكندرية
١٩٨٥ م.
- الوظائف التداولية فى اللغة العربية، د/ أحمد المتوكل -
المغرب
١٩٨٥ .
- 1- N, Chomsky: Aspects of the theory of syntax, Cambridge,
Mass, MIT press, 1971.
- 2- N, Chomsky: Lectures on government and binding, dor-
drecht foris, 1981.
- 3- N, Chomsky: Remarks on core Grammar, Mspisa, Scuola,
normal superiore, 1979.
- 4- N, Chomsky: Some Concepts and consequences of the theo-
ry of government and binding, Cambridge, MIT press,
1982.
- 5- N, Chomsky: syntax structures, the Hague Mouton trad Fr-
Ed, seuil 1969.
- 6- E, Sapir: Langnage, New York, 1921.

المبحث الثالث

الاطراء والعدول في لغة الحديث النبوي الشريف
دراسة أسلوبية في الأصوات والأبنية والتراكيب

تعمير

إن قضية الاستشهاد بلغة الحديث النبوي الشريف، هي من القضايا اللغوية الهامة التي توجب على الباحثين والدارسين ضرورة البحث والدراسة، في محاولة للإجابة عن السؤال المطروح، حول امتناع علماء النحو العربي الأوائل عن الاستشهاد بلغة الحديث.

وبعد التقدم المسلموس الذي شهدته الدراسات الأسلوبية الحديثة، وبخاصة في الربع الأخير من القرن العشرين، فإن اختبار مصداقية هذه الدراسات ومناهجها، في دراسة قضية الاستشهاد بلغة الحديث النبوي الشريف، يعد أمرا ضروريا ومطلبا علميا، ينبغي على الدارسين أن ينهضوا به، من أجل التوصل إلى النتائج الدقيقة والحقائق الأصلية، حيث أثبتت الدراسات التطبيقية لمناهج الأسلوبية جداولها وفاعليتها في مجالات عديدة سواء في مجال الدراسات اللغوية أو الدراسات الأدبية وغيرها من الدراسات.

وفي هذا الصدد، ينبغي أن نقدم توضيحا موجزا، حول مناهج الدراسات الأسلوبية واتجاهاتها وأن نتخير منها ما يتوافق ويتواءم مع دراساتنا في هذا البحث.

تتركز الدراسات الأسلوبية الحديثة على المفاهيم والأسس الآتية:

١- التركيز على العلاقة بين المنشئ والنص، وتمثل الأسلوب في اختيار المنشئ فالأسلوب هنا اختيار.

٢- التركيز على العلاقة بين النص والمتلقى، ويتمثل الأسلوب في هذا الحال في ردود الأفعال والاستجابات التي يبديها القارئ أو السامع حيال المنبهات الأسلوبية الكامنة في النص، فالأسلوب قوة ضاغطة على حساسية المتلقى.

٣- التركيز على الموضوعية بعزل كل من المنشئ والمتلقى والتماس الأسلوب في وصف النص ووصفا لغويا، وثمة اتجاهات ثلاثة في هذا الأساس وهي:

(أ) اتجاه يرى الأسلوب انحرافا على النمط.

(ب) اتجاه يرى الأسلوب إضافة إلى تعبير محايد.

(ج) اتجاه يرى بأنه خواص متضمنة في السمات اللغوية تتنوع بتنوع البيئة والسياق^(١).

ويجدر بنا بعد هذا العرض الموجز لمفاهيم الأسلوبية واتجاهاتها المختلفة، أن نستضيء بحديثين شريفيين لنحدد من خلالهما المفهوم الأسلوبى المناسب الذى ينسجم مع طبيعة الأحاديث النبوية ومنطلقاتها اللغوية.

الحديث الأول:

يقول رسول الله ﷺ: «أنا خير من نطق بالضاد بيد أنى من قرئش ونشأت فى بنى سعد فأتى لى اللحن»^(٢).

- (١) انظر الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ط ٣ ص ٤٥ والأسلوب والأسلوبية ٥٧ - ١٠٦ والأسلوب، مدخل نظرى ودراسة تطبيقية ١٣ - ٢٢ ومقالات فى الأسلوبية ١٤٧ - ١٦٥.
- (٢) المقاصد الحسنة ٩٥ والنشر فى القراءات العشر ١ / ٢٢٠ والمصنوع فى معرفة الحديث الموضوع ٦٠ وكشف الخفاء ١ / ٢٠.

الحديث الثاني:

يقول رسول الله ﷺ: «أمرت أن أخطب الناس على قدر عقولهم»^(١).
يأتي الحديث الأول: «أنا أفصح من نطق بالضاد...» متفقاً مع ما ورد
في الاتجاه الذي يقول بأن الأسلوب إضافة إلى تعبير محايد من جهة، كما
يتفق مع القول بأنه اختيار، من جهة أخرى، فأفضلية الرسول ﷺ الذي
أدبه ربه فأحسن تأديبه، تمكنه من أن يختار النموذج الأمثل من الكلام
العربي الفصيح، الذي يفوق في فصاحته وبيانه أرباب الفصاحة والبيان.

أما الحديث الثاني: «أمرت أن أخطب الناس على قدر عقولهم، فإنه
يتفق مع المبدأ القائل بأن الأسلوب عبارة عن خواص متضمنة في السمات
اللغوية، تنوع بتنوع البيئة والسياق، وهذا يعني أن كل سمة لغوية، تتضمن
في ذاتها قيمة أسلوبية معينة، وأنها تستمد قيمتها الأسلوبية من بيئة النص أو
الموقف، الذي تعبر عنه، وينشأ عن هذا القول، الاعتراف بوجود تعبير
محايد، وتعبير متأسلب، إذ كل سمة، هي بالقوة سمة أسلوبية»^(٢).

كما يتفق الحديث النبوي الثاني في مقصوده، مع مفهوم كون الأسلوب
اختياراً أو انتقاء، يقوم به المنشئ بسمات معينة، بغرض التعبير عن موقف
معين، وبدل هذا الاختيار أو الانتقاء على إثارة المنشئ لهذه السمات على
أخرى بديلة»^(٣).

(١) المقاصد الحنة ٩٣ وكشف الخفاء ١ / ١٩٦.

(٢) انظر الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ٤٣.

(٣) انظر: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ٣٨ وكذا: دليل الدراسات الأسلوبية ٣٦ وما بعدها،
وكذا: الأسلوب والأسلوبية ٧١ - ٧٨، ٨٢ - ٨٣، ٢٤٦ - ٢٥٠ والأسلوبية مدخل نظري
ودراسة تطبيقية مدخل نظري ٢١ - ٢٢.

تلك هي الأسس الأسلوبية، التي نراها مناسبة للنظر إلى لغة الحديث النبوي الشريف، باعتباره نصاً أدبياً، يمثل رسالة موجهة من النبي ﷺ إلى المسلمين أجمعين، باعتبارهم متلقين لهذه الرسالة، ومن الواضح الجلي، أن الرسول ﷺ قد استخدم في التعبير في أحاديثه الشريفة، نفس النظام اللغوي المشترك، بينه وبين متلقيه، من المتكلمين باللغة العربية، وأنهم كانوا يتلقون أحاديثه الشريفة بالفهم والاستيعاب، والعمل والافتداء والسلوك، لأن كلاً من الرسول ﷺ والمستمعين إليه، على علم بمجموعة الأنماط والعلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، التي تمثل نظام اللغة العربية، وهو النظام الذي يلي عمليات الاتصال بين أفراد الجماعة اللغوية.

وإذا كان علماء النحو العربي الأوائل الذين أسسوا صرح علم النحو العربي وعلوم العربية وغيرها، قد شمروا عن موائد الجهد والاجتهاد، من أجل النهوض، بهذه العلوم، التي تحفظ للغة العربية سلامتها وقصاحتها وصحتها من برائث اللحن والانحراف، عن مستواها الصوابي، الذي أنزل الله سبحانه وتعالى على سمته القرآن الكريم، وأنشأ الشعراء والخطباء والفصحاء على منوالها إنتاجهم الأدبي. . . إذا كان هؤلاء الأوائل قد اعتمدوا في تعيينهم وتأسيسهم لعلم النحو على أساس معياري يطرده معه القياس على الأنماط اللغوية المختلفة، فإن المبدأ الذي اعتمدوا عليه، يتفق مع المبدأ الذي قرره الحديث النبوي الشريف: «أنا أفصح من نطق بالضاد. . .» ناهيك عن تميز حديث الرسول وأفضليته.

ونحن في هذا البحث معنيون في المقام الأول بإلقاء الضوء والبحث

على حدود ومدى اطراد لغة الحديث النبوي الشريف مع القواعد النحوية التي وضعها النحاة العرب مصادر احتجاجهم على القرآن الكريم من جهة وعلى لغة الشعر العربي والثر من جهة أخرى.

وعلى الرغم من غموض معايير قصرهم الاحتجاج، على هذه المصادر وعدم دقتها وتوحيدها، حيث نجد علماء البصرة يتشددون في القياس، ويحددون البيئة المكانية في قبائل بعينها، لا يأخذون بمن سواها من سائر قبائلهم، وهي قبائل قيس وتميم وأسد^(١) وكانوا يتباهون بأنهم يأخذون اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع، والكوفيون يأخذون اللغة عن أهل السواد وأصحاب الكواميخ وأكلة الشواريز. (٢).

فإننا نجد علماء الكوفة، قد وسعوا دائرة القياس، فقد كانوا يجعلون من البيت الواحد أصلاً، يصلح للتبويب عليه، كما أنهم توسعوا في الأخذ عن جميع القبائل العربية، و الفصيحة وغيرها (٣).

(١) انظر: الاقتراح ١٩ والمزهر ١ / ٢١١ والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اتقى، و عنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب عن قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الإعراب والتصريف، ثم هليل وبعض كنانة، وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم.

(٢) انظر: أخبار النحويين ٦٨ والفهرست ٩٢ والاقتراح ٨٤.

(٣) يقول أبو زيد الأنصاري: (قدم علينا الكسائي البصرة، فلقى عيسى والخليل وغيرهما، وأخذ منهم نحواً كثيراً، ثم صار إلى بغداد، فلقى أعراب الحطمة، فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن، فأفسد بذلك ما كان أخذه بالبصرة كله مراتب النحويين ٧٤ ومعجم الأبياء ١٢ / ١٩٠ ويقول ابن درستويه: كان الكسائي يسمع الشاذ، الذي لا يجوز إلا في الضرورة، فيجمله أصلاً فيض عليه واختلط بأعراب الأبله، فأفسد بذلك النحو، ومعجم الأبياء ١٢ / ١٨٣ وأبياء الرواة ٢ / ٢٧٤).

لقد أخطأ كل من الفريقين في وجهة نظره، فالبصريون الذين حددوا البيئة المكانية في قبائل بعينها، ولم يفرقوا بين الفصيح وغير الفصيح، من كلامها ولم يدركوا الفروق بين المستويات اللغوية، فثمة لغة فصيحة، وأخرى عامية، يتكلم بها أفراد البيئة اللغوية الواحدة، بحسب نوعية المتكلمين وثقافتهم من جهة، وبحسب حالات الكلام وأحواله من جهة أخرى، وكذا كان الحال عند الكوفيين، الذين خلطوا بين الفصيح وغير الفصيح، بأخذهم عن كل العرب.

ولكن هؤلاء النحاة الأوائل، مع هذا التداخل والغموض في معاييرهم، فإنهم لم يأخذوا بلغة الحديث النبوي الشريف في الاحتجاج على اللغة العربية الفصيحة، ومن العجيب أن هؤلاء العلماء، على قدرهم وثقافتهم، كانوا يعتقدون هؤلاء البدو، وكانوا يعتقدون أن اللغة العربية تجري في دمائهم، غير مدركين حقيقة أن اللغة أمر مكتسب، يمكن أن يتقنها غير أهلها، إذا مارسوها طويلاً منذ العولد^(١) ويقول تولدكته: «ويصلح كل بدو الجزيرة العربية باستثناء الأماكن المتطرفة، لأن يُعدوا أصحاب هذه اللغة العربية الصافية، حتى بعد محمد ﷺ بمائتي عام، وإن أعلم علماء النحو، ليجعل من أول شخص قادم بإبله وذلك البدوي الذي لم يتعلم ولا يحفظ عشرين آية كاملة من القرآن الكريم، ولا يعرف شيئاً عن مفاهيم النحو النظرية، ذلك البدوي يجعل منه النحاة حكماً فاصلاً، في هل يجوز أن يقال كذا أو كذا في اللغة العربية»^(٢).

(١) انظر: فصول في فقه العربية ١٠٦.

(٢) اللغات السامية ٨٦ وكذا، فصول في فقه العربية ١٠٦.

وفي عجيب أمر هؤلاء النحاة الأوائل أن ينصرفوا عن لغة الحديث النبوي الشريف، على الرغم من أنهم يعلمون يقينا أن الذين تلقوا الأحاديث مباشرة عن الرسول ﷺ وقاموا بروايتها، هم صحابته الكرام رضي الله عنهم، وهم كانوا من العرب الخالص، ويتمتعون بالفصاحة والبيان، فلو أن واحدا منهم خانته ذاكرته في خصوص اللفظ لأدى المعنى بالفاظ فصيحة من عنده... .
 وأما التابعون، الذين جاءوا بعد ذلك، ورووا الأحاديث عن الصحابة الكرام، فهم إما عرب أقحاح يتمتعون بالفصاحة والبيان، وإما أعاجم، علماء بالعربية، درسوها وحذقوها، وأصبحوا من أربابها وحماتها^(١)، لقد كان هؤلاء الرواة من التابعين، وتابعي التابعين، يعضون على ما تلقوه من الأحاديث بالنواجذ، وأنه كان لهم من البصر بنقد ما تلقونه من أحاديث، سنداً وامتناً إلى الدرجة التي تدعونا إلى الاطمئنان عليهم وإليهم من حيث المحافظة على النص، ولا سيما أن الاعتماد على التلوين من شأنه، أن يعينهم على عدم النسيان، ولم يكن هؤلاء الرواة التابعون من الأعاجم، يروون الأحاديث، في عالم غير عالم النحاة، الذين بدءوا جهودهم النحوية، في مجتمع فصيح، أي إن هؤلاء المحدثين من الأعاجم كانوا يروون ما معهم من أحاديث في وسط فصيح، ولم نسمع أن الأحاديث التي

(١) والقول بأن رواية الحديث أعاجم ليس بشيء، لأن ذلك يقال في رواية الشعر والشعر الذين يحتج بهما، فإن منهم الكثير من الأعاجم وهل في وسعهم أن يذكروا لنا محدثنا، ممن يعتد به يمكن أن يوضع في صف حماد الراوية، والذي كان يكذب ويكسر ومع ذلك لم يتورع الكوفيون ومن نهج منهجهم عن الاحتجاج بروايتهم، ولكنهم تخرجوا من الاحتجاج بالحديث، نظرة في النحو العربي مجلة المجمع العلمي بدمشق ١٤، ٣٢ - ٣٢٧.

كانوا يرونها، خالفت القواعد، أكثر مما خالفها الشعر العربي، والمشمول على الضرائر والرخص^(١).

على الرغم من ذلك، نرى النحاة يقيمون نحوهم على الشعر، وهو لغة خاصة وغير النثر، ويتركون الأحاديث، وهي أقل مخالفة لقواعدهم من الشعر.

وقد يتعلل هؤلاء النحاة، أن الرواية في الحديث النبوي، قد سمح فيها بأن تكون بالمعنى، وعلى فرض وقوع ذلك، فالمغير لفظاً بلفظ في معناه عربى فصيح، يحتج بكلامه في اللغة، ولم يكن هناك أكثر دقة وتحريماً من هؤلاء في ضبطهم لالفاظ الحديث... ثم إن كثيراً من رواة الحديث من الصحابة والتابعين، كانوا قد دونوا في عهد النبي ﷺ منهم: عهد الله بن عمرو بن العاص، الذى كان يكتب الحديث في حياة رسول الله ﷺ وهو الذى يروى عن عبد الله بن عمر وأنس بن مالك وسهل بن سعد الساعدي من الصحابي الكرام^(٢) فالرواية بالمعنى، هو مذهب جمهور السلف والخلف، وهو المذهب الذى تشهد به أحوال الصحابة، وقال به الحسن البصرى والشعبى والنخعي وعمرو بن دينار وسفيان الثوري وحماد بن زيد، وهو مذهب الأئمة الأربعة^(٣).

كما يقول الرامهرمزي: «قد دلّ قول الشافعي في صفة المحدث، مع رعاية اتباع اللفظ على أنه يجوز للمحدث أن يأتي بالمعنى دون اللفظ، إذا

(١) أصول النحو، للأفغانى ٣٠.

(٢) انظر: في أصول النحو ٥٠ - ٥٥.

(٣) انظر: تحرير الرواية في تحرير الكفاية ٩٩.

كان عالما بلغات العرب، ووجوه خطايبها، بصيرا بالمعاني والفق، عالما بما يحيل المعنى وما لا يحيله، فإنه إذا كان بهذه الصفة، جاز له نقل اللفظ، فإنه يحترز بالفهم عن تغيير المعاني، وإزالة أحكامها، ومن لم يكن بهذه الصفة، كان أداء اللفظ لازما، والعدول عن هيئة ما يسمعه عليه محظورا^(١) وقال قتادة عن زرارة بن أوفى: لقيت عدة من أصحاب النبي ﷺ فاختلفوا في اللفظ واجتمعوا على المعنى^(٢).

كما يروى الخطيب عن علي بن خشرم قوله: كان ابن عيينه يحدثنا، فإذا مثل بعد ذلك حدثنا بغير لفظ الأول، والمعنى واحد^(٣).

نقول: إنه على الرغم من الشروط التي ذكرها علماء الحديث، في صفة الراوي، وما ينبغي أن يكون عليه من علم وفصاحة وفقه وسلوك^(٤). فإننا نجد علماء النحو، من الرعيل الأول يستشهدون بالشعر العربي، الذي جاء معظمه عن طريق الرواية - أيضا - حيث كانت الرواية شائعة في الكثير من الشواهد الشعرية، يشهد لنا بذلك، تعدد الروايات في الشاهد الواحد^(٥) لقد كان هذا شأن الرعيل الأول من النحاة العرب، الذين امتنعوا عن الاستشهاد بلغة الحديث النبوي الشريف، والحق أن أحدا من هؤلاء العلماء

(١) الرسالة، للشافعي ٧٤٤، ٧٥٧ ومواضع أخرى.

(٢) المحدث، الفاضل.

(٣) تحرير الرواية في تقرير الكفاية ٣١٦.

(٤) أجمع العلماء على أن الراوي إذا لم يكن عالما عارفاً بالألفاظ وملولاتها ومقاصدها، خيرا بما يحيل معانيها، بصيرا بمقادير الضاوت بينها فإنه لا يجوز له الرواية بالمعنى، بل يتعين عليه أن يؤدي اللفظ نفسه، الذي سمعه، لا يخرم منه شيئا، لا يدل لفظا بلفظ.

(٥) أصول النحو ٣٠.

لم يصرح - في حدود علمنا - برفضه المعلن، عن عدم الاستشهاد بلغة الحديث النبوي وإنما يشهد امتناعهم عن ذلك دليلاً على موقفهم غير المعلن.

وإذا كان هذا هو شأن النحاة الأوائل، فلم يكن ذلك، هو شأن أقرانهم من علماء اللغة، فليس فيهم من منع الاستشهاد بلغة الحديث النبوي الشريف.

فقد ورد ذكر عديد من هؤلاء العلماء اللغويين، نذكر منهم، أبا عمرو ابن العلاء والخليل والكسائي والقراء والأصمعي وأبا عبيد وابن الأعرابي وابن السكيت وأبا حاتم وابن قتيبة والمبرد وابن دريد وأبا جعفر النحاس وابن خالوية والأزهري والفارابي والصاحب بن عباد وابن فارس والجوهري وابن بري وابن سيده وابن منظور والفيروزا بادي وغيرهم^(١).
ثم تأتي بعد ذلك مرحلة لاحقة ينقسم فيها النحاة إلى اتجاهات ثلاثة، حول الأخذ والاستشهاد بلغة الحديث النبوي الشريف.

الاتجاه الأول:

ويرى علماء هذا الاتجاه الاحتجاج بلغة الحديث النبوي الشريف، ويقول ابن الطيب: «وذهب إلى الاحتجاج به، والاستدلال بألفاظه وتراكيبه: جمع من الأئمة، منهم: شيخا هذه الصناعة وأمامهما الجمالان ابن مالك وهشام، والجوهري وصاحب البديع والحريري وابن سيده وابن فارس وابن خروف وابن جني والسهيلي وغيرهم وقد أكثر السهيلي (ت ٥٨١ هـ) الاستشهاد بالحديث في كتابه: أمالي السهيلي في النحو واللغة والحديث

(١) محاضر الجلسات ٣٠١.

والفقه، وفاقهم في ذلك كله ابن مالك، ويبلغ الذروة في كتابه: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، فقد عقد الكتاب للأحاديث التي يشكل إعرابها وذكر لها وجوهاً يستبين بها أنها من قبيل العربي الفصيح^(١) كما أكثر ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) بما وقع في الأحاديث، على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب، ولا سيما في كتابه: التسهيل، إكثاراً ضاق به أبو حيان، شارح التسهيل غير مرة، حتى غلا في بعض هذه المرات فقال: والمصنف أكثر من الاستدلال بما ورد في الأثر، متعقباً بزعمه على النحويين، وما أمعن النظر في ذلك، ولا صحب من له التمييز^(٢).

كما أكثر ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) تلميذ أبي حيان الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في كتبه، حتى قيل: لقد كان كثير المخالفة لشيخه أبي حيان، شديد الانحراف عنه^(٣) كما أقر هنا الاتجاه وأيده: البدر الدماميني (ت ٨٢٨ هـ) في شرحه للتسهيل، المسمى: تعليق الفرائد على تسهيل الفرائد^(٤).

الاتجاه الثاني:

يرفض علماء هذا الاتجاه الاستشهاد بلغة الحديث النبوي، وهم يصرحون بهذا الرفض علانية على غير ما كان من النحاة الذين امتنعوا عن ذلك دون تصريح بالرفض.

ويأتي في مقدمة هؤلاء العلماء المانعين للاستشهاد بلغة الحديث النبوي كل من أبي حيان في شرح التسهيل وأبي الحسن بن الضائع في شرح الجمل

(١) انظر: تحرير الرواية في تقرير الكفاية ٩٩. (٢) الاقتراح ٥٣.

(٣) بغية الرعاة ٢ / ٦٩. (٤) انظر خزنة الأدب ٧ / ١.

وتابعهما في ذلك: السيوطي، وأكد ابن الطيب أنه لا يعلم أحداً من علماء العربية خالف العلماء في الاحتجاج بالحديث النبوي سوى هؤلاء العلماء^(١) كما يقول البغدادي: «قال أبو الحسن بن الضائع، في شرح الجمل: تجويز الرواية بالمعنى، هو السبب عندي في ترك الأئمة، كسيويه وغيره الامتسهاد على إثبات اللغة بالحديث، واعتمدوا في ذلك على القرآن الكريم، وصریح النقل عن العرب، وقد جرى الكلام في ذلك، مع بعض المتأخرين الأذكياء، فقال: إنما ترك العلماء ذلك، لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ رسول الله ﷺ إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن الكريم، في إثبات القواعد الكلية - وإنما كان ذلك لأمرين:

أحدهما:

أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى، نحو ما روى من قوله: «زوجتكها بما معك من القرآن، «وملكتكها بما معك من القرآن»^(٢).

والثاني:

أنه وقع اللحن كثيراً فيما روى من الحديث، لأن كثيراً من الرواة، كانوا من غير العرب، ونعلم قطعاً من غير شك، أن رسول الله ﷺ كان أفصح العرب، فلم يكن يتكلم إلا بأفصح اللغات، وأحسن التراكيب وأشهرها وأجزلها، وإذا تكلم بلغة غير لغته، فإنما يتكلم بذلك مع أهل تلك اللغة على طريقة الإعجاز^(٣).

(١) انظر: تحرير الرواية في تقرير الكفاية ٩٦ - ٩٧.

(٢) صحيح البخاري ١/ ١٢١ وصحيح مسلم ٤/ ١٤٤ وسنن النسائي ١/ ١١٣.

(٣) الخزانة ١/ ٥.

الاتجاه الثالث:

ويرى علماء هذا الاتجاه التوسط بين منع الاستشهاد وجوازه، ويأتى فى مقدمة هؤلاء: أبو إسحاق الشاطبى (ت ٧٩٠ هـ) فى شرحه للألفية: «المقاصد الشافية فى شرح الخلاصة الكافية» حيث يقول «لم نجد أحداً من النحويين، استشهد بحديث رسول الله ﷺ وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهاهم الذين يولون على أعقابهم، وأشعارهم التى فيها الفحش والنخى، ويتركون الأحاديث الصحيحة... وأما الحديث فعلى قسمين:

قسم يعنى ناقله بمعناه دون لفظه، فهذا لم يقع به استشهاد أهل اللسان. وقسم عرف اعتناء ناقله بلفظه، لمقصود خاص، كالأحاديث التى قصد بها بيان فصاحته ﷺ ككتابه لهمدان وكتابه لوائل بن حجر والأمثال النبوية فهذا يصح الاستشهاد به فى العربية، وابن مالك لم يفصل هذا التفصيل الضرورى الذى لا بد منه، وبنى الكلام على الحديث مطلقاً، ولا أعرف له سلفاً، إلا ابن خروف، فإنه أتى بأحاديث فى بعض المسائل^(١).

كما صنف الشيخ محمد الخضر حسين الأحاديث النبوية الشريفة التى يرى أنه لا خلاف فى قبولها وصلاحتها للاحتجاج والاستشهاد بها فى اللغة والنحو، فى الأنواع الستة الآتية^(٢).

الأول:

ما يروى بقصد الاستدلال على كمال فصاحته - عليه السلام - كقوله: ﷺ: «حمى الوطيس»^(٣) قوله: «مات حتف أنفه» وقوله: «الظلم ظلمات

(١) خزائن الأدب / ١ / ٦. (٢) انظر: فى أصول النحو ٥٥.

(٣) قطعة من حديث، أخرجه مسلم فى صحيحه ١٦٧ / ٥ ومسند أحمد ١ / ٢٠٧.

يوم القيامة»^(١) إلى نحو هذا من الأحاديث القصار المشتملة على شيء من محاسن البيان، كقوله: «فارجعن مأزورات غير مأجورات»^(٢) وقوله: «إن الله لا يمل حتى تملوا»^(٣).

الثاني:

ما يروى من الأقوال التي يتعبد بها أو أمر بالتعبد بها كألفاظ القتوت، والتحيات، وكثير من الأذكار والأدعية، التي كان يدعو بها في أوقات خاصة^(٤).

الثالث:

ما يروى على أنه كان يخاطب كل قوم من العرب بلغاتهم، ومما هو ظاهر أن الرواة يقصدون في الأنواع الثلاثة إلى رواية الحديث بلفظه.

الرابع:

الأحاديث التي وردت من طرق متعددة، واتحدت ألفاظها، والمراد أن تعدد طرقها إلى النبي ﷺ أو إلى الصحابة أو إلى التابعين، الذين ينطقون الكلام العربي الفصيح.

(١) صحيح البخارى ٩٩ / ٣ وفتح البارى ٥ / ١٠٠ وصحيح مسلم بشرح النووي ١٦ / ١٣٤ والجامع الصغير ١ / ٩.

(٢) سنن ابن ماجه ١ / ٥٠٣.

(٣) قطعة من حديث في صحيح البخارى ٧ / ٥٠ وصحيح مسلم ٢ / ١٨٩ وفتح البارى ١٠ / ٣٤٠.

(٤) يقول ابن حجر: الأقوال المنصوطة، إذا تعبد بلفظها، لا يجوز تغييرها، ولو وافق المعنى. . . انظر فتح البارى ٨ / ٣٠٨.

الخامس:

الأحاديث التي دونها من نشأ في بيئة عربية، لم يتشرف فيها شاذ اللغة كمالك بن أنس وعبد الملك بن جريح والشافعي.

السادس:

ما عرف من حال رواة أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى، مثل: ابن سيرين والقاسم بن محمد ورجاء بن حيوة وعلي بن المديني.

نماذج تحليلية للغة الحديث النبوي الشريف

لعله من المفيد أن نذكر أن اللغة العربية أوسع من النحو العربي، لأن قواعد النحو، أنيط بها تنظيم ما أطرده من اللغة، ثم يبقى بعد ذلك جزء من اللغة لا يخضع لقواعد النحو، بسبب عدم اطرادها، وهو جزء من اللغة، يتساوى مع المطرد في الفصاحة.

فمن قواعد الأصول عند النحاة قاعدة تقول «الشذوذ لا ينال الفصاحة»:

لقد جاءت أحاديث النبي ﷺ بلسان عربي فصيح وامتدت تراكيبه على رحاب اللغة، ولم تنحبس في بوتقة القواعد النحوية أو الصرفية أو الصوتية، فلغة الحديث النبوي الثابت بلفظه الكريم، أو المرورية بالمعنى، بالفاظ الصحابة والتابعين من العرب الفصحاء والأعاجم المشهود لهم بالفصاحة تهيمن على اللغة العربية كلها، ما أطرده منها، وما لم يطرد^(١).

ويرى العلماء أن الأسلوب العدولي، هو الخارج عن الأصل، أو المخالف للقواعد، ولكن هذا الخروج، أو تلك المخالفة اكتسبها في الاستعمال الأسلوبى قلداً من الاطراد، فإتتهما من الأصول التي يقاس عليها^(٢).

أولاً: المستوى الصوتي:

ذكرت كتب الحديث مجموعة من الأحاديث النبوية، التي تمثل ظواهر

(١) انظر البيان في روائع القرآن، بتصرف في المباراة ٣٨٣.

(٢) انظر: البيان في روائع القرآن ٣٤٧.

صوتية اللهجات القبائل العربية، التي عدها العلماء، من الظواهر الصوتية اللهجية التي لا يعتد بها في التصعيد الصوتي للغة العربية الفصحى كما ذكرها العلماء، على أنها من العيوب النطقية، التي ارتفعت عليها اللغة العربية الفصيحة.

ذكرنا آنفاً أن الرسول ﷺ كان يخاطب الوفود القادمة عليه من القبائل العربية من شتى أنحاء الجزيرة العربية، كان يخاطبهم بلسانهم ولهجاتهم، وأنه ﷺ يقول في ذلك: «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم»^(١)، وليس من شك أن مخاطبة الناس على قدر عقولهم، ميزة وقدرة، لا يتمتع بها إلا الفصحاء والبلغاء، فليس ذلك انحراقاً أو بعداً عن المستوى الصوابي لقواعد اللغة^(٢).

(١) المقاصد الحسنة ٩٣ وكشف الخفاء ١ / ١٩٦ .

(٢) يقول بشر بن المعتمر: والمعنى ليس بأن يكون من معاني الخاصة وكذلك ليس بضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مثل الشرف على الصواب وحرار المتفعة، مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال وكذلك اللفظ العامي والخاصي.

بعض الظواهر اللمجية التي وردت في لغة الحديث النبوي

١- ظاهرة العطمطمانية:

وهي عبارة عن إبدال لام التعريف ميما، وينسب هذا اللقب إلى قبائل طيء والأزد، وإلى قبائل حمير من اليمن، وقد قصر بعضهم هذا اللقب في اللام الشمسية دون القمرية.

ومما ورد من ذلك في الحديث، ما رواه النمر بن تولب من قوله عليه السلام «ليس من امبر امصيام في امسفر»^(١) وقوله عليه السلام «من زنى من امبكر، فاصفعوه مائه جلدة»^(٢) ومن شواهد ذلك، قول بجير بن عنمة الطائي، أحد شعراء بني بولان: (المنسرح)^(٣).

ذاك خللي وذو يعاونني

يرمي ورائي بأمسهم وامسلمه

كما وردت أمثلة عديدة لهذه الظاهرة، ذكرها العلماء، منها ما ذكره شمر أنه سمع حميرية فصيحة، سألها عن بلادها، فقالت: النخل قل، ولكن عيشتنا امقمح امفسك امعنب امحماط طوب^(٤) ويرى الخليل أن أداة التعريف في اليمينية القديمة، هي نون نهائية في آخر الكلمة^(٥)، أما في

(١) درة الغواص ١٠٤ ومعنى اللبيب ١ / ٤٨ ومحاضرات الانبياء ١ / ٦٢.

(٢) اللسان ١٠ / ٦٨.

(٣) معنى اللبيب ١ / ٤٨ والمصاحح والشاحح ٤٨٥ واللسان ٢٠ / ٣٤٧ وشمس العلوم ٣٩ وشعر في الجاهلية والإسلام ٤ / ٣٤٤.

(٤) اللسان ١٢ / ٣٦٣.

(٥) تاريخ العرب ٧ / ٣٣.

اللحيانية والصوفية فأداة التعريف فيها هي: الهاء، إلا أن اللحيانية تستخدم: هن، وهل بجانب الهاء، ويلاحظ أن التون في: هن تدغم في الحروف الأولى من الأسماء، شريطة ألا تكون من حروف الحلق^(١)، وقلب اللام مما أمر تسوغه القوانين الصوتية، حيث تعد اللام والميم من الأصوات المائعة، التي تتبادل مواقعها، وهذه الأصوات هي: اللام والراء والميم والتون.

٢- ظاهرة الامتنان:

وهي عبارة عن نطق العين الساكنة، إذا تسلتها الطاء نونا وتنسب هذه الظاهرة إلى قبيلة سعد بن بكر وهذيل والأزد والأنصار^(٢) وقد وردت هذه في أحاديث نبوية، نذكر منها قوله ﷺ «لا مانع لما أنطيت ولا منطى لما منعت» وقوله «اليد المنطية خير من اليد السفلى»^(٣)، وكذا ما ورد في كتابه لتميم الداري: «وهذا ما أنطى محمد رسول الله لتميم الداري وإخوته: حبرون والمرطوم وبيت عينون وبيت إبراهيم، وما فيهن نظية بتذمتهم»^(٤) وفي كتابه ﷺ لوائل «وانطوا الشجبة»^(٥).

وقد وردت هذه الظاهرة في قراءة: الحسن وطلحة بن مصرف: في قوله

(١) انظر: اللهجات العربية في التراث / ١ / ٤٠٠ واللهجات العربية ١٠٤ - ١٠٥.

(٢) البداية والنهاية ٥ / ٧٦ والفتاوى للزمخشري / ١ / ٨ واللسان ٢٠ / ٢٦٠.

(٣) البداية والنهاية ٥ / ٧٦ والبحر المحيط ٨ / ٥٠٩.

(٤) مسالك الأبحصار / ١ / ١٤٧ وجمهرة رسائل العرب / ١ / ٧٢ - ٧٣ ومجموعة الوثائق السياسية

(٥) مجموعة الوثائق السياسية ١٠٧.

تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ﴾ (الكوثر: ١) حيث قرئت: إنا أعطيناك الكوثر، كما قرأ ابن مسعود والأعمش: ﴿وَأَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (وأنظاهم تقواهم).

قد وجدت هذه الصفة في المصاحف القديمة، كمصحف ابن مسعود ومصحف أبي بن كعب، ومصحف الربيع بن خيثم^(١).

ومن شواهد الاستعطاء قول الأعمش: (المتقارب)^(٢):

جِيَادُكَ فِي الْقَيْظِ فِي نَعْمَةٍ

تَصَانِ الْجَلَالِ وَتَنْطَى الشَّعِيرَا

وكذلك ما أنشده ثعلب: (الطويل)^(٣):

من المنتطيات المركب المعج بعدما

يرى في فروع المقلتين نضوب

والحقيقة، فإن هذه الظاهرة، لا يمكن تفسيرها في ضوء القوانين الصوتية بأي حال من الأحوال، فإن قلب العين نونا أمر لا تسوغه القوانين الصوتية فليس بين الصوتين أية قرابة، لا من حيث المخرج، ولا من الصفات، فالعين صوت حلقى احتكاكى مجهور، والنون صوت لثوي أنفى مجهور.

ويذكر (رايين) بعد مقارنة بين اللغات السامية، كالعبرية والآرامية والأمهرية واللهجات الحبشية القديمة، واللهجات العربية القديمة، كلهجة عمان وجنوب اليمن، بأن صيغة «نطى» هي الصيغة القديمة للفعل المتعدى

(١) مختصر شواذ القرآن ١٤١.

(٢) ديوان الأعمش ق ١٢ / ٤٩ ص ٩٩ والإبنا لآبى الطيب ٢ / ٣١٨.

(٣) اللسان ٢٠ / ٢٦٠.

بالهمزة «أنطى» وأن هذه الصيغة القديمة «أنطى» تعد الصيغة المرادفة للفعل «أعطى» حيث يقول: «ويبدل الوضع العام في العربية، على أن «أنطى» كان الصيغة المعداه بالهمزة من الفعل: «نطى» وهو الفعل الأقدم، الذي استبدل به في الشرق الفعل: «عطى» الذي صار مرادفاً للفعل: «نطى» بعد أن تخصص معنى الأخير^(١).

وهكذا يتهى (رايين) إلى وجود علاقة بين الفعلين: «أنطى» و «أعطى» وليس هذا تطوراً تاريخياً، قد طرأ على الفعل: «أنطى» فتحول إلى فعل «أعطى» وليس هذا يعنى أن العين يمكن قلبها نونا فى غير هذا الفعل. ويرى بعض العلماء المحدثين بأن الظاهرة، ليست مقصورة على الفعل: «أعطى» فحسب، بل يتعلق بكل عين وليتها طاء، أو صوت آخر، فلعل من القبائل من كان ينطق بهذا الصوت، بصفة خاصة نطقاً أنفياً، وذلك بأن يجعلوا مجرى النفس معه من القم والأنف، فتسمع العين ممتزجة بصوت النون، وليست فى الحقيقة نونا، بل هى: «عين أنفمية» ولعل الرواة قد سمعوا هذه الصفة فى الفعل: «أعطى» وأشكلت عليهم، ولم يصفوها لنا على حقيقتها^(٢).

٢- قلب تا، جمع المؤنث ها، عند الوقف:

ومن ذلك قول الرسول ﷺ: «دفن البناء من المكرماه»^(٣).

ويعلق بعض العلماء على هذا الحديث بقوله: «حاشاه أن يقول

(١) انظر: اللهجات العربية القديمة ٧١.

(٢) فى اللهجات العربية ١٠٤ - ١٠٥ والأصوات اللغوية ٦٣.

(٣) فيض القدير ٣ / ٥٣٣ وكشف الخفاء ١ / ٤٠٧ وكتر العمال ١٦ / ٤٤٩.

ذلك كراهة للبنات بل خرج مخرج التقرب للنفس، لما عزى بابتته رقية^(١).

ومما ورد بهذا القلب، ما ذكره قطرب، بأنه سمع من يقول: «كيف الإخوة والأخوات» يريد كيف الأخوة والأخوات، ومن ذلك قولهم: «هيهاه» و «أولاه» في: «هيهات» و «أولات»^(٢).

ويذكر (رايين) بأن هذه الظاهرة توجد في بعض لهجات البدو في سوريا ونجد، ويعلل لحدوث هذه الظاهرة بأن الطبيعة الصوتية الخالصة لهذا التغيير يؤيدها وضع لهجة نعيم في شرق سوريا، وفيها تكون التاء ضعيفة وإن كانت تسمع، كما يؤيد ذلك، ما في لهجة شمر، الذي يقال إنهم من أنساب طيء، وفيها نجد الفتحة الطويلة قد وليتها ياء خفيفة^(٣)، ويبدو أن بعض طيء هؤلاء الذين يقفون بالهاء على المجموع بالالف والتاء، قد قاموا هذا الجمع بالمفرد المؤنث، وبخاصة تلك الصيغ المسبوقة بالف مد، بما يشبه تلك الصيغ بصيغ الجمع، كما في صلاة وزكاة وحياة، وقد ذكر ذلك الشيخ الأزهرى، إذ يقول عن الحديث السابق: «دفن البناء من المكرماه» بإبدال تاء الجمع هاء في الوقف، تشبيهاً بتاء التأنيث الخالصة^(٤).

(١) تميز الطيب من الخيث.

(٢) انظر: اللهجات العربية الغربية القديمة ٣٦١.

(٣) انظر: اللهجات العربية الغربية القديمة ٣٦١.

(٤) شرح التصريح ٢ / ٣٤٣.

٤- قلب الياء تاء، ثم إدغامها في صيغة: افتعل:

يقول ابن هشام في القول في صيغة: افتعل من الإزار، وايتزر، ولا يجوز إبدال الياء تاء وإدغامها في التاء، أن هذه الياء بدل من همزة، وليست أصلية، وشذ قولهم في «افتعل من الأكل: أتكل، وقول الجوهري في: اتخذ أنه: افتعل من الأخذ وهم، وإنما التاء أصل، وهو من: اتخذ، كاتبع من: تبع.

وقد أجاز البغداديون الإبدال من ذى الهمزة، وذكروا لذلك أمثلة وألفاظا منها: أتزرُوا تمن، من: الإزار والامان، وأتهل من الأهل، وأتخذ من الأخذ^(١) وعلى هذا النحو الذى أجازوه الكوفيون، وردت أحاديث نبوية، روتها كتب الحديث، نذكر منها قوله ﷺ: «إن كان قصيرا فليتر به»^(٢) بالإبدال والإدغام، وكما رواه جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «من لم يجد ثوبين، فليصل في ثوب واحد ملتصقا، فإن كان الثوب قصيرا فليتر به» وقوله ﷺ في حديث عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يأمرني إذا حضت أن أتزر^(٣)، بالإدغام».

(١) انظر شرح المرادى ٦ / ٧٨ وأوضح المسالك ٣ / ٣٣٩ يقول ابن جنى: «وإنما كتبت الهمزة واو مرة وياء أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف، سر صناعة الإعراب ١ / ٤٦ ويقول أحمد بن محمد الرازى: وأما الهمزة المحققة فأصلها أن تكتب على صورة الألف اللينة، وإنما تكتب مرة أخرى واوً وأخرى ياء، على مذهب التخفيف، وانظر ثلاثة كتب في الحروف ١٥٦ فصيغة افتعل من الإزار، سهلت فيها الهمزة، فقلبت ياء، وليس ثمة ما يمنع من قلب الياء في صورتها المنخفضة هذه إلى تاء، ثم تدغم في تاء افتعل فبني الكلمة في صورتها المنخفضة على لغة الحجازيين في التخفيف، تسمح بتحويل الياء تاء من صيغة: افتعل طردا للباب على وتيرة واحدة، انظر مشكلة الهمزة العربية ٢١ وما بعدها.

(٢) سنن الترمذى ١ / ٨٨.

(٣) الموطأ ١ / ١٤٦.

والحق، فإن منع ابن هشام قلب الياء تاء، ثم إدغامها في تاء: افتعل أمر لا مبرر له، فليس هناك ما يمنع هذا القلب، من الناحية الصوتية، بل على العكس، فإن قلب الياء تاء، يتفق مع قوانين السهولة والتيسير العضلي في النطق من جهة، وطردها للباب على وتيرة واحدة في صيغة: افتعل، من جهة أخرى، حيث تقلب الياء والواو في الأفعال واوية الفاء ويائية الفاء تاء، ثم تدغم في تاء افتعل، مثل: اتصل، اتعد، من: وصل ومن: وعد، واتسر من: يسر.

٥- في تركيب: أو مخرجي هم:

وردت هذه العبارة في حديث برواية عائشة رضي الله عنها: قال له ورقة: هذا الناموس، الذي أنزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا، إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا^(١)، أو مخرجوني هم، أي بعد إسقاط النون للإضافة، فاجتمعت واو ساكنة وياء، فأبدلت وأدغمت في الياء، وأبدلت الضمة التي كانت قبل الواو كسرة تكميلاً للتخفيف وقال القاضي أبو محمد بن حوط الله، ويجوز تثنيته وجمعه، وجعل من ذلك: «أو مخرجي هم» ويحتمل أن يكون لغة بني الحارث^(٢).

ونحن نرى أن بناء عبارة: أو مخرجي هم؟ جاءت على هذا البناء الصرفي لعلة صوتية أخرى، غير ما ذكره العلماء العرب من قولهم: لمنع

(١) صحيح البخاري ١ / ٣.

(٢) صحيح البخاري ١ / ٤ وارتشاف الضرب ١٠٨٢.

التقاء الساكنين، واو الجماعة وياء المتكلم، بعد حذف النون للإضافة، فليست واو الجمع صوتاً ساكناً وإنما هو حركة طويلة خالصة، وإنما حذفت الواو، بسبب التخلص من حدوث المقطع الصوتي المديد «ص ح ح ص» الذي لا يرد في اللغة العربية الفصحى إلا في أحوال خاصة، وهذه الأحوال هي:

١- أن يكون الصامت الأخير من المقطع ص ح ح ص، هو نفسه بداية للمقطع التالي له:

مثل: وللضالين، فالمقطع: ضال: ص ح ح ص، الصامت الأخير فيه، هو نفسه بداية للمقطع التالي، لين ص ح ح ص.

(٢) عند الوقف: مثل كلمة: دابة، التي تتكون من مقطعين هما:

ص ح ح ص + ص ح ص^(١).

٦- التخفيف في الفعل: ودع:

يقول أبو حيان: وقرأ أبو بحرية: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ (الضحى: ٣) ما وَدَّعَكَ، بالتخفيف^(٢).

وفي الحديث: «ذروا الحيشة ما وَدَّرتكم» ومنه «ليتهين أقوام عن ودَّعهم الجمعة»^(٣).

والتخفيف هنا ناتج عن سبب صوتي، يتمثل في انتقال موضع النبر من المقطع قبل الأخير في كلمة: ودَّع، إلى المقطع الأول في ودَّع، حيث يتغير

(١) انظر تفصيلات ذلك في فصول في فقه العربية ١٩٣ وما بعدها.

(٢) إرشاف الضرب ٤ / ٢٠٤٠.

(٣) سنن النسائي ٣ / ٨٨.

التنظيم المقطعي من ص ح ص + ص ح ١ + ص ح إلى التنظيم: ص ح ١ + ص ح + ص ح.

وتأتى أحاديث الرسول ﷺ في هذا المستوى الصوتي متفقة مع المبدأ الأسلوبى الذى يرى أن الأسلوب عبارة عن خواص متضمنة فى السمات اللغوية، تتنوع بتنوع البيئة والسياق^(١) وأن السمات اللغوية التى وردت فيها تتضمن قيمة أسلوبية فى حد ذاتها فالأحاديث التى كانت موجهة بالخطاب إلى القبائل اليمنية، جاءت منسجمة مع الصفات والخصائص الصوتية لهذه القبائل، من قلب لام ال التعريف ميماء، أو قلب عين الفعل أعطى، نونا فى الخطاب الموجه إلى قبائل سعد بن بكر وهذيل والأزد والأنصار، وكقلب تاء المجموع بالالف والتاء هاء عند الوقف، وغيرها من النماذج التى أسلفناها.

تتفق هذه الأحاديث النبوية الشريفة - أيضاً - مع المفهوم الذى يرى بأن الأسلوب اختيار أو انتقاء، يقوم به المنشئ بسمات معينة، يفرض التعبير عن موقف معين^(٢) وأن الرسول ﷺ قد أثر هذا الاختيار والانتقاء اللهجى دون سواء، ليخاطب به أمما وقبائل مختلفة على قدر فهمها وإدراكها، ولم يشأ أن يختار الأسلوب العربى الفصيح، لتصل رسالته إلى سامعيها ومتلقيها بالفهم والقبول، وأنه كان ينبغى على العلماء العرب الأوائل، أن يفسحوا المجال لمثل هذه الاختيارات النبوية الشريفة وأن يصنعوا لها من القواعد ما يتلاءم ويتناسب مع قواعدهم.

(١) انظر: الأسلوب، دراسة لغوية ٤٣.

(٢) انظر: الأسلوب، دراسة لغوية ٤٣.

ثانياً: المستوى الصرفي

ينبغي في هذا الصدد أن نفرق بين صيغة البنية الصرفية ووظيفتها.

البنية الصرفية:

وهي عبارة عن الشكل أو القالب أو البناء، الذي تظهر فيه الكلمة داخل التركيب، وقد تعددت صيغ الكلمة في الحديث النبوي الشريف، فجاءت في قالب الاسم والفعل والوصف والظرف والأداة والحرف.

الوظيفة الصرفية:

وهي المحصلة من استخدام الكلمة في جمل، سواء على المستوى التحليلي أم على المستوى التركيبي^(١)، وقد وردت صيغ الكلمة الصرفية، من حيث البناء القالبي، في الحديث النبوي الشريف على صور ثلاث:

الكلمة البسيطة:

وهي التي تمثل الأصل في تكوين مباني الكلمات على شتى أنواعها فهي اللفظ الذي يدل على معنى مفرد، لا علاقة فيه بين جزئه، وجزء لفظه^(٢) فإذا كانت الكلمة البسيطة اسماً، فإن الأصل فيه أن يكون مفرداً مذكراً تكرة عربي الوضع، غير وصف، ولا مزيد ولا معدل، ولا خارج عن أوزان الأحاد، ولا مواطئ للفعل في وزنه الغالب عليه، ولا المختص به، وأن يكون معرباً صحيح الأصول، دالاً على ما وضع له^(٣).

(١) أقسام الكلام العربي ٢٠٣.

(٢) المدخل إلى دراسة النحو العربي ٣٥٧.

(٣) الأصول رقم الجزء ١٣٥.

ومن صيغ القالب الاسمي الذي ورد في الحديث النبوي الشريف ما يلي^(١).

١- الاسم الذي تسمى به طائفة من المسميات، كالأعلام والأجسام والأعراض، ومن ذلك قوله: ﷺ: «اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف» وقوله ﷺ: «أرسلوا إلى أصدقاء خديجة». وغيرها من الأحاديث.

٢- اسم الحدث: الذي يدل على المصدرية، ويطلق عليه اسم المعنى، ومن ذلك قوله ﷺ: «الظلم ظلمات يوم القيامة».

٣- اسم الجنس: الذي يحتوى جنس مسماء، ومن ذلك قوله ﷺ: «إن لله أهلين من الناس».

٤- أسماء المشتقات: وصورها العديدة، ويطلق عليها الميميات، ومن ذلك قوله ﷺ: «اتقوا الملاعن واعدوا النبل».

٥- الأسماء المبهمة: التي لا تدل على معين، وهي التي تدل على الجهات والأوقات والموازن والمكاييل والمقاييس والأعداد، وهذا النوع الأخير يحتاج عند إرادة تعيين المقصود به إلى وصف أو إضافة أو تمييز ومن ذلك قوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة» وقوله: «ثم أتبعه بست من شوال».

أما إذا كانت فعلا: فأصله أن يكون ثلاثيا معربا مجردا صحيحا مبنيًا متصرفا عربى الوضع، موضوعا للمعلوم، مستندا إلى مفرد غائب، دالا على

(١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها ٩٠.

الحدث باشتقاقه، وعلى الزمن بصيغته، وقد وردت صورة الفعل بجميع قوالبه في الحديث النبوي الشريف.

أما إذا كانت وصفاً: فالأصل في الوصف أن يكون مفرداً مذكراً معرباً مشتقاً عربى الوضع، دالاً على موصوف بالحدث، موافقاً لإحدى صيغ الأوصاف^(١).

ومن قوالب الوصف في الحديث النبوي الشريف ما يلي:

(أ) صفة الفاعل: وقد وردت في الحديث النبوي، في قوله ﷺ: «يا رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة»، وقوله: «أمن من أمن الله».

(ب) صفة المفعول: ومنها قوله ﷺ: «كل أمتي معافي إلا المجاهرون».

(ج) صفة المبالغة: ومنها قوله ﷺ: «سوداء ولود خير من حستاء عقيم»، وقوله: «إن الله يبغض البخيل في حياته والسخي بعد موته».

(د) الصفة المشبهة: ومنها قوله ﷺ: «مسكين رجل لا زوج له».

(هـ) صفة التفضيل: ومنها قوله ﷺ: «الخلوف فم الصائم أحب من ریح المسك».

٣- الكلمة المركبة:

وهي اللفظ الذي يدل على معنى غير مفرد وغير تام^(٢)، والكلمات المركبة تنحصر دائماً في عدد محدد من الحروف والأسماء.

والكلمة المركبة من الحرف يختلف معناها عن معنى مفرداتها التي

(١) انظر: الأصول رقم الجزء ١٣٥.

(٢) أسر علم اللغة ١٥٦.

تركبت منها، وأمثلتها في الحديث النبوي لا تقع تحت حصر، حيث تمثلها الأدوات المركبة والحروف والظروف والأسماء وغيرها.

الكلمة التركيبية:

وهي التي تتكون عن طريق وضع جذرين (مورفيمين حريين) جنبا إلى جنب، ويجب أن يكون الجذران الحران المتجاوران متصلين اتصالا وثيقا، بحيث يمتنع الفصل بينهما، عن طريق إدخال أى شكل أو أصل لغوي آخر^(١).

أما أصول الكلمات التركيبية، فهو صورتها المجردة، غير المنطوقة، التي تتحقق بالأمثلة عند النطق^(٢) وقد وردت أمثلة عديدة لها في الحديث النبوي، ويعد النحت أحد الوسائل التي تتكون عن طريقها الكلمات المركبة أو التركيبية، حيث يتم ذلك بأن تعمد إلى كلمتين أو جملة، فتترع من مجموع كلماتها، كلمة فذة، تدل على ما كانت عليه الجملة نفسها^(٣).

(١) أسس علم اللغة ١٥٦.

(٢) الأصول ١٤٥.

(٣) الاشتقاق والتعريب ١٣ والمزهر ١ / ٤٨٣ - ٤٨٨ انظر تفصيلات حول النحت في: دور الكلمة في اللغة ١٤٣، وكنا: المقاييس لابن فارس حيث يرجع الصيغ الرباعية والخماسية في الأبنية العربية إلى النحت.

نماذج تحليلية للصيغ الصرفية في الحديث النبوي الشريف

١- من الألفاظ الملحقة بجمع المذكر السالم:

من الألفاظ الملحقة بجمع المذكر السالم كلمة: أهلون، جمع أهل، وليست الكلمة علما ولا صفة، وهي اسم جنس جامد، وقد وردت في حديث رسول الله ﷺ في قوله: «إن لله أهلين من الناس»^(٤). وفي ذلك يقول الشاعر: (الطويل)^(٢):

وما المال والأهلون إلا ودائع

ولا يبد يومئذ أن ترد الودائع

وكذلك كلمة: سنون، جمع سنة، وقد وردت في بعض روايات الحديث في قوله ﷺ: «اللهم اجعلهم عليهم سنيًا كسني يوسف»^(٣).
٢- التضمين:

وردت أحاديث نبوية شريفة تضمنت فيه حروف الجر معاني وظيفية أخرى، غير معناها، الذي تدل عليه في أصل الاستعمال اللغوي، ومن ذلك:

١- تضمين الباء معنى: بدل^(٤):

ومن أمثلة تضمين الباء معنى البدلية، قول رسول الله ﷺ: «ما يسرنى

(١) سنن ابن ماجه ١ / ٧٨ وسنن النارمي ٢ / ٤٣٣، والمعاهد الحسة ١٢٧.

(٢) انظر: شرح ابن الناظم ١٦ وشرح الأشموني ١ / ٨٦ وشرح المرادي ١ / ٩٧.

(٣) صحيح البخاري ٧ / ١٦٥ وورد الحديث «سني كسني يوسف» وسنن ابن ماجه ١ / ٣٩٤.

(٤) انظر شرح الأشموني ٢ / ٢٢٠ وشرح ابن عقيل ٣ / ١٩ وقد حفل كتاب الخصائص لابن

جنى بتدعيم هذه الفكرة وتأسيسها وقد ذكر لها كل من سيويه والكسائي وأبي علي الفارسي

أمثلة، غير أن ابن جنى هو الذي ثبت أركانها وذكر لها أمثلة عديدة من ذلك قوله تعالى: =

بها حمر النعم» ومن شواهد هذا التضمين قول الشاعر قريظ بن أنيف^(١):
(البيط):

فليت لى بهم قومًا إذا ركبوا
شئوا الإغارة فرسانًا وركبانًا
(ب) تضمين «هى» معنى: التعليل^(٢):

ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «دخلت امرأة النار فى هرة حبستها
فلا هى أطعمتها، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض»^(٣).
يقول ابن مالك، تضمن هذا الحديث استعمال فى دالة على التعليل،
وهو ما خفى على أكثر النحويين، مع وروده فى القرآن العزيز، والحديث
النبوى والشعر القديم، فمن الوارد فى القرآن العظيم، قوله تعالى: ﴿لَوْلَا
كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (الانفال: ٦٨).
ومن الوارد فى الشعر العربى القديم، قول جميل: (الطويل)^(٤):
فليت رجالا فيك قد نذروا دمي

وهموا بتلى يا بشين لقونى

= ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةٌ الصِّيَامِ الرَّقْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٧) يقول ابن جنى: الرقت يتعدى بالياء
غير أنه ضمن فى الآية معنى الإفضاء وذلك يتعدى بالياء كما يتعدى بها فى الإفضاء، انظر:
الخصائص ٢ / ٣٠٨ وما بعدها.

(١) انظر: شرح شواهد المعنى للسيوطى ١ / ٣١٦، ٢٩٠ والخزائن ٦ / ٢٥٣ والمعنى ١ / ٤-١
وجواهر الأدب ٤٠ والدرر اللوامع ١ / ١٦٧، ٢ / ١٤ ويلا نسبة فى شرح التسهيل لابن مالك
٣ / ١٥١ وشرح الشافية ٢ / ٨٠١ وشرح ابن عقيل ١ / ٥٧٧ وشرح الأشموني ٢ / ٢٢٠.

(٢) انظر شواهد التوضيح ٦٧ وشرح ابن عقيل ٢ / ٢١ وشرح الأشموني ٢ / ٢١٨ ومعنى اللبيب
رقم الجزء ٢٢٤ وارتشاف الضرب / ١٧٢٦.

(٣) صحيح البخارى ٢ / ٧٧ وصحيح مسلم ٧ / ٤٣ ومن ابن ماجه ٢ / ١٤٢١.

(٤) ديوانه ٤٢ وشواهد التوضيح ٦٧ وشرح ابن عقيل ٣ / ٢١ وشرح الأشموني ٢ / ٢١٨ ومعنى
الليبي رقم الجزء ٢٢٤.

وقول أبي ذؤيب: (الطويل)^(١):

لوى رأسه عنى ومال بوده

أغانيه خود كان فنيا يزورها

(ج) تضمين عن معنى: البدل^(٢):

وقد ورد في ذلك قول رسول الله ﷺ: «فصومي عن أمك»^(٣) ومن

ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ (البقرة: ٤٨).

(د) تضمين حرف الجر الشبيه بالزائد «رب» معنى: التكثير^(٤):

ومن ذلك ما ورد في حديث رسول الله ﷺ في قوله: «يا رب كاسية

في الدنيا عارية يوم القيامة».

ومن ذلك قول بعض العرب، بعد انقضاء شهر رمضان: «يا رب صائمه

لن يصومه، وقائمه لن يقومه».

٤- كلمة أصدقا، جمع: صديق للمذكر وصديقة للمؤنث:

ومن أمثلة جمعها للمؤنث قوله ﷺ: «أرسلوا إلى أصدقاء خديجة»^(٥)

ويقول أبو حيان: جمع صديقة، ويجوز أن يكون جمعا لصديق، إذ يطلق

على المذكر والمؤنث، تقول: هي صديقي^(٦).

٥- من أبنية الأسماء والأفعال: فيعل:

وقد ورد مثال ذلك في الحديث النبوي الشريف «أقدم حيزم»^(٧).

(١) ديوان الهنليين ١ / ٥٥ واللسان ٢ / ٣٣٧.

(٢) انظر: شرح الأشموني ٢ / ٢٢٤، معنى اللبيب ١٩٦.

(٣) صحيح مسلم ٣ / ١٥٦ وسنن الترمذي ٢ / ٨٩.

(٤) انظر شرح الأشموني ٢ / ٢٢٩ وأوضح المسالك ١٢ / ١٤٥ وشواهد التوضيح ١٠٤ وأصواب

الحديث النبوي ٣-٢ وأمالى السهيلي ٤٨ ومعنى اللبيب ١٨٠ / ٤٨.

(٥) ارتشاف الضرب ١ / ٤٤٥.

(٦) كثر العمال ٧ / ١٣٠ رقم ١٨٣٣٩.

(٧) انظر: أبنية الأسماء والأفعال ١٦٨ والروض الأثف ٣ / ٤١.

٦- بنا: مفعله من الاسم الثلاثي اللفظ أو الأصل^(١).

ومن ذلك ما ورد في حديث رسول الله ﷺ: «الولد مبسولة مجبنة»^(٢).

٧- مجنى لفظه: ست بدون التاء مع المعلوم المذكر:

يقول أبو حيان: وتضاف في النقل (أي التاء) في الحديث: «ثم أتبعه بست من شوال»^(٣) بحذف التاء يريد: ستة^(٤).

٨- دلالة لفظه جمعا على معنى: مجتمعه^(٥):

ومن ذلك ما ورد في حديث رسول الله ﷺ: «كما نتاج الإبل من بهيمة جمعاء»^(٦) أي: مجتمعه الخلق.

(١) ارتشاف الضرب ١ / ٥٠٥.

(٢) سنن ابن ماجه ٢ / ١٢٠٩.

(٣) صحيح مسلم ٨ / ٥٦ ورياض الصالحين ٤٣٧ وسنن ابن ماجه ٥٤٧ والحديث بتمامه: «من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر».

(٤) ارتشاف الضرب ٢ / ٧٥٠ وورود لفظه ست، بدون التاء هنا، ليست مع المعلوم المذكر كما ذكر أبو حيان وإنما المعلوم هنا مؤنث، وهو لفظه: ليالي مفرد ليلة وكلمة: ست، كانت في الأصل: ستس، بدليل الترتيب العددي: السادس، والكسر ستس، وقد مرت الكلمة بالتطورات الآتية: تأثرت الدال المجهورة بالسين المهموسة، فقلبت إلى الظير المهموس: وهو التاء فصارت الكلمة: ستس، أثرت التاء في السين فقلبت تاء فصارت الكلمة: ست وقد حدث ذلك في اللغة الأرامية، ولم يبق الأصل القديم إلا في الحبشية، في صيغة العدد المؤنث دون المذكر، وكذلك الحال في اللغتين الأكادية والعبرية، انظر: التطور اللغوي مظاهره وعلله، قوائمه ٥٠ وكذا انظر: القاضل للمبرد ١٩ والجعل في النحو للزجاجي رقم الجزء ٤١٧.

(٥) ارتشاف الضرب ٤ / ١٩٥٢.

(٦) صحيح البخاري ٦ / ١٤٣.

٩- التثاقل في صيغة: فعلمن، في موقع فعلوا:

وقد ورد في ذلك الحديث الشريف في قوله ﷺ «ورب الشياطين ومن أضلن»^(١) أي: ضلوا، أو أضلت، فلا تتعين فيه الواو كما قال.
وقال ابن عقيل في شرحه للتسهيل: وقد يقع فعلمن موقع فعلوا، طلبا للتثاقل، كما روى في بعض الأدعية: «اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين ومن أضلن، أي: ومن أضلت، فقال: أضلن، مشاكلة لأضلن وأقلن»^(٢).

١٠- دام التامة بمعنى: سكن:

ومنه قول رسول الله ﷺ «لا يبولن أحدكم في الماء الراكد الدائم»^(٣).

١١- إثبات ميم كلمة: فم عند الإضافة:

ومن ذلك ما ورد في حديث الله ﷺ «المخْلُوفَ فم الصائم أطيب من ريح المسك»^(٤).

وقد ثبتت الميم عند الإضافة خلافا لأبي علي الفارسي، الذي قال:

لا تثبت الميم في الفم عند الإضافة إلا في ضرورة الشعر^(٥).

(١) ارتشاف الضرب ٢ / ٩١٦ والتسهيل ٢٤ وشفاء العليل ١ / ١٨٢ وشرح التسهيل ١ / ١٣٠ والحديث في مجمع الزوائد ١٠ / ١٢٦.

(٢) انظر المساعد ١ / ٩٠.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٢ / ١٨٧ ونيل الأوطار ١ / ٣١ ومنن ابن ماجه ١ / ١٢٤ وكنا ارتشاف الضرب ٣ / ١١٥٨.

(٤) صحيح البخاري ٢ / ٢٦٦ وصحيح مسلم ٣ / ١٥٨ ومسنده أحمد ٦ / ٢٤٠.

(٥) انظر: شرح الأشموني ١ / ٧٣ والتصريح ١ / ٦٤.

يقول الراحز (١)

* صحيح ظمان وفي البحر هسه *

وتعد الميم في كلمة . فم ، من بقايا التميم في اللغة العربية ، تلك الظاهرة الشائعة في اللغة الأكادية (في الدلالة على التفخيم والتعظيم) وكذلك في العربية الجنوبية ، في مقابل التنوين ، في اللغة العربية الفصحى (٢) ولا يقتصر التميم على كلمة : فم وحدها ولكنه موجود في كلمة : ابنم في مثل قول المتملس : الطويل (٣) :

وهل لي أم غيرها إن هجومها

أبي الله إلا أن أكون لها ابنما

حيث نجد الإعراب في كلمة : ابنما موجودا في الحرفين النون والميم (٤) ، وقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة : التي وردت في كتب النحو العربي للاستشهاد بها على صحة الأبتية والقوالب العربية ، متفقة مع القواعد والأسس البنائية التي اشترطها النحاة العرب .

وتتفق هذه النماذج - أيضاً - مع ما ارتضيناه من معايير المناهج الأسلوبية للتطبيق على لغة الحديث النبوي الشريف فالنماذج السابقة تتفق مع الاتجاه الأسلوبي القائل بأن الأسلوب إضافة إلى تعبير محايد ، وهو اتجاه منبثق من

(١) البيت لرؤية في النهاية لابن الخازن ٢ / ٢٩٤ والخزانة ٤ / ٤٥١ ، ٤٦٠ والدرر اللوامع ١ / ١٤

وبلا نسبة في الهمع ١ / ٤٠ والتصريح ١ / ٦٤ وتسهيل القوائد ٩ وشفاء ١٠ / ١٢٣

شرح الكافية للرضي ٢ / ٢٦٩ وشرح التسهيل لابن مالك ١ / ٤ .

طار : أعدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٢) ديوان المتملس ق ١ / ١٠ ص ٣٠ .

نظر : تحصانصر ١ / ١٨٣ وديوان المتملس ٣٠ - ٣١ .

المفهوم الأسلوبى الذى يرى بأن الأسلوب يتركز على الموضوعية، يعزل كل من المنشئ والمتلقى، كما وردت الأمثلة من الأول إلى الثالث.

والرسول ﷺ وهو أفصح من نطق بالضاد، تعد إضافاته اللغوية إثراء للغة ومفرداتها، وتوظيفا جديدا للأبنية العربية، فى ضوء ما تسمح به قواعدها وقوانينها.

كما تتفق بعض هذه النماذج مع المفهوم الأسلوبى الذى يرى بأن الأسلوب اختيار المنشئ كالأمثلة من الرابع إلى الثامن.

ولسنا هنا فى حاجة إلى إثبات صفاء قريحة الرسول ﷺ ونقائها، فهى قريحة مصنوعة بعناية الخالق العظيم.

ومن ثم: فالنماذج السالفة تطرد قواعدها والقوانين التى تحكم هذه اللغة العربية الفصيحة.

ثالثاً: المستوى التركيبي

تنوعت مفاهيم الجملة وحدودها، عند العلماء قديماً وحديثاً سواء عند العلماء العرب أم عند العلماء الغربيين .

ثمة اتجاهان لتعريف الجملة عند العلماء العرب القدامى وهما:

الأول: ويمثله ابن جنى والزمخشري والجملة عند هؤلاء تأتي مرادفة لمفهوم الكلام، يقول ابن جنى: «أما الكلام، فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد معناه وهو الذي يسميه التحويون الجمل . . . فكل لفظ مستقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام»^(١).

أما الزمخشري: فيعد فراغه من ذكر حد الكلام، فهو يقول ويسمى جملة^(٢).

الثاني: ويمثله كل من الرضى وابن هشام.

يقول الرضى: والفرق بين الجملة والكلام، أن الجملة: ما تضمن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا، كالجملة التي هي خبر المبتدأ، وسائر ما ذكر من الجمل، فيخرج المصدر واسما الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والظروف وما أسندت إليه، والكلام: ما تضمن الإسناد الأصلي، وكان مقصوداً لذاته فكل كلام جملة ولا ينعكس^(٣).

ويقول ابن هشام: الكلام: هو القول المفيد بالقصد والمراد بالمفيد هو ما دل على معنى يحسن السكوت عليه.

(١) الخصائص ١ / ٧ .

(٢) معنى اللبيب ٢ / ٤٢ .

(٣) الكافية ١ / ٨ .

والجملة: عبارة عن الفعل وفاعله، بهذا يظهر لك أنهما ليسا بمترادفين^(١) ويعرفها من علمائنا المعاصرين الدكتور/ إبراهيم أنيس بقوله: «بأن الجملة في أقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه سواء تركيب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر كل الذي يجب أن يشترط في الكلام لثلا يكون لغوا، هو حصول الفائدة وتمامها^(٢)». كما يعرفها الدكتور/ تمام حسان بقوله: «بأن النمط التركيبي يقصد به بناء الجملة من ركنيها، وما عسى أن يكون ضروريا لعنصر الإفادة منها. والجملة العربية، تتكون من ركنين اثنين هما المسند إليه والمسند، وقد يدخل في تكوينها الحرف ليربط بين أحد الركنين، ما قد يرتبط به من تكملة، وثمة جمل عربية، لا يتضح تركيبها من ركنين إلا على تأويلات بعيدة كجملة القسم، وبعض صور الدعاء، وبعض أسماء الأفعال والأصوات، والجملة العربية لا يتضح من تركيبها إلا أنها اسمية أو فعلية، أما ما وراء ذلك فهو معلق بالقرائن المختلفة التي تترواح بين الأداة والإعراب والربط والترتبة والتضام والسياق^(٣)».

(١) معنى اللبب ٢ / ٤٢.

(٢) من أسرار اللغة ٢٦٠ - ٢٦١، وهو لا يفرق بين مفهوم الكلام ومفهوم الجملة، إذ المهم عند هو إقادة المعنى.

(٣) انظر البيان في روائع القرآن ٥٦ وما بعدها حيث وردت أنماط عديدة للجملة من حيث قبولها للأداة من جهة وما تقوم بها قرينة الإعراب والترتبة والتضام والسياق من جهة أخرى، وانظر: مفاتيح الألسنة ١٠١ وما بعدها وأسس علم اللغة ١١٢ وأصواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ١٨٨ - ٢٩٧ ومظاهر النظرية النحوية ١١ - ٣٩ وغيرها حيث وردت تعريفات عديدة للجملة عند العلماء الغربيين في الاتجاه التقليدي والاتجاه الوصفي البنيوي والاتجاه التوليدي التحويلي.

مستويات الجمل في الحديث النبوي الشريف وأنواعها

يمكننا تقسيم مستويات الجمل في الحديث النبوي الشريف وفقاً للدراسات اللغوية والأسلوبية الحديثة إلى ما يلي:

١- الجمل الكبرى

٢- الجمل الصغرى

أولاً: الجمل الكبرى: وتنقسم إلى ثلاثة أنواع وهي:

١- الجملة البسيطة: وهي التي تتألف من تركيب مستقل واحد، وهي المكونة من المسند إليه والمسند، ويعرفها (برجشترامر) بأنها الجملة الاسمية والفعلية. . والمسند إليه يقدم في الجملة الاسمية ويؤخر في الفعلية^(١)، ويعرفها ابن هشام: بأنها الجملة الصغرى وهي المبهمة على المبتدأ كالجملة المخبر عنها^(٢).

وقد وردت أمثلة عديدة لها في الأحاديث النبوية الشريفة كقوله ﷺ «الصلاة عماد الدين. .» وغيرها من الأحاديث، التي لا تقع تحت حصر.

٢- الجملة المركبة: وهي الجملة التي تتألف من تركيبين مستقلين على الأقل، تربط بينهما أداة ربط، وقد يكفى بالربط السياقي، وذلك عندما لا تكون هناك حاجة لظهور أداة الربط^(٣).

ويعرفها ليونز بأنها الجملة التي تحتوي على جملتين إحداهما تابعة للأخرى وهي تتولد بطرق العطف التي تتخذ من سلسلتين عميقتين مدخلاً لها وتربط بينهما^(٤).

(١) التطور النحوي ١٣٢. (٢) معنى الليب ٢ / ٤٨.

(3) Qurik: Agrammar of comtemarary English 0 p 561.

(٤) نظرية تشومسكى اللغوية ١٥٣.

ويطلق عليها ابن هشام مصطلح الجملة الكبرى، ويقسمها من حيث الشكل إلى قسمين اثنين، فيقول: «انقسام الجملة الكبرى إلى ذات وجه، وإلى ذات وجهين، ذات الوجهين: هي اسمية الصدر، فعلية العجز، نحو: زيد يقوم أبوه، كذا قالوا: ينبغي أن يراد عكس ذلك في نحو: ظنت زيدا أبوه قائم، بناء على ما قدمنا، وذات الوجه، نحو، زيد أبوه قائم، ومثله على ما قدمنا: ظنت زيدا يقوم أبوه^(١)».

وقد وردت أمثلة عديدة لهذا النمط من الجملة، في الأحاديث النبوية الشريفة ومن ذلك قوله ﷺ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» وكفوله: «... أتق الله ثم استقم» وكفوله: «تجوع الحرة ولا تأكل بثديها» وغيرها من الأحاديث العديدة التي لا تقع تحت الحصر.

١- الجملة التركيبية: وهي الجملة التي تتكون من تركيب مستقل واحد، وتركيب غير مستقل واحد أو أكثر^(٢)، ومن أمثلة التركيب غير المستقل في اللغة العربية، تركيب الصلة وتركيب الحال وتركيب الشرط وتركيب التعليل... إلخ، ويعرفها (جون ليونز بأنها) الجملة التي تتركب من جملتين من الجمل الصغرى، عن طريق الاندماج، حيث تتخذ من سلسلتين عميقتين مدخلا لها، وتربط بينهما^(٣)، وقد وردت أمثلة عديدة لهذا النمط من الجملة في الأحاديث النبوية الشريفة نذكر منها قوله ﷺ: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم...» وغيرها من الأحاديث العديدة، التي لا تقع تحت حصر.

(١) معنى الليب ٢ / ٤٦.

(2) Gerson: Aglossary of grammatical language p 16.

(3) Lyons. An Introduction theoretical linguistics. p. 223.

ثانياً: الجملة الصغرى:

وهي الجملة التي فقدت أحد مكونات الجملة الكبرى أو الجملة التامة^(١).

وتأتى على صورتين:

١- الجملة الصغرى التكميلية: ويأتى بناؤها تكملياً، حيث إن أصل تكوينها قبل أن تفقد مع أحد مكوناتها، كان جملة كبرى بصورها الثلاث: البسيطة والمركبة والتركيبية، ومن ثم تأتى المكونات البنائية لها على النحو الآتى:

(أ) الجملة الصغرى التكميلية للجملة البسيطة: وتكون كذلك إذ فقدت ركن المسند إليه، الذى يمثل العبارة الاسمية، وتصبح مؤلفة من ركن واحد، وهو ركن المسند فقط.

ومن أمثلتها فى الحديث النبوى الشريف قوله ﷺ: «من أحق الناس بحسن صحابتي، قال: أمك...» حيث حذف ركن المسند إليه وهو: أحق الناس بحسن الصحابة...».

(ب) الجملة الصغرى التكميلية لجملة مركبة: وذلك إذا فقدت الجملة المركبة الطرف الأول، وتصبح الجملة مؤلفة من طرف واحد، وهو الطرف الثانى المسبوق بأداة العطف، ومن ذلك قوله ﷺ: «... وعلى جمع الحطب».

(ج) الجملة الصغرى التكميلية لجملة تركيبية: وذلك إذا فقدت الجملة التركيبية أحد طرفيها، بحيث يلتقى الطرف المسبوق بأداة الربط الاتباعية فى

(1) Dictionary of language. p. 83.

الجملة، ومن ذلك قوله ﷺ: «التقل خيرا أو لتصمت» بحذف الطرف الأول، إذا أردت القول!! وغيرها من الأحاديث النبوية العديدة.

الجملة الصغرى غير التكميلية: وذلك عندما لا تكون طرفا بنائيا في مكونات جملة كبرى، وإنما تعد ركنا زائدا، ومن أمثلتها: جملة النداء، وجملة الدعاء وغيرها، ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ: «يا أعمور عينك والحجر» قوله ﷺ: «فيها ونعمت» وغيرها من الأحاديث النبوية العديدة.

نماذج تحليلية لمستوى التركيب في الأحاديث النبوية الشريفة:

١- في اجتماع الضميرين مع الفعل، من باب كان هل الأولى اتصالهما أو انفصالهما، يقول ابن مالك: إن كان الفعل من باب كان واتصل بضمير رفع، جاز في الضمير الذي يليه الاتصال، نحو: صديقي كتته، والانفصال نحو: صديقي كنت إياه، والاتصال عندي أجود، لأنه الأصل، وقد أمكن لثبه: كتته، بفعلته، فمقتضى هذا الشبه، أن يمتنع: كنت إياه كما يمتنع: فعلت إياه، فإذا لم يمتنع فلا أقل أن يكون مرجوحاً، وجعله أكثر النحويين راجحاً، وخالفوا القياس والسمع^(١).

٢- أما مخالفة السماع، فمن قبيل أن الاتصال ثابت في أفصح الكلام المشهور، كقول النبي ﷺ لعمر بن الخطاب: «إن يكنه فلا تسلط عليه، وإن لم يكنه، فلا خير لك في قتله»^(٢).

(١) شواهد التوضيح ٢٧، ٣٠ وشرح ابن الناظم ٢٤ وشرح الأشعرى ١ / ١٨١ وأوضح المسالك ١ / ٧٣ وشرح شذور الذهب ١٨٨.

(٢) صحيح البخارى ٢ / ٩٦ وصحيح مسلم ٨ / ١٩٢ وفتح البارى ٣ / ٢١٨.

وورد ذلك في قول أبي الأسود الدؤلي: (الطويل)^(١):

فإن لا يكنها أو تكنه فإنه

أخوها غذته أمه بلبانها

٢- تعلق الفعل بضميرين:

يذكر ابن مالك: أنه إذا تعلق بالفعل ضميران، فإذا اختلف الضميران بالرتبة وقدم أقربهما، جاز اتصال الثاني وانفصاله، وذلك نحو: أعطيتك، وأعطيتك آياه، والاتصال أجود لموافقة الأصل، ولأن القرآن الكريم نزل به دون الانفصال، كقوله - تعالى -: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا ﴾ (الأنفال: ٤٣) وقوله - عز وجل -: ﴿ أَنْزَلْنَاهُمْ مِمَّا كَانُوا فِيهَا ﴾ (هود: ٢٨) ويرى سيويه الاتصال هنا واجباً، والانفصال ممتنعاً^(٢).

ومن أمثلة تجويزه، وقول النبي ﷺ: «فإن الله ملككم وإياهم، ولو شاء لملكهم إياكم»^(٣).

٣- الجملة الواقعة خبراً:

وهي نفس المبتدأ في المعنى، لا تحتاج إلى رابط^(٤)، ومن ذلك قوله ﷺ: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله»^(٥).

(١) البيت منسوب لأبي الأسود الدؤلي في الكتاب ١ / ٤٦ والرد على النحاة، لابن مضاء ١١٥ وشرح الكافية للرضي ٢ / ٤٤٣ والأصول ١ / ٩١، ٢٩٠ والخزانة ٥ / ٢٣٧ والاقضاب ٣ / ٢٥٢ وادب الكاتب ٣١٥ ولا نسبة له في الإنصاف ٢ / ٨٢٣ وشواهد التوضيح لابن مالك ٢٨ والمقتضب ٣ / ٩٨.

(٢) انظر الكتاب ١ / ٣٨٤.

(٣) كتاب الكياتر، للذهبي ٢٢٣ وشرح ابن الناطم ٢٤.

(٤) انظر: شرح الأشموني ١ / ١٩٧ وشرح الكافية ٢ / ٣٥٠ وشرح قطر الندى ١٦٥.

(٥) الموطأ ١ / ٢١٥ وسنن الترمذي ٥ / ٢٣١.

ومثال ذلك في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس: ١٠) وقوله تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾.

٤- مسوغات الابتداء بالنكرة:

ذكر النحاة لمسوغات الابتداء بالنكرة أربعين موضعاً، وترجع هذه المسوغات إلى كون النكرة مفيدة.

وقد وردت مجموعة من أحاديث الرسول ﷺ تمثل بعض هذه المسوغات، نذكر منها ما يلي:

(أ) حذف الموصوفات وبقاء الصفة:

ومثال ذلك قول رسول الله ﷺ «سوداء ولود خير من حسناء عقيم» أي^(١): امرأة سوداء.

(ب) النكرة المتعلقة بها معمول: وهو المجرور^(٢):

ومثل ذلك: رغبة في الخير، ومثله - أيضاً - أن تكون النكرة عاملة عمل الفعل النصب في معمول، ومثل ذلك قول رسول الله ﷺ: «أمر بمعروف صدقة، ونهى عن منكر صدقة»^(٣).

(ج) النكرة المضافة إلى نكرة^(٤):

ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد»^(٥).

(١) انظر: فيض القدير ٤ / ١١٥ وكشف الخفاء ١ / ١٥٧.

(٢) انظر: ارتشاف الضرب ٣ / ١١٠٠.

(٣) صحيح مسلم ٣ / ٨٢ ومسنند أحمد ٥ / ١٦٧، ١٦٨، ١٨٧.

(٤) انظر: ارتشاف الضرب ٣ / ١١٠٠.

(٥) الموطأ ١ / ٢٣ ومسنن ابن ماجه ١ / ٤٤٨ والجامع الصغير ١ / ٤٥ وتبيل الأوطار ١ / ٢٩٤

ومسنن أبي داود ١٤٤ / مسنن النسائي ١ / ٢٢٧.

(د) كون الظرف والمجرور غير مختص:

ومن ذلك قوله ﷺ: «في أربعين شاة شاة»^(١).

(هـ) تأخر المبتدأ النكرة على الخبر المقدم النكرة لوجود البيان:

ومن ذلك قوله ﷺ: «مسكين مسكين رجل لا زوج له» رجل: مبتدأ

مؤخر، عند ابن مالك لبيانه، ومسكين خبر.

٥- خبر المبتدأ بعد لولا:

يرى جمهور النحاة وجوب حذف الخبر بعد لولا، لأنه لا يكون بعدها

إلا كونا مطلقاً، ولحنوا قول المعري: (الواقر).

يذب الرعب منه كل غضب

فلولا الغمد يمسكه لسالا

وذهب الكوفيون إلى أن الاسم المرفوع بعد لولا فاعل لفعل محذوف،

وقيل هو مرفوع بلولا، وقد ورد الخبر مثبتاً بعد لولا في حديث عائشة

رضي عنها، أنه ﷺ قال: «لولا قومك حديثو عهد بكفر، لأست البيت على

قواعد إبراهيم»^(٢).

ويقول ابن مالك^(٣): «وتضمن هذا الحديث ثبوت خبر المبتدأ بعد

لولا، وهو ما خفى على النحويين إلا الرماني والشجري، وقد يسهل لى

(١) سنن ابن ماجه ١ / ٥٧٧ ومسند احمد ٣ / ٣٥.

(٢) صحيح البخارى ١ / ٤٠، حيث وردت الرواية: «يا عائشة، لولا قومك حديث عهدم بكفر،

لنقضت الكعبة، فجعلت لها بايين» وكذا ٢ / ١٥٦ برواية: «لولا حدثان قومك بالكفر»

ورواية: «لولا أن قومك حديث عهدم بالجاهلية».. وغيرها، وسنن الترمذى ٢ / ١٨١

وسنن النسائى ٥ / ٢١٤ ومسند أحمد ٦ / ١٠٢، ١٧٦، ١٨٠ وفتح البارى ١ / ٢٢٤.

(٣) شراهد التوضيح ٦٥.

من هذه المسألة زيادة على ما ذكرناه، فأقول وبالله أستعين: إن الخبر المذكور بعد لولا على ثلاثة أضرب:

(أ) مخبر عنه بكون غير مقيد.

(ب) مخبر عنه بكون مقيد، لا يدرك معناه عند حذفه.

(ج) ومخبر عنه بكون مقيد يدرك معناه عند حذفه.

الأول: نحو لولا زيد لزارنا عمرو، فمثل هذا يلزم حذف خبره.

الثاني: وهو المخبر عنه بكون مقيد، ولا يدرك معناه إلا بذكره، نحو، لولا زيد غائب لم أذكر، فخير هذا النوع واجب الثبوت، لأن معناه مجهول عند حذفه ومنه الحديث: «لولا قومك حديثو عهد...» ومنه قول الشاعر:

(البيط) (١):

لولا زهير جفاني كنت متصراً

ولم أكن جانحاً للسلم إن جنحوا

ومثله: (البيط) (٢):

لولا ابن أوس نأى ما ضيم صاحبه

يومئاً ولا نابه وهن ولا حذر

وأما ما ورد من حديث رسول الله ﷺ: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده» (٣)، ومنه قولهم: قضية ولا أبا حسن لها «والتقدير في الحديث الشريف بإفادة النفي العام والتقدير في العبارة، ولا مسمى بهذا الاسم لها» (٤).

(١) والبيت بلا نسبة في شواهد التوضيح ٦٦ وشرح الأسموني ٤ / ٥٠.

(٢) والبيت بلا نسبة في شواهد التوضيح ٦٦ وشرح الأسموني ١ / ٥٠ وأوضح المالك ١ / ٥٦ والتصريح على التوضيح ١ / ١٧٩.

(٣) صحيح البخاري ٤ / ١٨٢ وصحيح مسلم ٨ / ١٨٦ وفتح الباري ٦ / ٦٢٥.

(٤) انظر: شرح ابن عقيل ٢ / ٥ وحاشية الخضري ١ / ١٤١.

٧- حذف خبر لا النافية للجنس:

الأغلب حذف خبر لا النافية للجنس إن علم في لغة الحجاز، وواجب الحذف في لغة تميم وطيء ومن ذلك قوله عليه السلام: «لا ضرر ولا ضرار»^(١) وقوله عليه السلام: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»^(٢) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٥٠) وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأَخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (سبا: ٥١).

٨- الاستثناء بالأداة، بيد:

يقول الصبان: بيد تخالف إلا في أربع.

- ١- أنها لا تقع صفة.
 - ٢- ولا يستثنى بها إلا في الانقطاع.
 - ٣- وتضاف إلى أن وصلتها فقط.
 - ٤- ولا تنقطع عن الإضافة، ويقال فيها:
- ميد بالميم^(٣) ويقول ابن هشام: تأتي بيد بمعنى: من أجل^(٤) ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا أفصح من نطق بالضاد، بيد أنى من قريش، واسترضعت في بني سعد»^(٥).

(١) سنن ابن ماجه ٢ / ٧٨٤ والموطأ ٢ / ٧٤٥ ومنه أحمد ١ / ٣١٣.

(٢) صحيح البخارى ٧ / ٢٧ وصحيح مسلم ٧ / ٣١ وسنن أبي داود ٤ / ١٧ وسنن ابن ماجه ٢ /

١١٧١ وشرح صحيح مسلم للنووي ١٤ / ٢١٣ وانظر: ارتشاف الضرب ١ / ١٣٠.

(٣) حاشية الصبان ٢ / ١٥٤ وقلب الباء ميماً تسوغه القواطين الصوتية، فكلاهما صوت شفوي.

(٤) حاشية الصبان ٢ / ١٥٤.

(٥) انظر: المقاصد الحسنة ٩٥ وكشف الخفاء ١ / ٢٠ والنشر في القراءات العشر ١ / ٢٢٠.

٩- استعمال سوى مجرورة:

يرى ابن مالك أن سوى تعامل بما تعامل به غير من الرفع والنصب والجرا (١) ومن استعمالها مجرورة، قول رسول الله ﷺ: «وما أنتم في سواكم من الأمم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض» (٢)، كما ورد عن عثمان بن عفان أن النبي ﷺ قال: «ليس في ابن آدم في سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يوارى عورته، وجلف الخبز والماء» (٣) وقوله ﷺ: «دعوت ربي إلا يسلم على أمتي عدواً من سوى أنفسها» (٤).

ومن شواهد ذلك قول المرار بن سلامة العقيلي: (الطويل) (٥):

ولا ينطق الفحشاء من كان عنهم

إذا جلسوا منا ولا من سواننا

١٠- إعمال اسم المصدر

يجوز إعمال اسم المصدر عمل المصدر عند الكوفيين وابن مالك، لأن معناه معنى المصدر، ومنعه البصريون، وقال بعضهم: إلا في الضرورة، ومن ذلك قوله ﷺ: «من قبل الرجل امرأته الوضوء» (٦).

(١) انظر: شرح ابن عقيل ٢ / ٢٤٦.

(٢) صحيح البخاري ٥ / ٢٤١، ٧ / ١١٠ و سنن الترمذي ٤ / ٨٩ و سنن ابن ماجه ٢ / ١٤٣٢ و مسند أحمد ٣ / ٣٣ ولم ترد في الروايات السابقة عبارة في سواكم.

(٣) سنن الترمذي ٤ / ٣ وقال هنا صحيح ٤ / ٣.

(٤) صحيح مسلم ٨ / ١٧١ و سنن أبي داود ٤ / ٩٨ و سنن الترمذي ٣ / ٣١٩ و مسند أحمد ٥ / ٢٨٤، ٢٧٨.

(٥) شواهد العيني ٣ / ١٢٦ والكتاب ١ / ٢٠٣ والمقتضب ٤ / ٣٠٥ والمخصص ١٤ / ٨٥ و شرح ابن عقيل ٢ / ٥٧ والإنصاف ١٦٧ و شرح الأشموني ٢ / ١٥٨.

(٦) انظر: شرح عقيل ٣ / ١٠٠.

قبيلة: اسم مصدر، مضاف لفاعله، وامراته: مفعول، والجار والمجرور
خبر مقدم عن الوضوء، ومن ذلك قول القطامي: (الوافر)^(١):

أكفراً بعد رد الموت عني

ويعد عطائك المائة الرتاعا

فالمائة: منصوب بعطائك

وقول الآخر: (الطويل)^(٢):

إذا صح عَوْنُ الخالق المرء لم يجد

عسيراً من الآمال إلا مُتَيَسِّراً

وقول الشاعر: (الوافر)^(٣):

بعثرتك الكرام تعد منهم

فلا ترين لغيرهم الوفا

١١- العطف على ضمير الجر بغير إعادة الخافض:

يذهب الكوفيون إلى أنه لا يجب إعادة الجار في العطف على ضمير
الجر، ومنعها يونس وقطرب والأخفش من البصريين^(٤).

ومما ورد بغير إعادة الخافض قوله ^{عليه السلام}: «إنما مثلكم واليهود
والنصارى كرجل استعمل عمالاً بجر اليهود^(٥)، ومن قوله - تعالى -:

(١) ديوانه ٣٧ والتصريح ٦٤ / ٢ وشواهد المغنى ٨٤٩ / ٢ وشرح التسهيل لابن مالك ١٢٣ / ٣
والخزانة ٨ / ١٣٦، ١٣٧ ومنسوب لعمر بن شيبان في البحر المحيط ١ / ١٢٧ وبلا نسبة في
الهمع ١ / ١٨٨.

(٢) في المعنى ٣ / ٥٢٥ وشرح ابن عقيل ٢ / ١٨٧.

(٣) شرح ابن عقيل ٣ / ١٠٠ وحاشية الصبان وشرح الأشموني ٢ / ٢٨٨.

(٤) شواهد التوضيح ٥٣ وفتح الباري ٤ / ١٤٧ وجمع الهوامع ٢ / ١٣٩.

(٥) صحيح البخاري ٣ / ٥٠٠.

﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ (النساء: ١) على قراءة حمزة، وقرأ بها السبعة، والأرحام نصبا^(١) ومن ذلك قول الشاعر: (البيط)^(٢):

اليوم قدبت تهجونا وتشتمنا

فأذهب فما بك والأيام من عجب

١٢- حذف العاطف وحده:

يجوز حذف واو العطف دون المعطوف بها في الأصح، من ذلك قول الرسول ﷺ: «تصدق رجلى من دينار، من درهم، من صاع بره، من صاع تمره».

ومن ذلك قول الشاعر: (الخفيف)^(٣):

كيف أصبحت كيف أميت مما

يغرس الود في فؤاد الكريم

ودفع ذلك ابن جنى والسهيلي وابن الضائع، لأن الحروف دالة على معانٍ في نفس المتكلم، وإضمارها لا يفيد معناها^(٤).

١٣- بدل الإضراب:

ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «إن العبد ليصلي الصلاة، وما يكتب له منها إلا عشرها، تسعها ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها»^(٥).

(١) حجة القراءات ١٨٨ واتحاف فضلاء البشر ١٨٥.

(٢) انظر: الكتاب ١ / ٣٩٢ الإتيان ٢٥١ وشرح ابن عقيل ٢ / ٢٤٠.

(٣) والبيت بلا نسبة في الدرر اللوامع ٢ / ١٩٣ والهمع ٢ / ١٤٠ وشرح الأشموني ٣ / ١١٦ والخصائص ١ / ٢٩٠، ٢٨٠.

(٤) شرح الأشموني ٣ / ١١٧.

(٥) مستند أحمد ٤ / ٣٢١ وإحياء علوم الدين ٢ / ٩٦.

وقوله عليه السلام : «تصدق رجل من دينار، من درهم، من صاع بره، من صاع تمر» (١).

١٤- معنى الشرط مضارعاً والجواب ماضياً:

ومن ذلك قول رسول الله عليه السلام : «من يقرأ ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه» (٢) ويضعف النحاة ذلك، ويراه بعضهم مخصوصاً بالضرورة، ومن ذلك قول نهشل بن جرى: (البيط) (٣):

يا فارس الحى يوم الروع قد علموا

وملده الخصم لانكسا ولا ورعا

وملرك التبل فى الأعداء يطلبه

وما يشأ عندهم من تبلهم منعاً

وقول أعشى قيس: (البيط) (٤):

وما يرد من جميع بعد فرقته

وما يرد بعد من ذى فرقة جمعا

وقول حاتم الطائي: (الطويل) (٥):

وإنك مهما تعط بطنك سؤله

وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

(١) صحيح مسلم ٧٨ / ٣ ومنه النسائي ٨٦ / ٥ ومسند أحمد ٣٥٩ / ٤ وشرح شعور الذهب ١٤٠.

(٢) صحيح البخارى ١٤ / ١ ومنه النسائي ١١٨ / ٨.

(٣) ورد البيت فى شرح المرادى ٢٧٣ وشرح الأشمونى ١٧ / ٤ وشواهد التوضيح ١١٦ وأوضح المسالك ٣ / ١٩٠.

(٤) ديوانه ١١٠ وشرح الأشمونى ١٧ / ٤ وشواهد التوضيح ١٦.

(٥) ديوانه ١٧٤ وشرح الأشمونى ١٧ / ٤ وشواهد التوضيح ١٦.

وقول رؤية: (الرجز)^(١):

ما يلتق في أشداقسه تلهما
إذا أعساد الزار أو تنهما
وقول قعب بن ضمرة: (البيط)^(٢):

إن يسمعوا رية طاروا بها فرحا
عنى وما سمعوا من صالح دفنوا

١٥- إلحاق نون الوقاية بأفعل التفضيل:

وقد استدل ابن مالك على ذلك بقول رسول الله ﷺ: «غير الدجال
أخوفنى عليكم» ويعقب أبو حيان على ذلك بقوله: على عادته فى إثبات
القواعد الكلية بما روى فى الحديث^(٣).

١٦- الاستغناء عن أى بمعنى الإضافة إن علم ما تضاف إليه:

إن علم ما تضاف إليه فى الشرط والاستفهام، يقول أبو حيان: «وإذا
كانت شرطاً أو استفهاماً، فقد يستغنى بمعنى الإضافة إن علم ما تضاف
إليه... وفى الحديث: «من أبر يا رسول الله؟ قال: أمك، قال: ثم أى؟
قال: أمك... أى: ثم من أبر؟ وهى فى الاستفهام أو الشرط بمنزلة: كل
مع النكرة، وبمنزلة بعض مع المعرفة^(٤)».

(١) الرجز فى شرح المرادى ٧٣ وشرح الأشموني ٤ / ١٧ وشواهد التوضيح ١٦.

(٢) قعب بن ضمرة بن عبد الله بن غطفان شاعر أموى، ويقال له: ابن أم صاحب الفزاري،
راجع مختارات ابن الشجري ١ / ٧ وسمط اللالي ٣٦٥ وشواهد التوضيح ١٦، ومعجم
الشعراء المخضرمين والأمويين ٢٧٧ ومراجعته.

(٣) انظر التسهيل ٢٥ وشفاء العليل ١ / ١٨٧ وشرح التسهيل لابن مالك ١ / ١٣٩ والماعد ١ /
٩٧.

(٤) ارتشاف الضرب ٢ / ١٠٣٨ ووردت صيغة الحديث: «ثم من؟» وفى صحيح مسلم ١٦ / ١٠٢،
١٠٣ وسنن ابن ماجه ٢ / ١٢٦ ورياض الصالحين ١٣٨ ولم ترد: أى.

١٧- مجئ الآن مبتدأ:

يقول أبو حيان، وزعم ابن مالك، أنه جاء مبتدأ في الحديث، أنه - عليه الصلوة والسلام - سمع وَجِبَةً فقال: «هذا حجر رمى به في النار منذ أربعين خريفاً فهو يهوى في النار الآن، حين انتهى إلى قعرها»^(١)، فأعرب الآن: مبتدأ، وحين انتهى: خبره، وقال في الآن: معرفة ويصحبها الحضور^(٢).
ويقول أبو إسحاق: «تعرف بالإشارة فتضمنها، ولذلك بنيت، فأصل الآن معناه أصل في هذا الوقت»^(٣).

١٨- لزوم أداة النداء في اسم الإشارة واسم الجنس إلا في شذوذ أو ضرورة:

ويؤكد البصريون لزوم أداة النداء مع اسم الإشارة واسم الجنس إلا في شذوذ أو ضرورة وجاءت ألفاظ منها «أعور عينك والحجر».
قال الميداني: «يا أعور احفظ عينك واحذر الحجر»^(٤).
ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «... اشتدى أزمة تنفرجي»^(٥).
وقوله ﷺ: «وثوبى حجر»^(٦).

١٩- ورد لفظ: نعمت، للمدح بدون فاعل:

يقول أبو حيان، وقال بعض أصحابنا: «فبها ونعمت»^(٧) شاذ، وخرجه

(١) مسند أحمد ٣ / ٣٧١.

(٢) ارتشاف الضرب ٣ / ١٤٢١.

(٣) معاني القرآن للزجاج ١ / ١٥٢ - ١٥٣.

(٤) مجمع الامثال ٢ / ٢٢٣ وجمهرة الأنساب ١ / ٧٥ وارتشاف الضرب ٤ / ٢١٨٠.

(٥) الجامع الصغير ٣٨.

(٦) صحيح مسلم ٤ / ٣٢ - ٣٣ وشرح التسهيل ٣ / ٢٨٧ والمساعد ٤٨٥.

(٧) والحديث بنامة: «من توفى يوم الجمعة فيها ونعمت» جامع الترمذي ٢ / ٤.

ابن عصفور، على تقدير فبالرخصة أخذ، ونعمت رخصة الوضوء، وابن هشام على تقدير: ونعمت الفعلة الأخذ بالسنة^(١).

٢٠- لزوم اللام إذا أسند الفعل إلى غير الفاعل المخاطب:

يذكر أبو حيان، أنه يلزم الفعل اللام: إذا أسند إلى غير الفاعل المخاطب، وذلك نحو: ليقيم زيد، وليضرب خالد، ولتعلن بحاجتي، ولأعلن بها^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ﴾ (المتكبر: ١٢) وفي الحديث: «قوموا فلاصل لكم»^(٣).

٢١- ضرورة الإتيان بمن وإلى، حين الابتداء بالزمان والانتها. في المكان:

ويقول أبو حيان: وذهب ابن الطراوة إلى أنك إذا أردت الابتداء في المكان والانتها في المكان أتيت بـ: من، و: إلى، كما تكون في المكان ولا بد من: من، أردتهما^(٤)، وفي الحديث: «من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم»^(٥).

وتمثل هذه الأحاديث النبوية الشريفة أنماطاً متنوعة من صور البناء التركيبي في اللغة العربية، وقد جاءت متفقة مع ما تسمح به قواعد التركيب، التي صنعها العلماء العرب، ويمكن القول بأنها تطرد في طرائق بنائها وتركيبها مع هذه القواعد كما تتفق مع المبدأ الأسلوبى، الذي يتركز على الموضوعية، وذلك بعزل كل من المنشئ والمتلقى.

(٢) ارتشاف الضرب /٤ / ١٨٥٥ .

(٤) ارتشاف الضرب /٤ / ١٧١٨ .

(١) ارتشاف الضرب /٤ / ٢٠٥٠ .

(٣) صحيح مسلم /١٥ / ١٦٢ - ١٦٣ .

(٥) صحيح مسلم /١٢ / ١٠٣ .

وعلى وجه التحديد مع الاتجاه الذي يرى بأن الأسلوب عبارة عن خواص متضمنة من السمات اللغوية، تتنوع بتنوع البيئة والسياق^(١) وقد وردت النماذج من: الأول إلى السابع في إطار هذا الاتجاه.

كما وردت النماذج من: الثامن إلى: العشرين، في إطار الاتجاه الأسلوبى الذى يقول بأن الأسلوب إضافة إلى تعبير محايد، فقد وردت مثلا - أداة الاستثناء «يبد» وهى ليست من الأدوات الشائعة فى الاستثناء وكذلك أعمال اسم المصدر عمل المصدر والعطف على ضمير المجرور بغير إعادة الخافض وحذف وحده، وغيرها من القواعد التى لا تمثل إجماعا عند النحاة.

وعلى الرغم من ذلك نجد أمثال أبى حيان، وهو من أشد المرافضين الاستشهاد بالحديث النبوى الشريف! وهو يستشهد بها فى بعض المسائل اليسيرة أو يعرض لبعضها باعتبارها من آراء كل من ابن مالك وابن عصفور وغيرهما! سواء بالموافقة أم بالرفض!^(٢).

(١) الأسلوب، دراسة لغوية ٤٥.

(٢) انظر المسائل رقم ٧، ١٦، ١٩، ٢٠، ٢١.

بعض الأحاديث التي تمثل عدولا في القاعدة

ذكرت كتب النحو بعض الأحاديث النبوية، التي وردت مخالفة لقواعدهم النحوية، التي وضعوها لضبط اللغة العربية، لتكون معياراً صوابياً على الصحة النحوية، التي يجب أن تقاس عليها جميع التراكييب اللغوية العربية، ومن هذه الأحاديث، ما يلي:

١- ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إن قعر جهنم سبعين خريفاً»^(١).

ويرى النحاة: أن لفظ: سبعين بالنصب، جاءت متفقة مع ما يراه الكوفيون من جواز نصب اسم إن وخبرها، ومن ذلك ما ورد في قول عمر بن أبي ربيعة: (الطويل)^(٢):

إذا أسود جنح الليل فلتات ولتكن

خطاك خفافاً إن حرامنا أسداً

٢- ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون»^(٣).

(١) شرح مسلم للنووي ٣ / ٧٢ حيث ذكر بأنه في معظم الأصول والروايات: «السبعين» بالياء، وهو صحيح، إما على من ذهب من يحذف المضاف، ويبقى المضاف إليه على جره، فيكون: سبعم سبعين، وإما على أن قعر جهنم: مصدر، يقال: قعرت الشيء، إذا بلغت قعره، ويكون: سبعمين: ظرف زمان، وفيه: خبر إن، التقدير: إن بلوغ قعر جهنم لكائن سبعين خريفاً، والخريف: السنة، وصحيح مسلم ١ / ١٣٠ بلفظ: «إن قعر جهنم لسبعون خريفاً».

(٢) الدرر اللوامع ١ / ١١١ والاقتراح ٤٥ وجامع الشواهد ١ / ١٨ ويلا نسبة في الخزانة ٤ / ٢٩٤ وشرح الأشموني ١ / ٢٦٩ ولم يرد بليوانه نشرة دار صادر ولا نشرة محي الدين وذكر ابن هشام إعراب كلمة: أسداً، على أنها: حال على التأويل: إن حرامنا تلقاهم أسداً، أي: كالأسد، انظر معنى اللبيب رقم الجزء ٥٥، ٥٦.

(٣) صحيح مسلم ٦ / ١٦١ وصحيح البخاري ٧ / ٦٤، بحذف: من، وردت في بعض نسخ فتح الباري: المصورين وفي بعضها: المصورون ١٠ / ٣٨٣.

ووجهت الرواية على: إنه. والهاء: ضمير الشأن، وأشد: اسم إن، ومن زائدة^(١) ومن قول الأخطل: (الخفيف)^(٢):

إن من يدخل الكنيسة يوماً

يلق فيها جاذراً وظباء

٣- وفي الحديث أن النبي ﷺ قال «كل أمتي معافى إلا المجاهرون»^(٣).

ويرى ابن مالك أن إلا بمعنى: لكن، وما بعدها مبتدأ، خبره محذوف، ومن ذلك ما ورد على قراءة عبد الله بن مسعود وأبي والأعمش، في قوله تعالى: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ (البقرة: ٢٤٩)^(٤) بالرفع وقراءة ابن كثير وأبي عمرو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ﴾ (هود: ٨١) بالرفع^(٥) أي لكن امراتك.

٤- لغة من يلزم المثنى الألف:

وقد ورد على هذه اللغة حديث الرسول ﷺ: «لا وتران في ليلة»^(٦)

(١) انظر: معنى اللبيب رقم الجزء ٥٦.

(٢) وليس في ديوانه ومنسوب للأخطل في شرح شواهد المغنى ١٢٢، ٩١٨ والدرر اللوامع / ١ / ١١٥ وبلا نسبة في المغنى / ١ / ٣٧، ٥٨٩ / ٢ / ١٣٦ والجمل للزجاجي ٢١٥ وشرح الكافية للرضي / ١ / ٢٧١، ٤٦٨ / ٢.

(٣) انظر: معنى اللبيب ٥٨٨ ويقول القراء: قليل مبتدأ، حذف خبره، أي: لم يشربوا، والبحر المحيط / ٢ / ٢٦٦.

(٤) معنى اللبيب رقم الجزء ٥٨٨ وقال ابن جماعة: امراتك بالرفع مبتدأ، والجملة بعنه خبره وانظر: حجة القراءات ٣٤٧.

(٥) انظر: شرح الأشموني / ١ / ٨٩.

(٦) انظر: شرح الأشموني / ١ / ٨٩ وانظر: فصول في قصة العربية ٨٦ حيث يرى د/ رمضان عبد التواب، بأن ما ورد من شواهد على هذا النمط، إما أن تكون من بقايا الأدب الشمسي، التي تسربت إلى الأدب الرفيع، وإما أن تكون من الأدب الفصيح، لكنها تغيرت على السنة الناس وبخاصة العامة منهم.

ومن ذلك قول الحق - تعالى - : ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَآءٌ﴾ (طه: ٦٣) ومن شواهد قول الشاعر: (الطويل):

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى

مساغا لناباه الشجاع لصمما^(١)

وقوله الشاعر: (الطويل)^(٢):

تزود منا بين أذنائه طمعة

دعته إلى هابي الثراب عقيم

وقول الشاعر: (الزجر)^(٣):

إن أباهما وأبا أباهما

قد بلغنا في المجد غاياتها

٢- لغة أكلوني البراغيث:

ينسب العلماء هذه الظاهرة إلى قبيلة طيء، وقد ذكرها سيويه في كتابه في قوله: في قول من قال: أكلوني البراغيث^(٤) كما ينسب النحاة هذه الظاهرة إلى قبيلة الحارث بن كعب^(٥) وإلى قبيلة أزد شنوءة^(٦) وهما من القبائل التي لها صلة بقبيلة طيء وقد ورد على منوال هذه اللغة قول الرسول ﷺ: ليتعاقبون فيكم ملائكة في الليل والنهار^(٧) ومن ذلك أيضاً قول الله

(١) الشاهد للمتلمس الضبي، ديوانه ٣٤.

(٢) انظر الدرر اللوامع للشقيطي ١ / ١٤ والشاهد لهويز الحارثي في اللسان ١٠ / ٦٤.

(٣) انظر شواهد المعنى، للسيوطي ٤٧ والشاهد في زيادات ديوان رؤية ١٦٨.

(٤) الكتاب ١ / ٥.

(٥) انظر: بصائر ذوي التمييز ٥ / ١٤٩ وشرح التصريح ١ / ٢٧٦ ومعنى اللبيب ٢ / ٣٦٥.

(٦) انظر: بصائر ذوي التمييز ٥ / ١٤٩ وشرح التصريح ١ / ٢٧٦ ومعنى اللبيب ٢ / ٣٦٥.

(٧) الكتاب ٢ / ٤٠ وشرح الكافية الشافية لابن مالك ٢ / ٥٨١.

- تعالى - ﴿ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ (الأنبياء: ٢) . وقوله - تعالى - :
﴿ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ﴾ (المائدة: ٧١) .

ومن شواهد ذلك قول أبي تمام: (الطويل)^(١):

شجى فى الحشى ترداده ليس يفتر

به صمن آمالى وائى لمفطر

ويعلق على ذلك أبو العلاء المعرى: يبين من كلام الطائي أنه يختار

إظهار علامة الجمع فى الفعل فى مثل: صمن آمالى، ولو قال: صام
آمالى، لاستقام الوزن، وقد جاء مثل ذلك فى غير هذا الموضع.

ومن ذلك أيضاً قول أبي تمام: (الكامل)^(٢):

وغداً تبين كيف عب مداحى

وإن ملن بى همى إلى بغداد

كما وردت فى شعر المتينى فى قوله: (الكامل)^(٣):

ورمى وما ومت يدها فصابنى

سهم يعذب والسهم تريح

وتعد هذه الظاهرة هى الأصل فى اللغات السامية، ففى اللغة العبرية

(فماتا كلاهما محلون وكليون)^(٤) وكذلك «لا يقومون الأشرار بالعدل»^(٥)

وفى الآرامية: «لتلا يزنوا الآخرون بامرأتك»^(٦) وفى الحبشة: «فعادوا

(١) شرح الديوان للخطيب التبريزى ٢ / ٢١٤ .

(٢) شرح الديوان للخطيب التبريزى ٢ / ٢١٤ .

(٣) شرح الديوان للخطيب التبريزى ١ / ١٣١ ديوانه ١٦٥ وآمالى الشجرى ١ / ١٣٣ .

(٤) سفر روث ١ / ٥ .

(٥) سفر المزامير ١ / ٥ .

(٦) أحيفار حكيم الشرق الأدنى القديم ٢٣ / ١ .

الشعوب»^(١) وفيها كذلك «وكثروا أطفالهم»^(٢) وتعد هذه الظاهرة من الركाम اللغوى، أى: من بقايا الظواهر اللغوية المندثرة، حيث لا تمحى الظاهرة القديمة دفعة واحدة، بل يتبقى منها بعض الأمثلة التى تبرهن على وجودها على الرغم من اندثارها.

وتمثل الأحاديث الثلاثة الأولى عدولا صريحا عن قواعد التركيب العربى، على الرغم من تخريجات العلماء لها بالتأويل أو بالافتراض، أو بإيرادها فى روايات أخرى، متسقة مع القواعد.

وأما القول، بأن هذه الأحاديث، تمثل الاتجاه الأسلوبى الذى يقول بأن الأسلوب انحرف على النمط، فلسنا نوافق ذلك، فهذه الأحاديث النبوية الشريفة، لو ثبتت أسانيد رواياتها منسوبة إلى الرسول ﷺ فإنها من وجهة نظرنا قد جاءت وفقا لمستوى لغوى آخر، وهو مستوى الخطاب العادى الذى يتخفف فيه المتكلم من أعباء التقيد والالتزام بقوانين المستوى الفصيح وبخاصة عندما يخاطب الرسول ﷺ العامة والبسطاء من الناس ويأتى منسجما مع قوله ﷺ: «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم»^(٣).

وتكون قواعد التركيب لهذه الأحاديث النبوية الشريفة - حيثئذ - صحيحة، إذا ما قيست على مستواها اللغوى، الممثل فى الخطاب إلى طائفة من الناس، ألا وهم البسطاء والعامة^(٤).

(١) انظر: بحوث ومقالات فى اللغة ٦٩.

(٢) انظر: بحوث ومقالات فى اللغة ٥٨ وما بعدها.

(٣) المقاصد الحنة ٩٣ وكشف الخفاء ١ / ١٩٦.

(٤) وقد ذكر أبو العيناء، ما يؤكد استعمال بعض العلماء المشهود لهم الفصاحة، لهذه المستويات العامة فى كلامهم، فى قطاعات تستوجب ذلك، قال أبو العيناء: ما رأيت مثل الأصمى =

أما الحديث الرابع والخامس، فهما يمثلان مستوى لهجياً سواء أكان قليل الشيعي كما في الحديث الرابع أم كان شائعاً في معظم الاستعمال اللهجي، في خطاب القبائل العربية، كما في الحديث الخامس^(١). ويتفق الحديثان مع الاتجاه الأسلوبى الذى يقول بأن الأسلوب عبارة عن خواص متضمنة فى السمات اللغوية، بتنوع البيئة والسياق وهذا يعنى أن بكل سمة لغوية، تتضمن فى ذاتها قيمة أسلوبية معينة وإنها تستمد قيمتها الأسلوبية من بيئة النص أو الموقف الذى تعبر عنه^(٢).

قط، أنشد بيتاً من الشعر، فاختلف الإعراب، ثم قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: كلام العرب اللرج حدثى عبد الله بن سوار أن أباه قال: العرب تجتاز الإعراب اجتيازاً، وحدثنى عيسى بن عمر، أن ابن إسحاق قال: العرب ترفرف على الإعراب ولا تنفيق فيه وسمعت يونس يقول: العرب تشام الإعراب ولا تحسقه وسمعت الخشاش يقول: العرب نقع بالإعراب وكأنها لم تزد، وسمعت أبا الخطاب يقول إعراب العرب الخطف والحذف قال: فتعجب كل من حضر مناء مخطوطة كويريللى ٧ / ٧٦٥ وكذلك ورد مختصراً فى ربيع الأبرار ونصوص الأعيان للزمخشري - مخطوط - دمشق ٣٢٣٦ ص ٤٥.

(١) انظر: الكتاب ١ / ٥ وخصائر ذوى التمييز ٥ / ١٤٩ وشرح التصريح ١ / ٢٧٦.

(٢) انظر: الأسلوب، دراسة لغوية ٩٣.

أهم نتائج البحث:

١- اطراد لغة الحديث النبوى الشريف فى مستوياتها المختلفة، وهى فى حدود البحث (الأصوات والأبنية والتراكيب) مع قواعد اللغة العربية الفصحى وقوانينها.

٢- توافقت لغة الحديث النبوى الشريف، مع معطيات المناهج الأسلوبية الحديثة واتجاهاتها، وبخاصة مع الاتجاه القائل بأن الأسلوب اختيار المنشئ والاتجاه القائل بأن الأسلوب إضافة إلى النمط المعيارى للغة.

٣- بعض الأحاديث النبوية الشريفة، خرجت على قواعد الفصحى ولكنها اتفقت مع قواعد البناء اللهجى، فى مستوياته المختلفة الصوتية والصرفية والتركيبة.

٤- امتناع الرعيل الأول من النحاة العرب عن الاستشهاد بلغة الحديث النبوى الشريف، ليس له ما يبرره، والأسباب التى ذكرها حول هذا الامتناع ليست كافية أو مقنعة.

٥- ثمة أسباب أخرى لم نقف عليها، ربما ترجع إلى خشية العلماء العرب فى أن تزل أقدامهم فى موضع تكثر فيه الشبهات، بسبب كثرة انتشار الوضع فى الأحاديث فى زمانهم فينسبوق إلى الرسول ﷺ أحاديث ربما لم يقلها، فيقعون فى الخطأ والخطيئة.. حيث حذر الرسول ﷺ من يتقول عليه، بأن يتبوا مقعده من النار.

والله ولى التوفيق



فهرست المراجع

- ١- الإبدال، لأبي الطيب اللغوي - تحقيق عز الدين التنوخي -
دمشق ١٩٦٠م
- ٢- أبنية الأسماء والأفعال والمصادر، لابن القطاع الصقلي - تحقيق د/
أحمد عبد الدايم مخطوط - رسالة دكتوراه - دار العلوم -
القاهرة ١٩٨٠م
- ٣- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، لأحمد الدمياطي
المشهور بالبنا - مصر ١٣٥٩ هـ
- ٤- أخبار النحويين اليفنداديين للسيراقي - تحقيق عبد المنعم خفاجي
وطه الزيني - القاهرة ١٩٥٥م
- ٥- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق
د/ رجب عثمان - القاهرة ١٩٩٨م
- ٦- أسس علم اللغة، لماريو باي - ترجمة د/ أحمد مختار عمر -
منشورات - جامعة طرابلس - ليبيا ١٩٧٣م
- ٧- الأسلوب والأسلوبية، د/ عبد السلام المسدي - ط م -
تونس ١٩٨٢م
- ٨- الأسلوب، مدخل نظري ودراسة تطبيقية،
د/ فتح الله أحمد سليمان ١٩٩٠م
- ٩- الأسلوبية - دراسة لغوية إحصائية د/ سعد مصلوح ط ٣ -
القاهرة ١٩٩٢م

- ١٠- الاشتقاق والتعريب، لعبد القادر المغربي - القاهرة ١٩٤٧م.
- ١١- الأصول، دراسة ايستيمولوجية لأصول الفكر اللغوي عند العرب -
د/ تمام حسان - المغرب ١٩٨١م.
- ١٢- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة د/ نايف خرما - عالم
المعرفة - الكويت ١٩٧٨م.
- ١٣- إعراب الحديث النبوي، تحقيق عبد الإله نيهان - دمشق
١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م.
- ١٤- الاقتراح في علم أصول النحو، للسيوطي - تحقيق د/ أحمد
محمد قاسم - القاهرة ١٩٧٦م.
- ١٥- أقسام الكلام العربي، د/ فاضل مصطفى - القاهرة ١٩٧٧م.
- ١٦- أمالي السهيلي، لأبي القاسم عبد الرحمن الأندلسي - تحقيق
محمد إبراهيم البنا - مطبعة السعادة - القاهرة.
- ١٧- الأمالي لابن الشجري - حيدر آباد الدكن - الهند ١٣٤٩هـ.
- ١٨- إنباء الرواة على أنباء النحاة، للقفطي - تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم - القاهرة ١٩٥٠ - ١٩٧٣م.
- ١٩- أوضح المسالك إلى ألفيه ابن مالك، لابن هشام - تحقيق محيي
الدين عبد الحميد ط ٥ - بيروت ١٩٦٦م.
- ٢٠- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي - مطبعة السعادة - القاهرة
١٣٢٨م.
- ٢١- بحوث ومقالات في اللغة د/ رمضان عبد التواب -
القاهرة ١٩٨٢م.

- ٢٢- البداية والنهاية، لأبن الأثير - مطبعة السعاد - القاهرة ١٩٣٢م.
- ٢٣- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، للفيروز ابادى -
القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٧٣م.
- ٢٤- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطى - تحقيق محمد
أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٥م.
- ٢٥- البيان فى روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآنى د/
تمام حسان - القاهرة ١٩٩٣م.
- ٢٦- تاريخ آداب العرب، للرافعى - ط٢ - بيروت ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م.
- ٢٧- تحرير الرواية فى تفسير الكفاية، لابن الطيب الفاسى - تحقيق/
على حسين البواب - الرياض ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.
- ٢٨- تدريب الراوى فى شرح تقريب النوى، للسيوطى - تحقيق عبد
الوهاب عبد اللطيف ط٢ - بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.
- ٢٩- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك، تحقيق محمد كامل
بركات - القاهرة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م.
- ٣٠- التطور النحوى للغة العربية، لبرجشتراسر - أخرجه وصححه
وعلق عليه د/ رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٨٢م.
- ٣١- تهذيب التهذيب، لأبن حجر - الهند ١٣٢٥ هـ.
- ٣٢- جمهرة أنساب العرب، لابن حزم - تحقيق عبد السلام هارون
القاهرة ١٩٦٢م.
- ٣٣- حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل، مطبعة البايى الحلبي
القاهرة ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠م.

- ٣٤- الحجة في علل القراءات السبع، لأبي علي الفارسي
تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين - القاهرة ١٩٦٥ م.
- ٣٥- خزانة الأدب ولب لباب العرب، للبغدادي - بولاق ١٢٩٩ هـ.
- ٣٦- الخصائص، لابن حني، تحقيق محمد علي النجار - القاهرة
١٩٥٢ - ١٩٥٦ م.
- ٣٧- دليل الدراسات الأسلوبية، د/ جوزيف ميشال شريم - بيروت
١٩٨٤ م.
- ٣٨- درة الغواص في أوهام الخواص، للحريري -
مطبعة الجوانب استانبول ٢٩٩ هـ.
- ٣٩- الدر اللوامع على همع الهوامع، للشنقيطي - القاهرة ١٣٢٨ .
- ٤٠- دور الكلمة في اللغة، لاستيفن أولمان ترجمة د/ كمال بشر
القاهرة ١٩٦٢ م
- ٤١- ديوان الأخطل، تحقيق أنطوان صالحاني - بيروت ١٨٩١ م.
- ٤٢- ديوان جميل يثينة، نشرة دار صابر - بيروت. بلا تاريخ.
- ٤٣- ديوان عمر بن أبي ربيعة، و نشر باول سفارتش -
ليترج ١٩٠١ - ١٩٠٩ م.
- ٤٤- ديوان المتلمس الضبعي تحقيق حسن كامل الصيرافي،
مجلة معهد المخطوطات - القاهرة ١٩٦٨ .
- ٤٥- ديوان المتنبي، وضع عبد الرحمن البرقوقي - القاهرة ١٩٣٨ م.
- ٤٦- ديوان الهذليين، شرح ديوان الهذليين - تحقيق
عبد الستار فراج - القاهرة ١٩٦٥ م.

- ٤٧- الرسالة للشافعي - تحقيق أحمد محمد شاكر
ط ١ - القاهرة
١٣٥٨ هـ - ١٩٤٠ م.
- ٤٨- الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام، للسهيلي
- تحقيق عبد الرحمن الوكيل - القاهرة
١٩٦٧ م.
- ٤٩- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - القاهرة
١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م.
- ٥٠- سنن الترمذى، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف - القاهرة.
- ٥١- سنن الدارمى، طبع بعناية محمد الدين عبد الحميد - القاهرة.
- ٥٢- سنن النسائى، بشرح السيوطى وحاشية السندى -
القاهرة
١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م.
- ٥٣- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك - تحقيق محمد محيى الدين
عبد الحميد - القاهرة
١٩٤٥ م.
- ٥٤- شرح الأشمونى على ألفية بن مالك، تحقيق محمد محيى الدين
عبد الحميد - القاهرة
١٣٧٥ م.
- ٥٥- شرح التصريح بمضمون التوضيح، للأزهري وحاشية
يس بن زيد العليمى الحمصى - القاهرة
بلا تاريخ.
- ٥٦- شرح ديوان أبى تمام، للخطيب التبريزى - تحقيق محمد عبده
عزام - القاهرة
١٩٥١ وما بعدها.
- ٥٧- شرح الشافية، الاسترأبادى - تحقيق الزفزاف وآخرين
القاهرة
١٣٥٦ هـ.

- ٥٨- شرح الكافية، للرضي - استانبول - ١٣١٠هـ.
- ٥٩- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - القاهرة ١٩٥٧م.
- ٦٠- الصاهل والشاحج، لأبي يعلاء المعري، تحقيق د/ بنت الشاطيء - القاهرة ١٩٧٥م.
- ٦١- صحيح البخاري - دار الشعب - القاهرة.
- ٦٢- صحيح مسلم، البابي الحلبي - القاهرة.
- ٦٣- صحيح مسلم بشرح النووي - المطبعة المصرية - القاهرة ١٣٤٩م.
- ٦٤- الفائق في غريب الحديث، للزمخشري - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ١٩٤٥ - ١٩٤٨م.
- ٦٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر - المطبعة السلفية القاهرة.
- ٦٦- فصول في فقه العربية د/ رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٨٣م.
- ٦٧- الفهرست، لابن النديم - القاهرة ١٣٤٨م.
- ٦٨- في أصول اللغة والنحو، لفؤاد ترزي - بيروت ١٩٦٩م.
- ٦٩- فيض القدير، لعبد الرؤوف المناوي - ط ٢ - بيروت ١٣٩١هـ - ١٩٨٢م.
- ٧٠- الكتاب، لسيويه بولاق ١٣١٦ - ١٣١٧م.
- ٧١- الكتاب، لسيويه - تحقيق عبد السلام هارون القاهرة ١٩٦٦ - ١٩٧٧م.

- ٧٢- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من أحاديث
على السنة الناس، لإسماعيل العجلوني طبعه مصورة - بيروت ١٣٥١هـ.
- ٧٣- كثر العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتنقى الكندي -
حيدر آباد الدكن - الهند ١٣١٢ هـ - ١٣١٧ هـ.
- ٧٤- لسان العرب، لابن منظور الإفريقي - بولاق ١٣٠٠ هـ - ١٣٠٧ هـ.
- ٧٥- اللغات السامية لنولدكه - ترجمة د/ رمضان عبد التواب -
القاهرة ١٩٦٣ م.
- ٧٦- اللغة العربية معناها ومبناها د/ تمام حسان - القاهرة ١٩٧٩ م.
- ٧٧- اللهجات العربية الغربية القديمة، لرابين - ترجمة
د/ عبد الرحمن أيوب - الكويت ١٩٨٦ م.
- ٧٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين الهيثمي -
القاهرة ١٣٥٣ م.
- ٧٩- المدخل إلى دراسة النحو العربي د/ على أبو المكارم -
القاهرة ١٩٨٠ م.
- ٨٠- مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي - تحقيق محمد
أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٥٥ م.
- ٨١- المزهر في علوم اللغة، للسيوطي - تحقيق محمد
أبو الفضل إبراهيم وآخرين - القاهرة ١٩٥٨ م.
- ٨٢- مسند أحمد - ط ٢ - بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ٨٣- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، لعلى القارى -
تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ط ٢ - بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

- ٨٤- مظاهر النظرية النحوية، لتشومسكى - ترجمة مرتضى
جواد باقر بغداد ١٩٨٣ م.
- ٨٥- معانى القرآن، للفراء - تحقيق محمد على النجار -
القاهرة ١٩٥٥ - ١٩٧٢ م.
- ٨٦- معانى القرآن وإعرابه، للزجاج - تحقيق
عبد الجليل شلبي - بيروت ١٩٧٣ م.
- ٨٧- معجم الأدباء، لياقوت الحموى - نشر أحمد
فريد رفاعى - القاهرة ١٩٣٦ م.
- ٨٨- معجم الشعراء المخضرمين والأمويين للدكتورة عزيزة
فوال، دار صادر بيروت ١٩٩٨ م.
- ٨٩- معنى اللبيب عن كتب الأعراب، لابن هشام المصرى - تحقيق
محمد محيى الدين عبد الحميد.
- ٩٠- المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث
المشتهرة على الألسنة، للسخاوى - تصحيح عبد الله محمد
الصدىق القاهرة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م.
- ٩١- مقالات فى الأسلوبية د/ منذر عياشى - منشورات اتحاد الكتاب
العرب
- ٩٢- مقاييس اللغة، لابن فارس - تحقيق عبد السلام
هارون القاهرة ١٣٦٦ هـ - ١٣٧١ هـ

- ٩٣- من أسرار اللغة د/ إبراهيم أنيس القاهرة
١٩٦٦م
- ٩٤- الموطأ، لابن مالك - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
القاهرة
١٣٧٠ هـ
- ٩٥- النشر في القراءات العشر، لابن الجزرى - نشر على محمد
الضباع القاهرة
- ٩٦- نظرة في النحو العربى - مجلة المسجم العلمى ١٤ ص ٣٢٥ -
٣٢٧ دمشق
- ٩٧- نظرية تشومسكى اللغوية، لجون ليونز - ترجمة
د/ حلمى خليل الاسكندرية
١٩٨٥م
- ٩٨- نيل الأوطار فى شرح متقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار،
للشوكانى القاهرة ط ٢
- ٩٩- مع الهوامع على شرح جمع الجوامع، للسيوطى
القاهرة
١٣٢٧ هـ
- ١٠٠- النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير -
تحقيق د/ محمود الطناحى وآخرين القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٥٦م

المبحث الرابع

**المجازات المنسية في العربية
في ضوء نظرية العلاقات الدلالية**

المجازات المنسية في اللغة العربية دراسة دلالية تطبيقية في ضوء قوانين التطور الدلالي

تقديم

يعد الاستعمال المجازي - منذ القديم - هو القسيم الثاني والملازم للاستعمال الحقيقي لألفاظ اللغة ومفرداتها.

وكانت ألفاظ أعضاء الجسم من أسبق الألفاظ التي استعملها الإنسان ونطق بها، حيث يعرفها وينطق بها منذ بدايات انطلاق لسانه بالكلام.

انتقلت دلالات هذه الألفاظ، التي تمثل بدايات الثروة اللفظية عند الإنسان، في أية لغة من اللغات، إلى جمادات أخرى، في استعمالات مجازية، كما هو الحال في قولنا: رجل الكرسي، أو إيد الكرسي، أو في قولنا: أسنان المشط والمنشار، وإيد السكين، وعين الإبرة، وأذن الإبريق، وفم الخليج، وعنق الزجاج، ولسان الحذاء، وغيرها من الجمادات!

لقد كانت النشأة الأولى للمجازات، من خلال هذه العلاقة الواضحة بين الألفاظ، وتقبلها الناس، دونما غرابة أو دهشة، ولم يخف عليهم إدراك العلاقة بين الاستعمال الجديد، الذي يشترك في المظهر الخارجي مع القديم، ولا يتطلب مثل هذا الانتقال الدلالي في تلك المجازات العامة، التي تنشأ بين أفراد البيئة اللغوية، رغبة في توضيح الحديث وإبرازه، ولا

يتطلب من المتكلمين مهارة خاصة أو حذقا للاهتداء إليها، فهي ليست كذلك المجازات، التي يبتكرها الشعراء والكتاب ويجهدون قرائحهم في الغوص عنها^(١).

وليس الأمر مقصوراً على أعضاء جسم الإنسان فحسب، بل يمتد إلى إضافة أعضاء الحيوانات والنباتات لجمادات أخرى، وذلك في مثل قولنا: جناح الطائر، وذيل الطائرة، وجذور الأسنان، وقرن الشمس، وغيرها. وتعد تلك المجازات، من أقدم أنواع المسجاز، فهي لم تعد تشير في الأذهان غرابة أو طرافة، بل أصبحت بعد شيوعها من الألفاظ الحقيقية في اللغة^(٢).

ودلالة الألفاظ في أية لغة من اللغات، تتأثر في نموها وتطورها بمؤثرات كثيرة تختلف باختلاف التجارب، التي تمر بها، وباختلاف الظروف المحيطة بهذه التجارب ولا يجوز الحكم على أن دلالات الألفاظ معينة، هي على وجه الحقيقة، أو على وجه المسجاز، إلا إذا كان ذلك مقصوراً على بيئة معينة، وفي جيل محدد.

فالمجازات القديمة، مصيرها إلى الاستعمال الحقيقي، والحقيقة القديمة قد يكون مصيرها إلى الزوال والاندثار.

وهكذا، فإن كثيراً من الدلالات، التي كانت شائعة في عصور قديمة، قد أصابها التغيير، ولم تعد تمثل واقعاً دلاليّاً حالياً، وأصبحت أشبه بالقطع الأثرية، التي لم تعد صالحة للاستعمال أو تكاد^(٣).

(١) انظر: دلالة الألفاظ ٩٧.

(٢) انظر: دلالة الألفاظ ٩٧.

(٣) انظر: دلالة الألفاظ ١٣٠ - ١٣٢.

ويمكننا القول، بأن أسمى درجات الجودة والظرافة في الاستعمال، هو ما يسمى: بالمجاز الذي أصبح بكثرة شيوعه وانتشاره أمراً حقيقياً، هذه المجازات التي تحولت إلى حقيقية، هي ما نطلق عليها: «المجازات المنسية» ولعل من هذا القبيل ما أورده الزمخشري في كتابه: «أساس البلاغة» من ألفاظ وكلمات، شاعت دلالتها على وجه الحقيقة، بأنها من المجاز أصلاً، مثال ذلك الكلمات: (خلق - هجا).

يذكر الزمخشري أن الدلالة الحقيقية للفاعل: خلق، هي من: خلق الحذاء الأديم والخياط الثوب: قلره قبل القطع، ومن المجاز: خلق الله الخلق^(١).

وأن معنى: هجا الحروف يهجوها: عددها، ومنها عن طريق المجاز: الهجاء بمعنى تعدد المعايب!^(٢).

ويذكر ابن جنى في خصائصه أنماطاً من هذه المجازات المنسية بقوله: «فهم يقولون: بنى فلان بأهله» وذلك أن الرجل إذا أراد الدخول بأهله: «قد بنى بيتاً من آدم أو قبة أو نحو ذلك من الحجر، ثم يدخل بها فيه، فقبل لكل داخل بأهله»^(٣).

فالدلالة المجازية، في العبارة السابقة، وهي: دخول الرجل بأهله، انتقلت من دلالة حبة حقيقية، وهي عملية بناء بيت الزوجية، ثم تنوسيت الدلالة المجازية في عبارة: بنى فلان بأهله، وأصبحت دلالة على الحقيقة!

(١) انظر: أساس البلاغة ١١٩.

(٢) أساس البلاغة ٤٨٠.

(٣) الخصائص ١ / ٣٩ - ٤٠.

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر: (الرجز):

* ليلي قضيب تحته كتيب *

* وفي التلاد رشاً ريب *

وقول أبي تمام: (البيسط):

وكم أحرزت قضيب الهندي مصلته

تهتز من قضيب تهتز في كشب

ويرى ابن جنى أن أصل الحقيقة، هو الكتيب المستعار في صورة غزلية متداولة، وفرع المجاز: هو المرأة الحسنة مشبهة به، ويعلق على ذلك ابن جنى قائلاً: «لما كثرت استعمالهم إياه، وهو مجاز استعمال الحقيقة، استمر واتلأب، تجاوزوا به ذلك، إلى أن أصاروه، كأنه هو الأصل والحقيقة»^(١).

ولكن هذه المرحلة من تطور الاستخدام، لا يعوقها انحسار الجانب التصوري، بسبب من اعتياده، والعودة إلى ما يقرب من الحقائق اللغوية، وذلك أنهم عادوا فاستعاروا منه لأصله، فقال طرفة: (الطويل):

ورمل كأوراك العذاري قطعته

إذا البسته المظلمات الحنادس

وبذا جعل الأصل فرعاً، والفرع أصلاً، وهذا من باب تدرج اللغة^(٢).

ويقول أبو هلال العسكري: «فكثرة الاستعمال، جعلت تسمية المزايدة: راوية كالحقيقة، وكان الراوية حامل المزايدة، وهو البعير، وما يجري مجراه ولهذا سمي حامل الشعر براوية، ومثل هذا كثير ملبس»^(٣).

(١) الخصائص ٢ / ١٧٧.

(٢) انظر: الخصائص ٢ / ١٧٦ - ١٧٧.

(٣) انظر: الصناعتين ٦ - ٧ وانظر: إصلاح المنطق ٢٨٤، ٢٨٧ وكلنا: كتاب المعتمد ١ / ٢٦ -

وبذلك تكون كلمة: راوية راوى الشعر أو غيره من ضروب اللغة، نثراً أو شعراً، من الدلالات المجازية المنسية، التي انتقلت عن الدلالة الحقيقية الأصلية، وهي: البعير، ثم انتقلت الدلالة الحسية الحقيقية، وهي البعير، إلى دلالة حسية أخرى، وهي: الوعاء الذى يوضع فيه الماء تارة فى إطار العلاقة: (المنفذ بالأداة) وإلى دلالة أخرى وهي: الراوى للغة تارة أخرى، فى إطار العلاقة: (المنفذ بالأداة) أيضاً، فالبعير يحمل الوعاء وينقله من مكان إلى آخر، والراوى ينقل اللغة، شعراً ونثراً إلى الناس من مكان إلى مكان آخر أيضاً، ثم تنوسيت الدلالة المجازية الأخيرة، وأصبحت تدل فى الواقع اللغوى على الدلالة الحقيقية!

مفهوم المجاز عند العلماء العرب القدامى:

يتركز مفهوم المجاز عند العلماء العرب القدامى، في استعمال الكلمة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق، باستعمالها في غيره، بالنسبة إلى نوع حقيقتها^(١).

كما يحدد علماء البيان مفهوم المجاز في الدلالات العقلية، وما تشمل عليه من تعلق المفاهيم بعضها ببعض^(٢).

فقد يكون المفهوم الآخر، داخلاً في المفهوم الأصلي في علاقة تضمن، كدلالة اللفظ: الحائط، بالنسبة للسقف^(٣).

تلك العلاقات المجازية التي ذكرها العلماء العرب القدامى، قد ظلت على مستوى الملاحظة، لا تظهر قيمتها الإجرائية في رصد العلاقات المعجمية، وآليات التوليد الدلالي بكيفية واضحة، ويرجع ذلك بالدرجة الأولى، إلى عدم صياغتها في نظرية الدلالة المعجمية، وهو ما ترتب عنه غياب تصور نسقي للمعجم، يمكنه أن يعطى لمثل هذه العلاقات معناها داخل بنية نظرية محددة^(٤).

كما تركزت دراسات هؤلاء العلماء على الدلالات المجازية للألفاظ المفردة بمعزل عن السياق، ولا تخفى أهمية السياق في تحديد التوليد الدلالي وتعيينه.

(١) انظر: مفتاح العلوم ١٥٢ - ١٥٣.

(٢) انظر: التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم: ٢.

(٣) علوم البلاغة ٢١٦ وأسرار البلاغة ٤٦٢.

(٤) انظر التوليد الدلالي ٢٣.

مفهوم المجاز في الدرس اللغوي الحديث:

تركزت الدراسات الدلالية الحديثة في ربط قدرة توسيع دلالة الوحدات اللغوية للمتكلمين، عن طريق عملية التحويل المجازي، باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من المقدرة اللغوية للمتكلمين، حيث تعد الإبداعية المجازية نتيجة للتعدد الدلالي - حيثئذ - خاصية جوهرية من خصائص عمل اللغات باعتبارها أنساقاً سيميائية مرنة وفعالة^(١).

ومعنى ذلك أن أية نظرية للمجاز، باعتبارها جزءاً من نظرية لغوية هامة، يجب أن تفترض أن المتكلم يستخدم حين يستخدم المجاز، يستخدم نفس الأدوات اللغوية، التي يعتمد عليها حين يستخدم استعمالات غير مجازية.

ويرى بعضهم أن الفصل الحاد بين لغة أدبية أو شعرية، ولغة عادية، قد يؤدي إلى نتائج نظرية ومنهجية، لا تخطر على بال، ويرى هؤلاء أن هناك قدرتين لغويتين، قدرة شعرية وقدرة عادية، ويمعن هؤلاء إلى حد القول بأن الطفل ينبغي أن يكتسب قدرتين لغويتين، في مقابل قدرة واحدة!

والحق... فإن هؤلاء القائلين بالفصل الحاد، بين امتلاك الإنسان للغتين إحداهما: أدبية راقية، والأخرى: عادية عامية! ليسوا على صواب، فالقدرة اللغوية لدى الإنسان واحدة، لكنها تنمو وتسمو وتتعمق عن طريق التدعيم، بحيث يمكن لصاحبها أن ينميها، وأن يرتقى بها، ويمكن لهذه القدرة - حيثئذ - أن تنتج أدباً رفيعاً راقياً، لكن ذلك لوقت محدود، في حالات نفسية مهيئة لذلك، ثم لا يلبث صاحب القدرة اللغوية بعدها، أن يعود إلى نوظيفها في الاستعمال اللغوي العادي!

لقد برز اهتمام العلماء بهذا الفصل، على أساس أن العلاقات المجازية

(1) Lyons J: Language Meaning and context, P, P 193 - 194, 1980

تمتلك مكونًا أساسيًا للأبنية الدلالية في اللغات الطبيعية، وأن ثمة نظرية دلالية يمكنها القيام برصد هذه العلاقات، يبرز هذا الاهتمام في أواخر هذا القرن، عند أمثال كل من: ليفين (S.R. Levin) وأرطونى (Artony) وليكوف (Lakoff) وجونسون (Johnson) ونوريك (N.R. Norrick) وفوكونيه (G. Fauconnier) وغيرهم، جاء اهتمام هؤلاء العلماء، على مستوى معالجة التراكيب الدلالية المولدة، والترابطات بين المداخل المعجمية، واستنادًا إلى مبادئ دلالية عامة.

لقد أكدت هذه الدراسات والأعمال أن المجاز، ليس واقعة مكونة للغة فحسب، وإنما يلعب دورًا أساسيًا في بنية الإنسان التصورية بوجه عام^(١). ومن ثم، فإن أية نظرية يمكن طرحها في التوليد الدلالي، ينبغي أن تجد حلاً لمشكلتين هما:

- ١- رصد العلاقات الدلالية القائمة بين الوحدات داخل المعجم.
- ٢- تأويل الوحدات المعجمية على مستوى التركيب الدلالي، أى تأويل التراكيب المجازية المولدة.

فالقواعد التى تربط المكونات التركيبية للمجمل، بالمداخل المعجمية، غالبًا ما تكون قواعد مباشرة، إلا أن المشاكل تظهر عندما تستوجب الحالة قراءة دلالية سياقية، لأحد المكونات التركيبية، بصورة مختلفة عن القراءة المعجمية.

وعلى الرغم من اختلاف القراءتين: السياقية والمعجمية، إلا أنهما دائمًا متعلقتان^(٢).

(1) R. Matthews: A propos d'une a theorie Linguistique, P, P 52 - 53, 1971.

(2) R, Matthews: A propos d, une a theorie Linguistique, p, 66, 1971.

النظريات اللغوية الحديثة التي اهتمت بدراسة الدلالات المجازية

أولاً: النظرية التوليدية التحويلية^(١)

لقد أولى علماء هذه النظرية اهتماماً كبيراً، بدراسة الدلالات المجازية، وبخاصة عند رائد النظرية: نوجم تشومسكى (N, Chomsky) وعند علمائها الآخرين من أمثال: ماثيوس (Matthews) وجاكندوف (Jachendoff) وميلر (Miller) ولينش (Leech) وغيرهم.

يرى تشومسكى (N, Chomsky) أن التراكيب المجازية من مظاهر الانحراف اللغوي، وذلك بتحديد العلاقات، بين التراكيب السليمة والتراكيب المنحرفة، مع الوقوف على الكيفية التي تم عن طريقها الانحراف، على كافة مستويات الانحراف، سواء أكان انحرافاً للقيود الانتقائية أو لقواعد بنية العبارة أو لقواعد التفرع.

ويرى تشومسكى أن تأويل الجمل المنحرفة، يعد تأويلاً مشتقاً، وليس مباشراً، وذلك يحدث في الجمل السليمة، التي يحدث فيها خرق لقواعد التصنيف الجزئي (التركيب النحوي الاسامي)^(١).

كما يرى تشومسكى أن ثمة اختلافاً بين كمية الانحراف الناتجة عن خرق القواعد المقولية، والقواعد التفرعية والقواعد الانتقائية. وأن الجمل الناتجة عن خرق القواعد الانتقائية، يمكن تأويلها استعارياً، وذلك عن طريق قياسها مباشرة، بالجمل السليمة، التي تلتزم قواعد الانتقاء^(٢).

(1) See: N, Chomsky: Aspects of the theory of Syntax, p 110, 1965.

(2) See: N: Chomsky. Aspects of the theory of Syntax, p, 203, 1965.

ويقسم تشومسكى الجمل المنحرفة إلى ثلاثة أنماط وهى:

(أ) خرق لمقولة معجمية:

- ١- الانتقال من الصفة إلى الاسم فى مثل:
 - المظهر السياسى تعبير مباشر عن المظهر الاقتصادى التى تصبح:
 - السياسى تعبير مباشر عن الاقتصادى.
 - ٢- الانتقال من الاسم إلى الصفة: فى مثل:
 - إنهم يتحدثون عن جمهور شبح، لتصبح: - إنهم يتحدثون عن شبح.
- (ب) خرق لسمة تفرعية: (كالانتقال من الفعل اللازم إلى المتعدى) فى مثل:
- اكتشفت المرأة، تصبح: - اكتشفت المرأة طفلها.
- (ج) خرق لسمة انتقالية: (كالانتقال من المحسوس إلى المجرد) فى مثل:
- لوثت النظريات الخاطئة فكر زيد.
 - عالج عمرو الأزمة الثقافية.
- أو كالانتقال من + إنسان إلى - إنسان، كما فى الأمثلة:
- كلمنى ثعلب - تزوج عمرو قمرًا - أحب الرسوم الصامتة - ضحك الشلال.

فالتراكيب السابقة، تراكيب هامشية منحرفة على مستوى القدرة اللغوية، لا يمكن تأويلها إلا بقياسها بالجمل السليمة^(١).

والحق، فإن وجهة نظر تشومسكى، التى تعتمد فى بناء التراكيب المجازية على خرق القيود الانتقائية أو الانحراف عنها، أمر لا يكفى للتنبؤ

(١) انظر: التوليد الدلالى ٦١.

بالتأويلات المجازية، أو للتمييز بين التأويل المجازي الممكن والشذوذ أو الانحراف المتمثل في التناقض المنطقي.

كما أن القول بأن التراكيب المجازية، تراكيب منحرفة، يدعونا إلى التقليل من أهمية هذه التراكيب، ومن ثم فلا نستطيع تحديد الأنماط المطردة للتوسع والنقل الداليتين، على الرغم من إنتاج المتكلمين لهذه الأنماط، ويقومون بتأويلها - أيضاً - بصفة مستمرة.

ثانياً: نظرية العلاقات المعجمية الدلالية: (اقتراحات جاكندوف):

يقترح جاكندوف - وفقاً لنسق العلاقات الدلالية، عند كروبر - نظرية للعلاقات المحورية، تقوم بين المحمول وما يتقنيه من أدوار محورية: كالمحور والمكان والمنفذ والصدر والهدف والأداة... إلخ وتتلخص صورة العلاقة بين هذه الأدوار المحورية والبنية العميقة، في أن المكون الدلالي، يشتقها انطلاقاً من البنية العميقة.

ويتكفل الفعل في البنية بتحديد هذه العلاقة، أي إن المدخل المعجمي للفعل، يجب أن يربط بين العلاقات النحوية والأدوار المحورية^(١).

تقدم نظرية الأدوار المحورية إمكانية تمثيل موجود لما هو مشترك بين عمليات محسوسة، وأخرى مجردة، وبين أحداث فيزيائية وأخرى نفسية^(٢)، حيث تتمكن من توحيد استعمالات مختلفة للصورة الصرفية الواحدة للعقل، مما يمكننا - أيضاً - من إيجاد تعميمات مهمة داخل المعجم^(٣).

وقد أضاف (روقت) مجموعة من السمات الانتقائية مثل: + إنسان + محسوس... إلى جانب الأدوار المحورية في المداخل المعجمية^(٤).

ويبدو أن علاقة الأدوار المحورية بالسمات الانتقائية، يمكن تصورها على مستوى أعم، باعتبار أن الدور المحوري، ليس كياناً دلاليًا بسيطاً، ولكنه مركب من السمات الانتقائية، فدور المنفذ عند جاكندوف - مثلاً -

(١) انظر التوليد الدلالي ٧١.

(2) See: Ruwet: A propose d, une classe de: verbles a psychologiques, p, p 186 - 186, 1972.

(3) Jackendoff: semantic interpretation in generative grammar, p, 31, 1972.

(٤) انظر: التوليد الدلالي ٧٣.

يشمل + حى + إرادى، والأدوار الأخرى، يمكن أن تشمل سمات مثل:
+ مجرد + محسوس، إلى جانب السمات الأخرى.

وبعد... فإن النظرية الدلالية عند كل من جاكندوف وروقت، لا تتضمن المبادئ العلاقية الدلالية، بالقدر الكافى الذى يمكنها من رصد أكبر عدد ممكن من التراكيب المولدة والتميز بينها، فهى لا تتضمن من المبادئ التى يمكن أن تحيل عليها القواعد العلاقية إلا مبدأ واحداً، بل إن هذا المبدأ الوحيد، ليس واضحاً، إنه ضمناً مبدأ استعارى، يقوم على المشابهة التى ترجع إليها كل المبادئ العلاقية الاستعارية، فى مقابل المبادئ العلاقية الكنائية القائمة على علاقة المجاورة، إلى جانب أن قواعد الحشو الدلالية عند كل من جاكندوف وروقت لا تعالق إلا بين المناخل المتعاقبة صرفياً، وتعجز عن التعالق بين الوحدات المترابطة دلاليًا، كما أن هذه القواعد لا تسمح بعمل تعميمات ترصد مختلف أنواع التوسعات الدلالية^(١).

نظرية القواعد التأويلية عند ميللر (G, A, Miller)

وهى عبارة عن نمط من قواعد الحشو، تصلح لتبسيط الفرضيات المتعلقة بالتصورات المعجمية.

ويرى ميللر أن الكلمات لها معنى مركزى (بؤرة) يتم تكييفه بشكل ملائم فى الجملة التى يرد فيها، وهذا يعنى أنه:

١- من الممكن تعيين المعانى البؤرية أو المركزية للكلمات المتعددة الدلالة (دلاليًا).

(١) انظر: التوليد الدلالي ٧٤ - ٨٤.

٢- من الممكن صياغة قواعد تاويلية، تضبط الكيفيات التي يمكن للمعنى النروي أن يتوسع بها لإعطاء المعاني الأخرى^(١).

القواعد الاستعارية والكنائية عند ليتش (G, Leech)

يقدم ليتش في إطار معالجته للجوانب الإبداعية أو التوليدية للمعجم مجموعة من القواعد المعجمية، وهي قواعد لا تفسر فقط حسب ليتش، الكيفية التي تظهر بها مداخل جديدة على أساس المداخل الموجودة مسبقاً، بل تفسر - أيضاً - علاقات الاشتقاق التي نتعرف عليها بين المداخل المعجمية القائمة في اللغة.

في هذا الإطار يعالج ليتش النقل الدلالي (الاستعاري والكنائي) عن طريق قواعد معجمية، تكون فيها التخصصات الصورية للوحدات المعجمية متماثلة مع تغير في التخصصات الدلالية^(٢).

وعلى الرغم من إدخال ليتش مبادئ كنائية، إلى جانب المبادئ الاستعارية، وهو تقدم بالنسبة للاقتراحات السابقة، فإن نسقه يبقى محدوداً أو غير واضح، ويكمن ذلك في أنه لا يقدم أية فرضية بصدد العلاقة بين التأويلات المجازية، والترابطات الدلالية المعجمية كما لا نجد لديه قيوداً على المبادئ الكنائية والاستعارية، تمكن من تقديم أساس نفسي لهذه المبادئ، وإمكانية التمييز بين المطرد منها وغير المطرد^(٣).

كما لم تقدم الاقتراحات السابقة المتعلقة بتأويل التراكيب الدلالية المولدة مبادئ علاقة دلالية واضحة، تمكن من رؤية العلاقة القائمة بين

(١) انظر: التوليد الدلالي ٨٤.

(٢) انظر: التوليد الدلالي ٨٤.

(٣) انظر: التوليد الدلالي ٨٩.

القراءات المعجمية للوحدات وتأويلاتها السياقية الممكنة، ورصدها يعتمد بعض هذه الاقتراحات على القول بالشدوذ أو الانحراف الدلالي في التخلص من المشكلة، على نحو ما ورد عند تشومسكى، كما تقدم الآليات الوصفية، دون تحديد لنوع القيود على هذه الآليات، التي يمكن عن طريقها التمييز بين الحالات المطردة في توسيع المعنى ونقله، والحالات غير المطردة أو الشاذة^(١).

فرضية البنية التصويرية لدى جاكندوف (R, Jackendoff)

ترى هذه الفرضية أن هناك مستوى واحداً للتمثيل الذهني، هو البنية التصويرية، تنسجم فيه المعلومات اللغوية والحسية والحركية.

وتنسحب مبادئ البنية التصويرية على معرفتنا، بكل أنواع الدلائل واستعمالها، فهي تتعلق بتجارينا الفكرية والجمالية والحسية... فهي تعنى بمختلف أنساقنا المعرفية والإدراكية، انطلاقاً من تألفنا مع معنى حركات أجسامنا وأوضاعها الفضائية والقيم المختلفة، إلى تعاملنا مع الأعمال الفنية والصناعات... إلخ^(٢).

ولما كانت كثير من تجارينا ونشاطاتنا استعارية وكنائية في طبيعتها، فإن كثيراً من المجاورات والمشابهات التي ندركها قائمة على التصورات الكنائية والاستعارية.

فثمة تجاورات تتجها تصورات كنائية بين الجزء والكل أو بين السبب والمسبب وثمة تشابهات تتجها تصورات استعارية اتجاهية، بين الاتجاه إلى

(١) انظر: التوليد الدلالي ٩٠.

(٢) انظر: دلالة الألفاظ ١٣٤ انظر: التوليد الدلالي ٩٢.

أعلى والقيم الإيجابية أو انطولوجية بين الزمن والمادة، فتمكن من نشوء الزمن، وجعله وعاء وتجزئته إلى وحدات، لها قيم معينة أو بنسوية بين الأفكار والغذاء إذ كلاهما يهضم ويغذى ويلتهم... إلخ^(١).

لكن هذا التصور يتعارض مع بعض وجهات النظر التقليدية، التي لا ترى في الاستعارات والكنائيات إبداعاً لمشابهات ومجاورات جديدة، حيث إن الاستعارة والكناية مجرد تعبير عن نوع آخر عن علاقات موجودة مسبقاً، ولا يمكن أن تبدع جديداً.

تربط وجهة النظر هذه بين الاستعارات والكنائيات باللغة فقط، دون النشاطات الأخرى، الفكرية والعلمية، بناء على أن استعمال المجاز مخصوص بالألفاظ دون الأفعال (كالقيام والقعود والصور والهيئات) فلا ترد فيها المجازات بحال^(٢) ويمكن تسمية التصور السابق بالتصور غير البنائى.

أما التصور البنائى، فهو يرى أن المعرفة نتيجة تصور ذهنى، وأن اللغة والإدراك والمعرفة أشياء تابعة لبعضها بشكل غير قابل للانفصام، وهذا التصور يعطى دوراً هاماً للاستعارات، سواء بالنسبة للغة أو بالنسبة للفكر، ويميل إلى إلغاء التمييز بين ما هو حقيقى، وما هو استعارى^(٣).

إن استعمال اللغة نشاط إبداعى أساساً، كما هو الحال بالنسبة لفهمها، وإذا أمكن للمجاز أن يكون أحياناً أكثر إبداعية من لغة الحقيقة، فإن الفرق يبقى كمياً وليس كيفياً.

(١) انظر: التوليد الدلائى ٩٩.

(٢) انظر: الطراز ليحيى بن يحيى العلوى ٨٨ - ٨٩.

(٣) التوليد الدلائى ١٠١.

ويمكننا القول بأن للمجازات القدرة على خلق واقع جديد، ويبدأ ذلك عندما نأخذ في فهم تجربتنا أو الإحالة عليها، تصبح واقعاً عميقاً، عندما نأخذ في الممارسة على ضوئها، ومن خلالها.

ويمكننا القول بأن كثيراً من تعبيراتنا الكلامية، إنما تنشأ من تصورات مجازية جديدة، واختفاء أخرى قديمة.

ويهمنا في هذا المقام أن نقدم لمجموعة مبادئ المجاورة التصويرية، التي يعتمد عليها البحث أساساً في الربط بين الدلالات الحقيقية، والدلالات المجازية على النحو التالي^(١):

١ - علاقة السبب بالمسبب:

تعد السببية من التصورات التي يستعملها الناس باستمرار لتنظيم واقعهم الفيزيائي والثقافي^(٢).

٢ - علاقة المنتج بالنتائج:

ويمكننا إدراجه في إطار المبدأ السببي بوجه عام، وهو مبدأ يرصد علاقات كالتى نقيمها بين الكتاب ومؤلفه، وبين اللوحة والرسام. ويتجلى هذا المبدأ في اللغات الطبيعية، فى العلاقة الصرفية - الدلالية - المعجمية بين عناصر من مثل: كاتب - كتاب، رواية - روائي، خبز - خباز، نسيج - نساج.

٣ - علاقة المصدر الطبيعي بالنتائج الطبيعي:

ولهذا المبدأ علاقة بالمبدأ العام السببي - أيضاً - ويقصد بالنتائج الطبيعي،

(١) انظر: التوليد الدلالي ١١٤ - ١٢٥.

(2) G. Lakoff and M. Johnson, metaphors we live by. 69, 1980.

كل ما يصدر عن النبات والحيوان والكائنات عموماً، كصدور الثمار عن النبات، ونحو ذلك، ويتجلى هذا المبدأ في اللغات الطبيعية، على مستوى الوحدات المعجمية، في حالة الوحدات الملتبسة دلالياً، التي تدل في نفس الوقت على النتاج الطبيعي، ومصدره الطبيعي.

٤- علاقة الأداة بالنتاج:

ويتجلى هذا المبدأ في الوحدات الصرفية للغات الطبيعية، في معجمة بعض التعالقات بين أسماء الأشياء، وأسماء الآلات المستعملة في إنتاجها، كعلاقة: الطاحون بالطحينة مثلاً.

٥- علاقة الموضوع بالفعل:

ويدخل هذا المبدأ في مجموعة العلاقات التصورية التي تهتم علاقات المجاورة القائمة بين الأفعال (acts) وموضوعاتها (objects) ومنفذيها (agents) والأدوات الرئيسية المستخدمة في إنجازها.

٦- علاقة الأداة بالفعل:

ويتجلى هذا المبدأ في العلاقات التي تقيم ترابطات بين الأفعال وأدوات إنجازها، وذلك في مثل الأدوات: الحبال والأقلام والكشوس والسكاكين، التي تستخدم في أفعال: الربط والكتابة والشرب والقطع..

٧- علاقة المنفذ بالفعل:

ويتجلى هذا المبدأ في العلاقات التي لا تكاد تحتاج إلى استدلال، كما يحدث في علاقة أسماء المنفذين بما يمارسونه من أفعال، كالملاكم الذي يمارس الملاكمة والكاتب الذي يمارس الكتابة، ونجد ذلك في معاجم اللغات الطبيعية كثيراً في مثل: تسابق ومتسابق، ودرس ومدرس وغيرها.

٨- علاقة المنفذ بالأداة:

ويتجلى هذا المبدأ في العلاقة بين المنفذ والأداة المتميزة التي يستخدمها المنفذ في إنجاز الفعل ومن أمثلته: علاقة المحارب بالسلاح، وعلاقة الكاتب بالقلم، وعلاقة المسافر بوسيلة السفر... إلخ.

٩- علاقة الجزء بالكل:

ويتجلى هذا المبدأ في علاقات جزئية منبثقة من كيانات كلية، كعلاقة الشراع بالسفينة، والنصل بالرمح، والجدار بالبناء... إلخ.

١٠- علاقة الفعل البسيط بالفعل المركب:

ويتجلى هذا المبدأ في الربط بين أفعال بسيطة، تقتضى في إنجازها أفعالاً مركبة، مثل فعل: الطبخ مثلاً، الذي يتطلب أفعالاً مركبة مثل: الغسل والقطع وإيقاد النار وملء الأواني وإعناد المسوائد، وغير ذلك، وتشمل اللغات الطبيعية على عديد من الأفعال البسيطة ذات العلاقة بالأفعال المركبة.

١١- علاقة الوعاء بالمحتوى:

ويتجلى هذا المبدأ في العلاقة بين الأوعية ولما تحتوى عليه، حتى لو كانت هذه الأوعية فارغة، حيث تربط بين كوب الشاي والشاي، وكأس الخمر والخمر ونحو ذلك من الأواني، وتشتمل اللغات الطبيعية على كثير من الوحدات اللغوية التي تمثل هذه العلاقة.

١٢- علاقة الحال بالمحل: (العلاقة المكانية):

وهذا المبدأ منبثق عن المبدأ السابق ومشتق منه، ليقوم بين الحال

والمحل فالمحل: يشمل كل الفضاءات المحددة جغرافياً وسياسياً، كالبلدان والمدن، أما الحال فيشمل الأفراد والجماعات الحالة في هذه الفضاءات.

١٣- علاقة المالك بالملكية:

وهو مبدأ يربط المالك والملكية، والمالك إما أن يكون فرداً أو جماعة، والملكية لا تشمل مجرد الأشياء الفيزيائية فقط، وإنما تمتد إلى الممتلكات الأخرى المعنوية، كالذاكرة والجمال والمنصب والجاه والسلطان... إلخ.

أسباب التطور الدلالي وعوامله:

- يرجع د/ إبراهيم أنيس أسباب التطور الدلالي إلى سببين اثنين هما (١):
- ١- تطور لا شعوري: يتم في كل لغة، وفي كل بيئة، ثم لا يفتن إليه إلا بعد المقارنة بين عصور اللغة.
 - ٢- تطور مقصود متعمد: وهو الذي يقوم به المهرة في صناعة الكلام، وتقوم به المجامع اللغوية، لهدف أو لآخر، وهذا التطور المقصود المتعمد أقل أثرًا في اللغات بوجه عام، ويعد من دلالة الطفرة من دلالة الألفاظ.
- أما عوامل التطور الدلالي، فيرجعها - أيضًا - إلى عاملين اثنين وهما (٢):
- أولاً: الاستعمال وعناصره:

(أ) سوء الفهم.

(ب) بلى الألفاظ.

(ج) الابتذال.

حيث يختلف الناس في حدود الكلمة الهامشية، وفي دلالتها، وما يكتنفها من ظروف وملابسات، تتغير كل يوم وتتوسع بتوسع التجارب، فإذا ورثتها الأجيال الناشئة، لم ترثها على حالتها الأولى، بل ترثها مع بعض الانحراف في الدلالة، ثم يتفخم ذلك الانحراف مع توالي الأجيال (٣).

ثانياً: الحاجة: وهذا النوع من التطور يتم - عادة - على يد الموهوبين من أصحاب المهارة في الكلام، كالشعراء والأدباء، كما تقوم به المجامع اللغوية أو الهيئات العلمية، حين تعور الحاجة إليه (٤).

(١) انظر: دلالة الألفاظ ١٣٤ وانظر: التطور اللغوي، مظاهره وعمله وقوانينه ١٥ - ٢٣.

(٢) انظر: دلالة الألفاظ ١٣٤.

(٣) انظر: دلالة الألفاظ ١٣٥. (٤) دلالة الألفاظ ١٤٥.

والسبيل إليه، هو ما يسمى بالمجاز أو الانتقال باللفظ من مجاله
المألوف إلى آخر جديد عليه.

وأما عن مبررات هذا التطور ودوافعه، فنوجزها فيما يلي^(١):

١- توضيح الدلالة: وذلك بجعل الصورة الذهنية من الجلاء والصقل،
بحيث لا تترك مجالاً للوهم أو الشك، ويكون هذا - عادة - حين تتقل
الدلالة المجردة، إلى مجال الدلالة المحسوسة الملموسة.

٢- رقى الحياة العلمية: يجمع الباحثون على أن تطور الدلالات
المجردة بتطور العقل الإنساني ورقية، وهذا التطور الذي يطلق عليه،
المجاز، ليس هو المجاز البلاغي، وإنما هو مرحلة تاريخية متميزة لتطور
الدلالة عند الأمم، في حين أن المجاز البلاغي لا يتوقف وجوده أو شيوعه
على تطور العصور التاريخية.

وانتقال الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المجرد، يتم - عادة
- في صورة تدرجية، وتظل الدالتان سائدتين جنباً إلى جنب زمنياً ما،
وخلاله قد تستعمل الدلالة المحسوسة، فلا تثير دهشة أو غرابة، وتستعمل
في نفس الوقت الدلالة المجردة، فلا يدهش لها أحد.

وليست إحداهما حيثئذ باحق وأولى بالأصالة من الأخرى، حتى يمكن
أن تعد إحدى الدالتين مما يسمى بالحقيقة، والأخرى مما يسمى بالمجاز،
إذ لا مجاز ولا حقيقة بينهما في مثل هذه الحال!^(٢).

(١) دلالة الالفاظ ١٦٠ - ١٦١.

(٢) دلالة الالفاظ ١٦٢.

ثم قد تنزوي الدلالة المحسومة، في ركن من أركان الدلالة الأصلية،
وتعثر عليها حيثئذ في بعض النصوص القديمة المتحجرة أو الأمثال، في
صورة نفس اللفظ أو بعض مشتقاته، وقد تندثر الدلالة المحسومة،
ويصعب - حيثئذ - الاستدلال عليها^(١).

* * *

(١) دلالة الألفاظ ١٦٢.

نماذج تحليلية للمجازات المنسية في اللغة العربية في ضوء مبادئ العلاقات الدلالية وقواعدها

أزم: أزم بالفرس على فأس اللجام: عض عليه وأمسكه^(١)، وذكر صاحب اللسان: الأزم: شدة العض بالفم كله، وقيل بالأنياب، وقيل: هو أن يعضه ثم يكرر عليه ولا يرمله، ومنه حديث الصديق رضي الله عنه: «فأقسم على أبو عبيدة، فأزم بها بشيته، فجذبها جذبا رقيقا» أي عضها بين ثنيتيه^(٢).
ومن المجاز: أزم الدهر علينا، وأزمتنا أزمة، وأصابتهم أزمة^(٣)، وذكر ابن سيده: الأزمة: الشدة والقحط وجمعها: أزم، قال أبو خراش:
(الطويل):

جزى الله خيرا خالداً من مكافئ

على كل حال من رخاءٍ من أزم

وفي الحديث: «اشتدى أزمة تفرجى» قال: الأزمة: بالسنة المسجدة، وأزم العام عليهم: الدهر، وقال ابن بري: أنشد أبو علي: (الواقر)^(٤):

أهان لها الطعام فأنفذته

غداة السروع إذ أزمتم أروم

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية الأصلية للكلمة: أزم من معنى: العض والإمساك، إلى الدلالة المجازية في معنى الشدة والقحط، في إطار العلاقة (السبب والمسبب) فالعض سواء بالفم كله أو بالأنياب، يعد سبباً من أسباب

(١) أساس البلاغة ٥.

(٢) اللسان ١٢ / ١٦.

(٣) أساس البلاغة ٥.

(٤) اللسان ١٢ / ١٦.

الشدّة أو في إطار العلاقة: (الأداة بالنتيج) حيث يتّج عن العَض بالأتياب وحدها أو بالفم كله ضيقاً وشدّة والماء، وكذا في شأن الدهر باعتباره أداة للعَض، يتّج عن الشدّة والفحطاً.

وتنوسيت الدلالة المعجازية لمعنى الكلمة: أزم وما يشتق منها، وأصبحت تدل على الحقيقة، في الواقع اللغوي، وانتشرت دلالة الكلمة في الواقع اللغوي المعاصر في مثل قولهم: أزمة المياه بين تركيا وسوريا والعراق، وأزمة في العلاقات السيامية.

أيد: رجل أيد وذو أيد، ورفع الله السماء بأيد^(١)، وذكر صاحب اللسان، الأيد والأد جميعاً: القوة، قال العجاج: (الرجز):

* من أن تبدلت يآدى آدا *

وفي خطبة لعلى - كرم الله وجهه -: «وأمسكها من أن تمور بأيده: أي بقوته - عز وجل - ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ إِذْ أَتَىٰ بِالْأَيْدِ﴾ (سورة ص: ١٧).

وذكر الزمخشري من المجاز: لفلان عندي يد، وأيديت عنده ويديت: أنعمت منه، ومالك عليه يد: ولاية^(٢) وقد أيدته على الأمر، والتأييد مصدر أيدته: أي: قوته، قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَيْدُتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (المائدة: ١١٠) وفي التنزيل العزيز: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ (النار: ٤٧)^(٣) ويشيع استعمال الكلمة في لغة الخطاب المعاصر في معنى: التقوية أيضاً، ومن ذلك قولهم: وقد أيدت الدول قرار الاستقلال ونحو ذلك.

وقد انتقلت دلالة الكلمة الحسية، في الدلالة على عضو: اليد، من

(١) أساس البلاغة ١٣.

(٢) أساس البلاغة ٥١٢.

(٣) اللسان ٣ / ٧٦.

أعضاء الجسم، إلى الدلالة المجردة، في القوة والمنعة، في إطار العلاقة: (سبب بالمسبب) حيث يستخدم الناس أيديهم في الأعمال، التي يتقوى فيها الإنسان أو يقوى بها غيره، وكذا في إطار العلاقة: (المنفذ بالفعل) فاليد هي المنفذ لأفعال التقوية والتأييد.

ثم تنوسيت الدلالة المجازية المنقولة عن الدلالة الحسية، وأصبحت تدل في الواقع اللغوي على الدلالة الحقيقية.

بسط: بسط الثوب والفرش: إذا نشره^(١)، وقال صاحب اللسان: وسط الشيء: نشره بالصاد. . والبسط من الأرض، كالبساط من الثياب، قال ذو الرمة: (الطويل):

ودو ككف المشثري غير أنه

بساط لأحقاف المراسيل واسع^(٢)

وقال آخر: (الطويل)

ولو كان في الأرض البسيطة منهم

لمختبط عاف لما عرف الفقر

وفي أسماء الله: الياسط: وهو الذي يسط الرزق لعباده، ويوسع عليهم

بجوده ورحمته، ويسط الأرواح في الأجسام عند الحياة^(٣).

وذكر الزمخشري من المعجاز: وإنه يسطنى ما يسطك، ويقبضنى ما

يقبضك: أى يسرنى ويطيب نفسى ما سرك، ويسوءنى ما ساءك.

(١) أساس البلاغة ٢٢ واللسان ٧ / ٢٥٩.

(٢) اللسان ٧ / ٢٥٨.

(٣) أساس البلاغة ٢٢ وانظر اللسان ٧ / ٢٥٩.

وانتقلت الدلالة الحقيقية في بسط الفراش والثوب ونحوهما، في معنى:
 النشر إلى الدلالة المجازية المجردة في معنى: السرور والسعادة، في إطار
 العلاقة: (الموضوع بالفعل) فعملية نشر الثوب هي التوسع، ويكون السرور
 والفرحة عن طريق انفراج الأسارير وتوسعها.
 وتنوسيت الدلالة المجازية المجردة وأصبحت دلالة حقيقية في
 الاستعمال اللغوي التراثي، كما هو وارد من نصوص تراثية، وفي الواقع
 اللغوي المعاصر - أيضاً - حيث يقول العامة: احنا مبسوطين قوى، ونحوها
 من العبارات العامة.

بنى: بنى بيتاً أحسن بناءً وبنياً، وهذا بناء حسن^(١)، والبناء المبني.

قال لييد: (الكامل)

فتبنى لنا بيتاً ربيعاً سمكه

فسمما إليه كهلهما وغلماها

ابن الأعرابي: البنى: الأبنية المدر أو الصرف، والبنية: على فعيلة:
 الكعبة، لشرفها، إذ هي أشرف مبني^(٢).

ويذكر الزمخشري من المجاز: بنى على أهله: دخل عليها، وأصله أن
 المعرس، كان يبنى على أهله خباء، وقالوا: بنى بأهله، كقولهم: أعرس
 بها^(٣)، وذكرها صاحب اللسان: ولا يقال بأهله، هذا قول أهل اللغة،
 وحكى ابن جنى، بنى فلان بأهله وابتنى بها، عداهما جميعاً بالياء... والعامة

(١) أساس البلاغة ٣١.

(٢) اللسان ١٤ / ٩٤.

(٣) أساس البلاغة ٣١.

تقول: بنى بأهله، وهو خطأ، وليس من كلام العرب، وكان الأصل فيه أن الداخِل بأهله، كان يضرب عليها قبة ليلة دخوله، ليدخل بها فيها، فيقول: بنى الرجل على أهله، فقيل لكل داخِل بأهله: بان، وقد ورد بنى بأهله في شعر جرّان العود، قال: (الطويل)^(١)

بنيت بها قبل المحاق بليلة

وكان محاقاً كله ذلك الشهر

بهر: بهره: غلبه، وبهراً له: دعا عليه أن يغلب^(٢)، وذكر الزمخشري من المجاز قمر ياهر: وهو الذي يبهر ضوء الكواكب، ومن ذلك قول الشاعر: (الرجز):

* غم النجوم ضوء حين بهر *

* فغمى النجم الذي كان ازدهر *

وبهتت فلانة النساء: غلبتهن حسناً^(٣).

وقد انتقلت الدلالة المعنوية التي تفيد الغلبة والتمكن إلى دلالة أخرى معنوية مجازية، وهي: التمييز والوضوح في إطار العلاقة: (الكلى بالجزئى) فالبهر في الدلالة الحقيقية هو الغلبة والسيطرة والقهر بوجه عام، في حين تحدد مدلول البهر في الدلالة المجازية، في التمييز والتفوق في أمور الحسن والجمال.

وتوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت تفيد الدلالة الحقيقية في الواقع اللغوى، حيث شاع استعمالها أيضاً في الخطاب المعاصر على وجه

(٢) أساس البلاغة ٣٢ واللسان ٤ / ٨١.

(١) اللسان ١٤ / ٩٤.

(٣) اللسان ٤ / ٨١.

الحقيقة، يقال: هذا الجمال الباهر، وهذا البناء الجميل المبهر... ونحو ذلك.

باخ: باخت النار، وياخ الحر: مكن^(١)، وقال صاحب اللسان: باخت النار والحرب: مكنت وفترت، وكذلك: الحر والغضب والحمى، قال رؤبة: (الرجز)^(٢):

* حتى يبوخ الغضب الحميت *

وذكر الزمخشري من المجاز: عدا فلان حتى باخ، وشاخ حتى باخ^(٣).

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية من معنى السكون والفتور، إلى الدلالة المجازية التي تفيد معنى: انعدام القيمة والضعف، وكذلك معنى: السخف والهوان في لغة الخطاب العامي المعاصر، حيث يقولون: دى عاملة بايخة، وأنت رجل بايخ... وغيرها من العبارات! انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية في إطار العلاقة: (السبب بالمسبب) حيث إن سبب البوخ في الدلالة الحقيقية هو السكون والفتور، وكذلك مسبب البوخ في الدلالة المجازية هو: الضعف والسخف.

وتوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت تفيد الدلالة الحقيقية، في الواقع اللغوي المعاصر، حيث شاعت الكلمة في اللغة العامية على ألسنة المصريين وغيرهم.

بور: فلان له بوره، وعليك بوره: أى هلاكه، وقوم بور^(٤).

(٢) اللسان ٣ / ٩ - ١٠.

(١) أساس البلاغة ٣٣.

(٤) أساس البلاغة ٣٣.

(٣) أساس البلاغة ٣٣ واللسان ٣ / ٩ - ١٠.

قال عبد الله الزبعرى السهمي: (الخفيف)^(١):

يا رسول الإله إن لساني

رائق ما فتقت إذ أنا بور

وذكر الزمخشري من المجاز: بارت الباعات: كسدت، وسوق باثرة،
وبارت الأيم إذا لم يرغب فيها^(٢)، وذكر صاحب اللسان: ومن وهذا قيل:
نعوذ بالله من بوار الأيم، أي: كسادها، وهو أن تبقى المرأة في بيتها، لا
يخطبها خاطب.. وهي مع ذلك لا يرغب فيها أحد^(٣).

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية من معنى: الهلاك والضياع إلى الدلالة
المجازية في معنى الكساد، في إطار العلاقة: (المتج بالناتج) حيث يكون
الناتج عن أصابه الهلاك في الدلالة الحقيقية هو الضياع والوبال
والخسران، والناتج الكساد في الباعات والأيم ونحوها في الدلالة
المجازية، هو الخسران والضياع أيضاً.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الاستعمال
اللغوي التراثي كما أسلفنا، والواقع اللغوي المعاصر، حيث يكثر استعمال
الكلمة على السنة العوام في مصر وغيرها من الدول العربية، حيث يقول
العوام في مصر: الزرعة بارت والأرض بايرة، والبنت بايرة.. ونحو ذلك.
ثقب: ثقب الشيء بالمشقب، وثقب القداح عينه ليخرج الماء النازل،
وثقب اللؤلؤ الدر، ودر مشقب^(٤) وجاء في اللسان: الثقب: اسم لما نفذ،

(٢) أساس البلاغة ٣٣.

(٤) أساس البلاغة ٤٥.

(١) اللسان ٤ / ٨٦.

(٣) اللسان ٤ / ٨٦.

الجوهري: الثقب بالفتح، واحد الثقوب، غيره: الثقب: الخرق النافذ، قال المعجاج: (الزجر)^(١).

* لخبجات يتقبن البهرة *

وذكر الزمخشري من المجاز: كوكب ثاقب ودري: شديد الإضاءة والتلألؤ، وكأنه مثقب الظلمة، فينفذ منها ويدروها. . ورجل ثاقب الرأي: إذا كان جزلاً نظاراً^(٢).

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية في إطار العلاقة: (المنفذ بالأداة) فالمثقب في الدلالة الحقيقية يقوم بالخرق والثقب، والإضاءة الشديدة وجزالة العقل، تقوم بخرق الظلمة وإزالتها، وتفتيق العقل وتوهجه.

وتنوعت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الاستعمال اللغوي، سواء في النصوص التراثية أو في الاستعمال اللغوي الأدبي المعاصر، حيث يندر استعمالها على ألسنة العوام.

جبر: جبر المجبر يده فجبرت^(٣)، وذكر الزمخشري من المجاز: جبر الله يمه، وجبرت الفقير: أعتته، وشبه فقره بانكسار عظمه، وفي الدعاء: اللهم اجبرنا، وجبرت فلاناً فاجتبر: أي نعشته فانتعش^(٤).

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة، وهي قطعة من الخشب أو

(١) اللسان ١٠ / ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٢) أساس البلاغة ٤٥ واللسان ١٠ / ٢٤٠.

(٣) أساس البلاغة ٥٠ واللسان ٤ / ١١٣، ٤ / ١١٦.

(٤) أساس البلاغة ٥٠.

الجبس، ونحوها، يربط بها العضو المكسور لإعادة التماسك وتماسكه إلى الدلالة المجازية المجردة، وهي الإعانة على الفقر ونحوها، في إطار العلاقة: (المنفذ بالأداة) فالجيرة في الدلالة الحقيقية أداة تنفذ الالتئام للعضو المكسور، والإعانة والمساعدة بالمال ونحوه، أو بتحقيق الراحة والاطمئنان بأدوات تنفذ المساعدة للآخرين لمادية أو معنوية.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الاستعمال اللغوي التراثي كما ورد في النصوص وفي الواقع اللغوي المعاصر الأدبي والعامي، فالعامة تقول: جبر الخواطر على الله، اجبرني الله يجيرك، ونحو ذلك من العبارات.

جبه: جبهة ذات بهجة، ورجل أجه عريض الجبهة، وجبهته: ضربت جبهته^(١)، والجبهة: موضع السجود، وقيل هي مستوى ما بين الحاجبين إلى الناصية^(٢)، وذكر الزمخشري من المجاز: هو جبهة قومه، كما يقال: وجههم، وجاءني جبهة بني فلان: لسرواتهم، وجاءني الخيل: لخيارها. وقال بعض بني فزارة: (البيط):

وليت جبهة خيلي شطر خيلهم

وواجهونا بأسد قابلوا أسدا

يريد: خيارها^(٣).

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية الحسية إلى الدلالة المجازية المجردة، في إطار العلاقة (المكانية) فعضو الجبهة في مقدم جسم الإنسان وغيره، وخيار الأشياء تأتي في مقدمتها أيضاً.

(٢) اللسان ١٣ / ٤٨٣.

(١) أساس البلاغة ٥١.

(٣) أساس البلاغة ٥١ واللسان ١٣ / ٤٨٣.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الاستعمال اللغوي التراثي، والواقع اللغوي الأدبي المعاصر، ويمتدع ورودها في الاستعمال اللهجي.

جرن: جرن التمر في الحرين: أي في المرید^(١) وذكر صاحب اللسان: الجران باطن العنق إلى منحره، فإذا برك البعير، ومد عنقه على الأرض، قيل: ألقى جرانه على الأرض، والحرين: موضع البر، وقد يكون للتمر والعنب، والجمع: أجرنه وجرن، والجرين: بيدر الحرث، والجرن والجرين: موضع التمر الذي يجفف فيه^(٢).

وذكر الزمخشري من المجاز: ضرب الإسلام بجرانه: أي ثبت واستقر، وهو من المجاز المتقول من الكناية في قولهم: ضرب البعير بجرانه: تدالفت بجرانه^(٣)، ومن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها: (حتى يضرب الحق جرانه) أرادت أن الحق استقام وقر في قراره، كما أن بالبعير إذا برك واستراح، مد جرانه على الأرض أي عنقه^(٤).

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة سواء أكانت الجرين، بيدر التمر والعنب ومكان تجفيفه، أم كانت عنق البعير، إلى الدلالة المجازية المجردة في معنى: الاستقرار والثبات في إطار العلاقة: (المكانية) فالجرين، هو المكان الصلد، الذي تستقر عليه الأشياء، لتجف، وكذلك: جران البعير، الذي يثبت به على الأرض، والإسلام لكي يستقر وتطمئن به القلوب، يحتاج إلى مكان صلد متين، من قلوب المؤمنين الصادقين، ليصبح مستقرًا ثابتًا.

(٢) اللسان ٣ / ٨٦ - ٨٧.

(٤) اللسان ٣ / ٨٦.

(١) أساس البلاغة ٥٧.

(٣) أساس البلاغة ٥٠.

وتنوسيت الدلالة المجازية وأصبحت دلالة حقيقية، في الاستعمال اللغوي كما وردت في النصوص التراثية، وكذلك في الاستعمال اللغوي الأدبي المعاصر، حيث يندر ورودها على ألسنة العوام، أو بالأحرى يمتنع! .
جيش: جاشت القدر واستجاشت: غلت، والجيشان: جيشان القدر، وكل شيء يغلى فهو يجيش^(١)، وذكر الزمخشري من المجاز: جاش البحر بالأمواج، وإن صدره ليجيش على الغل، وجاشت إليه نفسه، قال ذو الرمة:
(الطويل)^(٢)

تجيش إلى النفس في كل دمنة

لعي ويرتاح الفسّاد المششوق

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المجردة في إطار العلاقة: (الوعاء بالمحتوى) حيث تغلى المياه في القدر والإناء بفعل الحرارة، وتضطرب النفس والصدر بالخفقان بفعل الغل والضيق والألم، فالإناء يغلى لاحتوائه على الحرارة، والقلوب والأمواج والصدر تضطرب لاحتوائها على مشيرات من الهم والحزن ونحوها، ويمكن أن تنتقل الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية في إطار العلاقة: (السبب بالمسبب) فتكون الحرارة سبباً في الغليان، ويكون الضيق والحرج سبباً في الخفقان والاضطراب.

وتنوسيت الدلالة المنجارية، وأصبحت دلالة حقيقية في الاستعمال

(١) أساس البلاغة ٧٠ واللسان ٦ / ٢٧٧ .

(٢) أساس البلاغة ٧٠ واللسان ٦ / ٢٧٧ .

اللغوى التراثى، والواقع اللغوى الأديبى المعاصر، ويمتنع ورودها على السنة العوام أو يكاد.

حذق: حذق السكين الشيء: قطعه، وسكين حاذق وحذاقى^(١)، وجاء فى اللسان: والحذيق: المقطوع، وأنشد ابن السكيت لزغبة الباهلى: (الوافر)^(٢):

أنور أسرع مساذا يا فروق

وحبل الوصل منتكث حذيق

وذكر الزمخشري من المجاز: حذق القرآن: أتم قراءته وقطعها، وحذق صناعته، وهو حاذق فيها، بين الحلق والحذاقة، وإنه لحذاقى اللسان: حديده بينه، وإنه ليحذق علينا: إذا أظهر الحذق، وادعى أكثر مما عنده، وذكر الزمخشري: ومنه حذلقه وتحذلق، وهو من المتحذلقين، واللام مزينة^(٣)، وجاء فى اللسان: والحذاقى: الفصيح اللسان والبين اللهجة، قال طرفة: (البيط)^(٤)

إنى كفانى من أمر هممت به

جار كجار الحذاقى الذى اتصفا

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المجردة

(١) أساس البلاغة ٧٨.

(٢) اللسان ١٠ / ٤٠.

(٣) أساس البلاغة ٧٨، والحق، فإن اللام ليست مزينة، كما يقول الزمخشري، وإنما هي مقلوب إحدى الذالين، فيما يسمى بقلب أحد المتماثلين صوتاً من الأصوات المائعة، للتيسير العضلى فى النطق، فى إطار قانون المخالفة الصوتية، انظر: التطور اللغوى، مظهره وعمله وقوانينه ٥٧ وما بعدها.

(٤) اللسان ١٠ / ٤١.

في إطار العلاقة: (الأداة والفعل) حيث تقوم السكين في الدلالة الحقيقية بالقطع، ويقوم اللسان بالقول الفصل، ويقوم العقل بالفعل المحكم الدقيق، كحفظ القرآن الكريم وإتمامه.

وتوسيت الدلالة المجازية وأصبحت دلالة حقيقية في الاستعمال اللغوي التراثي والواقع اللغوي الأدبي المعاصر، وقلبت العامة في مصر الذال دالاً، فهم يقولون أنت حذق، وهو حذق: بمعنى الماهر المتمكن^(١).

حقد: حقد المطر وأحقد: احتبس، وكذلك المعدن: إذا انقطع قلم يخرج شيئاً، وحقدت الناقة: امتلأت لحمًا^(٢)، ومن المجاز: الحقد: إمساك العداوة في القلب، والتربص لفرصتها، والحقد: الضغينة.. والجمع: حقائد، قال أبو صخر الهذلي: (الطويل)^(٣):

وعد إلى قوم تجيش صدورهم

يغشى ولا يخفون حمل الحقائد

وانتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المجردة في إطار العلاقة (الوعاء بالمحتوى) فالدلالة الحقيقية في احتباس المطر في السماء، وانقطاع المعدن في الأرض، وكذلك الدلالة المجازية في احتباس الضغينة في القلب.

وتوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الاستعمال

(١) حول المصريون في لهجات الخطاب العامي صوت الذال دالاً، وكنا بقية الأصوات الأسنان: الثاء والظاء، وحولوها إلى أصوات أخرى قرينة المخرج، وذلك للتخفيف من المجهود العضلي والتيسير، لأن نطق الأصوات الأسنان يتطلب جهداً يوضع طرف اللسان بين الأسنان العليا والسفلى، انظر: التطور اللغوي ٨٣ وما بعدها.

(٢) اللسان ٣ / ١٥٤.

(٣) اللسان ٣ / ١٥٤.

اللغوى التراثى كما ورد فى النصوص، وكذلك الواقع اللغوى المعاصر، الأديبى والعامى، حيث تشيع الكلمة فى لغة الخطاب بنوعيه الأديبى والعامى، حيث يقولون فى العامية: فلان ده حقود، وحقده أسود، وقلبه حقود، وغيرها من العبارات^(١).

حنك: قرع الفأس، حنك الفرس: وهو سقف أعلى الفم، وحنكت الصبى، وحنكت، وهو محنك ومحنوك: إذا دلت ثمرة مضموغة على حنكه، وحنكت الدابة: غررت عوداً فى حنكه.. وحنك الدابة: جعل الرس فى فمها^(٢)، وذكر صاحب اللسان: الحنك من الإنسان والدابة: باطن أعلى الفم من داخل، وقيل: هو الأسفل من طرف مقدم اللحين من أسفلهما، قال حميد يصف الفيل: (الرجز)^(٣):

فالحنك الأعلى طوال مرطم

والحنك الأسفل منه أقضم

وذكر الزمخشري من المجاز: حنكه السن، وحنكته الأمور: فعلت ما يفعل الفرس إذا احتنك، حتى عاد مجرباً مذلاً^(٤)، والحنكة: السن والتجربة والبصر بالأمور، وحنكته التجارب والسن: هذبه^(٥).

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى دلالة مجازية مجردة فى

(١) حول المصريون فى الوجه البحرى صوت القاف همزة، وذلك للقراءة المخرجة من ناحية والاتفاق فى صفة الهمس من ناحية أخرى، وذلك للتيسير والسهولة، كما حولها المصريون فى الوجه القبلى إلى صوت الجاف الفارسية، أو الجيم القاهرية، وذلك أيضاً لقراءة المخرج، ولكن الصفات قد اختلفت، فللقاف مهموسة، والجيم مجهورة.

(٢) أساس البلاغة ٩٧. (٣) اللسان ١٠ / ٤١٦.

(٤) أساس البلاغة ٩٧. (٥) اللسان ١٠ / ٤١٧.

إطار العلاقة (السبب بالمسبب) فسبب جعل الفرس مدرّياً منذلاً هو الحناك،
وسبب خبرة الإنسان وتمرسه هو السن والتجارب والأمور والمواقف.

وتوسيت الدلالة المجازية وأصبحت دلالة حقيقية في الاستعمال اللغوي
التراثي، والواقع اللغوي المعاصر الأدبي والعامي على السواء.

دبر: وصك دابرته، أى: عسرقوه، وضرب الجارح دابرته، والجوارح
بدوابرها: وهى الإصبع فى مؤخر رجله، وجاء فى اللسان: الدبر والدبر:
نقيض القبل، ودبر كل شىء عقبه ومؤخرته، وقطع الله دابره: أى آخر من
بقي منهم، وفى التنزيل ﴿فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ (الأنعام: ٤٥) أى:
استأصل آخرهم، وأنشد الأصمى لوعلة: (الطويل)^(١):

فدى لكما رحلى أمى وخسالى

غداة الكلاب إذ تحرز الدوابر

والدبرُ والدبرُ: الظهر، وقوله تعالى: ﴿سَيَهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾
(الفر: ٤٥)^(٢) وذكر الزمخشري من المجاز: يقال: واستدبر من أمره ما لم
يكن استقبال، أى: عرف فى آخره ما لم يعرف فى أوله، ويقال: ما يعرف
قبلاً من دبير، وجعله دبر أذنه: أعرض عنه^(٣).

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية الحسية إلى دلالة مجردة مجازية فى إطار
العلاقة (المكانية) فمكان الدبر فى الدلالة الحقيقية هو المؤخرة أو الظهر،
وكذا الحال فى الدلالة المجازية، تفيد آخر الشىء أو الشىء المهمل.

(١) أساس البلاغة ١٢٥.

(٢) اللسان ٤ / ٢٦٨.

(٣) أساس البلاغة ١٢٥ واللسان ٤ / ٢٦٨.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الاستعمال اللغوي التراثي، والواقع اللغوي المعاصر الأدبي والعامي، يقولون: تدبرت الأمر، ونحو ذلك، أى: نظرت فى عواقبه وأواخره، وفلان يدبر مكيدة، أو يدبر لحياته.. ونحو ذلك.

دمغ: الدماغ: حشو الرأس، وأم الدماغ: الهامة، وقيل: الجلدة الرقيقة المشتملة عليه، شجبه حتى بلغت الشجوة الدماغ، واسمها الدامغة^(١)، وذكر الزمخشري من المجاز: دمغ الحق الباطل: إذا علاه وقهره، وقوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ (الأنبياء: ١٨) أى: يعلوه ويغلبه ويبيطله، قال الأزهري: فیدمغه، فيذهب به ذهاب الصغار والذال^(٢).

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى دلالة مجازية مجردة فى إطار العلاقة: (المكانية) فالدماغ هو مركز التوازن والتفكير عند الإنسان وغلبة الحق للباطل فى الدلالة المجازية، تكون بالسيطرة على هذا المكان وقهره وشله عن التفكير.

وتنوسيت الدلالة المجازية وأصبحت دلالة حقيقية فى الاستعمال اللغوي التراثي، والواقع اللغوي المعاصر، ويمتنع وروده فى لغة الخطاب العامي.

ذرع: ذرعت الشوب بذراعى، وهى من طرف المسرفق، إلى طرف الوسطى، ثم سمي بها العود المقيس بها، وذرع فى سيره ورياح فيه: إذا مد

(١) اللسان / ٨ / ٤٢٤ .

(٢) اللسان / ٨ / ٤٢٥ وأساس البلاغة ١٣٦ .

ذراعه وبياعه^(١)، وجاء في اللسان: الذراع: ما بين طرف المرفق إلى طرف الإصبع، وقال الشاعر يصف قوساً عربية: (الرجز)^(٢):

* أرى عليها وهى فرع أجمع *

* وهى ثلاث أذرع وإصبع *

وذكر الزمخشري من المجاز: ضاق بالأمر ذرعاً وذراعاً: إذا لم يطقه^(٣)، وذكر صاحب اللسان: والأصل فيه أن يذرع البعير يديه فى سيره ذرعاً على قدر سعة خطوه، فإذا حملته على أكثر من طوقه، قلت: قد أبطرت بعيرك ذرعه، أى: حملته من السير على أكثر طاقته حتى يطر ويمد عنقه ضعفاً عما حمل عليه، وفى حديث ابن عوف: قلدوا أمركم رجب الذراع، أى: واسع القوة والقدرة والبطش^(٤).

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية فى إطار العلاقة: (المنفذ بالأداة) حيث يستعين الإنسان بذراعه فى تحركه وسيره، فالذراع أداة همة تعين صاحبها على حركة المسير، وضيق المرء وعدم قدرته على الشئ تكون بسبب عدم قدرة الأداة التى تنفذ ذلك، والذراع عضو من الأعضاء المعينة على فعل الأشياء، وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية فى الواقع اللفوى التراثى والأدبى المعاصر، ويمتنع ورودها فى الاستعمال اللهجى العامى.

ذقن: وهو من أعضاء الوجه فى أسفله، ذقن الإنسان: مجتمع لحية،

(١) أساس البلاغة ١٣٦.

(٢) اللسان ٨ / ٩٣.

(٣) أساس البلاغة ١٣٦.

(٤) اللسان ٨ / ٩٥.

وذكر ابن سيدة: الذقن: مجتمع اللحين من أسفلهما^(١)، وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها: (توفي رسول الله ﷺ بين سحري ونحري، وحاسقتي وذاقتي) قال أبو عبيدة: الذاقنة: طرف الحلقوم^(٢)، والعامية في مصر وبعض البلدان العربية يستعملون اللفظة فيما ينبت من شعر في هذا العضو من الوجه، إلى جانب الصدغين، فهم يقولون في مصر: حلقت ذقني، أو أطلقت ذقني، ونحوها، على سبيل الاستعمال المجازي.

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المحسوسة في الشعر النابت في هذا العضو، في إطار العلاقة: (المكانية) حيث ينبت جزء منه شعر الرجل في هذا العضو، أو في إطار العلاقة: (المنتج بالنتيجة) حيث ينتج من هذا العضو بعد اكتمال الرجل من البلوغ شعر اللحية. وتنوسبت الدلالة الحسية المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي العامي في مصر وغيرها من البلدان العربية.

الذكاء: ذكت النار، تذكو ذكواً: اشتد لهيبها واشتعلت، وأنشد ابن الأعرابي: (الرجز)^(٣):

* ينفخن منه لهيباً منفوخاً *

* لمعايري لا ذكياً مقدوحاً *

والذكاء: مسدود حدة الفؤاد، والذكاء: سرعة الفطنة، وهو من المجاز^(٤)، وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة في الاشتعال وشدته إلى الدلالة المجازية المجردة في حدة الفؤاد وسرعة الفطنة، في إطار العلاقة:

(١) اللسان ١٣ / ١٧٢.

(٢) اللسان ١٣ / ١٧٢.

(٣) اللسان ١٤ / ٢٧٨.

(٤) اللسان ١٤ / ٢٧٨.

(السبب بالسبب) حيث يكون ذكاء النار بسبب شدتها وقوة لهيبها، وذكاء العقل بسبب توجهه وحدته.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي التراثي والمعاصر الأدبي واللهجي العامي على السواء.

رجل: حرة رجلاء، وهي المستوية بالأرض، الكثيرة الحجارة، يصعب المشى فيها، وقال أبو الهيثم: حرة رجلاء، الحرة: أرض حجارتها سود، والرجلاء: الصلبة الخشنة، لا تعمل فيها خيل ولا إبل، ولا يسلكها إلا راجل^(١)، وترجل البشر رجلاً، وترجل فيها، كلاهما، نزل من غير أن يلبى^(٢)، وذكر الزمخشري من المجاز: كان ذلك على رجل فلان، أي: في عهده وحياته، وترجلت الشمس: ارتفعت، وترجل النهار، وفلان قائم على رجله: إذا جد في أمر حزيه^(٣)، وفي حديث المسيب: (لا أعرف نبيًا هلك على رجله من الجبابرة، ما هلك على رجل موسى عليه السلام) أي: في زمانه^(٤).

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المعنوية في إطار العلاقة: (السبب بالمسبب) فالرجل هي التي يترجل بها صاحبها، ويتحرك من مكان إلى مكان، وعهد الشخص وحياته، في الدلالة المجازية تكون حركته وتنقله بواسطة رجله فهي دليل على الحياة.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي

(١) اللسان ١١ / ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٢) اللسان ١١ / ٢٧٢، وأساس البلاغة ١٥٦.

(٣) أساس البلاغة ١٥٦.

(٤) اللسان ١١ / ٢٧٣.

التراثي، وكذا المعاصر الأدبي والعامي على السواء، والعامية يقولون: فعل كذا على رجلى، أى: فى وجودى.

رغم: ألقاه فى الرغام: فى التراب^(١)، وذكر الزمخشري من المجاز: رغم أنفه، رغم، ولأنفه الرِّغم، المراغمة، وهذا مرغمة للأنف^(٢)، وجاء فى اللسان: الرِّغم والرُّغم والرَّغم: الكره، والمرغمة: مثله، قال النبی ﷺ (بعثت مرغمة) (أى بعثت هوانا وذلاً للمشركين) وذكر ابن الأعرابي: الرِّغم: الذل، والقسر، قال الفرزدق يهجو جريراً: (الكامل):

تبكى المراغمة بالرغام على ابنها

والناهقات يهجن بالإعوال

وفى الحديث، أنه عليه السلام، قال (رغم أنفه ثلاثاً، قيل من يا رسول الله؟ قال: من أدرك أبويه أو أحدهما، ولم يدخل الجنة)^(٣).

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المعنوية المجازية فى معنى: الهلاك فى إطار العلاقة: (المكانية) فالتراب: فى الأرض، أى: فى أسفل والذل والهوان والهلاك فى الدلالة المجازية، تكون بسبب إنزال صاحبها مكاناً وضيعاً سافلاً نحو الأرض، وفى التراب، والعرب تعتز برفع الأنف باعتبارها موضع الشرف والكبرياء والمكانة الرفيعة، وخفضها نحو التراب، أو وضعها فى التراب إهانة ومذلة.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية فى الواقع اللغوى التراثي والمعاصر، وتمتتع فى الاستعمال اللهجى العامي.

(١) أساس البلاغة ١٦٩.

(٢) أساس البلاغة ١٦٩.

(٣) اللسان ١٢ / ٢٤٥.

زَعَقَ: ماء زعاق: ملح شديد، لا يطاق شربه^(١)، وجاء في اللسان: ماء زعاق: مر غليظ لا يطاق شربه من أجوجته وقال علي - كرم الله وجهه -^(٢):

دونكها مترعة دهاقاً

كأماً زعاقاً مزجت زعاقاً

ومن المجاز: نَعَقَ المؤذن وزَعَقَ، وسمعت نَعَقَةَ المؤذن وزَعَقَتَهُ^(٣)، وجاء في اللسان، وقيل: الزاعق: الذي يسوق إبله، ويصيح بها صياحاً شديداً، ابن السكيت: مر يزَعَقُ بدوابه زَعَقًا: أي يطردها مسرعاً ويصيح في آثارها^(٤)، والعامية تقول: يزَعَقُ لى، وأزَعَقَ له، وهو يتكلم بزَعِيق.

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية في إطار العلاقة (السبب بالمسبب) فملوحة الماء وأجوجته تسبب نفوراً وتأزياً من الشارب وارتفاع الصوت وعلوه يؤذى آذان المستمعين.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي التراثي والمعاصر، والأدبي واللهجي العامي على السواء.

زَمِلَ: وزاملت الرجل على البعير وزاملته: عادلته في المحل، وكنت زميله^(٥)، وجاء في اللسان: وزمله يزمله زملاً: أردفه وعادلته، ابن دريد: زملت الرجل على البعير، فهو زميل ومزمول، إذا أردفته^(٦)، وذكر الزمخشري من المجاز: ما نحن إلا من الحملة والرواء، وزوامل القلم والدواء، وأنت فارس العلم وأنا زميلك^(٧).

(٢) اللسان ١٠ / ١٤١.

(٤) اللسان ١٠ / ١٤٢.

(٦) اللسان ١١ / ٣١.

(١) أساس البلاغة ١٩٢.

(٣) أساس البلاغة ١٩٢.

(٥) أساس البلاغة ١٩٥.

(٧) أساس البلاغة ١٩٥.

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية في إطار العلاقة: (الكل بالجزئي) فالدلالة الحقيقية مقصورة على المرادف في البعير، في حين أفادت الدلالة المجازية كل معادل أو ملازم في العمل وفي الصناعة وفي التعليم وغيرها من أنواع المهن والحرف، حيث يقولون: هو زميلي في الدراسة، وفي العمل.

وتوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي التراثي والمعاصر، الأدبي واللهجي العامي على السواء.

سير: سير الجرح بالمسبار والسبار: قاس مقدار قعره بالحديلة أو غيرها^(١)، وذكر الزمخشري من المجاز: خبرت فلاناً وسبرته، وفيه خير كثير لا يُسبر^(٢)، وجاء في اللسان: السير: التجربة، وسبر الشيء سبراً: حزره وخبره^(٣)، وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية في إطار العلاقة: (المكانية) حيث يكون سير الجرح في الدلالة الحقيقية بمقياس مقدار عمقه، وسير أغوار النفس ونحوها، بالفوص في أعماقها والتغلغل في خباياها.

وتوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي التراثي والمعاصر، ويندر شيوعها في الاستعمال اللهجي.

سبك: سبك الفضة: خلصها من الخبث، وكل معدن يسبك على هذا

(١) أساس البلاغة ٢٠٠، واللسان ٤ / ٣٢٠.

(٢) أساس البلاغة ٢٠٠.

(٣) اللسان ٤ / ٣٢٠.

النحو بتخليصه من الخبث^(١)، وذكر الزمخشري من المجاز: هذا كلام لا يثبت على السبك، وهو سبائك للكلام، وفلان قد سبكته التجارب^(٢).

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المعنوية في إطار العلاقة: (السبب بالمسبب) فالمعدن المسبوك، بسبب تخليصه من الخبث والشوائب، والكلام المسبوك بسبب تخليصه من الركافة والضعف. وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع التراثي والمعاصر على السواء، حيث يقال: هذا كلام مسبوك، والسبك في الصياغة اللفظية، شاعر ألقاظه مسبوكة محبوكة، وغير ذلك.

سدف: أسدفت المرأة قناعها، أرخت قناعها، والجفان مكحلة بالسديف: وهو قطع السنام، وجاء في اللسان: والسديف: السنام المقطع، وقيل: شحمه، ومنه قول طرفه: (الطويل)^(٣):

* ويسعى علينا بالسديف المسرهد *

وذكر الزمخشري من المجاز: أسدف الليل: أظلم، وجاء في اللسان: السدف بالتحريك ظلمة الليل، وأنشد ابن بري لعمد الأرقط: (الرجز):

* وسدف الخيط البهيم ساتره *

أبو زيد: السدفة في لغة تميم: الظلمة، قال: والسدفة في لغة قيس: الضوء وحكى الجوهري عن الأصمعي: السُدفة والسُدفة في لغة نجد: الظلمة، وفي لغة غيرهم الضوء، وهو من الأضداد^(٤).

(١) أساس البلاغة ٢٠١ / اللسان ١٠ / ٤٣٨.

(٢) أساس البلاغة ٢٠١.

(٣) اللسان ٩ / ١٤٨ وأساس البلاغة ٢٠٣.

(٤) أساس البلاغة ٢٠٣، واللسان ٩ / ١٤٦.

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المعنوية في إطار العلاقة: (السبب بالمسبب) حيث يكون القناع سبباً في إخفاء وجه المرأة وتكون الظلمة سبباً في إخفاء الضوء.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي التراثي المعاصر، وينعدم شيوعها في الاستعمال اللهجي.

سعد: وساعد الإنسان: عضله، وساعدا الطائر: جناحاه^(١)، وذكر الزمخشري ولم يجعله من المجاز: أسعدت النائحة الثكلي: أعانتها على البكاء والنوح، وجاء في اللسان: لا إسعاد ولا غفر في الإسلام وهو إسعاد النساء في المناجات، تقوم المرأة، فتقوم معها أخرى من جاراتها، فتساعدنها على النياحة^(٢).

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية في ضوء العلاقة: (السبب بالمسبب) حيث يكون الساعد في الإنسان والطائر سبباً في النهوض بالأعمال الصعبة عند الإنسان، والتمكين من الطيران عند الطائر، والإسعاد في الدلالة المجازية تمكين الثكلي من النساء والمصابات في عزيز أو نحوه، من البكاء والحويل، وقد نهى الرسول ﷺ عن هذا الإسعاد.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الاستعمال اللغوي التراثي، والواقع اللغوي المعاصر، والأدبي واللهجي على السواء، ويكثر استعمال ألفاظ المساعدة ويساعدني وأساعده، ونحو ذلك.

سفر: ومن ذلك قولهم، امرأة سافرة، ونساء سوافر، وسفرت عن

(١) اللسان ٣ / ٢١٣.

(٢) أساس البلاغة ٢١١، واللسان ٣ / ٢١٦.

وجبهها، وسفر الكتاب: كبه، وأسفر الصبح: أضواء^(١)، وذكر الزمخشري من المجاز: وجه مسفر: مشرق مرور^(٢)، وجاء في اللسان: وفي التنزيل ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ (عبس: ٣٨) قال الفراء: أي مشرقة مضيئة^(٣).

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية في إطار العلاقة: (السبب بالمسبب) حيث يكون السفر عند المرأة يكشف قناعها، فيسبب ذلك إظهاراً لمحاسنها ومفاتنها ووضاءتها، ويكون الوجه المسفر في غير النساء: بسبب انبساطه وإضاءته.

وتوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الاستعمال اللغوي التراثي، والواقع اللغوي المعاصر الأدبي واللهجي، ومن ذلك أيضاً: المسافر، وسمى بذلك بسبب أن المسافر يكشف قناع الكن عن وجهه، ومنازل الحضر عن مكانه، ومنزل الخفض عن نفسه، وبروزه إلى الأرض القضاء^(٤).

شأف: شئت رجله وشئت: إذا خرجت عليها الشافة، وقيل قرحة^(٥)، وجاء في اللسان: الشافة: قرحة تخرج في القدم، وقيل: في أسفل القدم، وقيل: هو ورم يخرج في اليد والقدم من عود يدخل في النخصة أو باطن الكف، فيبقى في جوفها فيتورم الموضع ويعظم^(٦)، وذكر الزمخشري من المجاز: واستأصل الله شأفتهم: عداوتهم وأذاهم^(٧)، وجاء في اللسان: وفي

(١) أساس البلاغة ٢١٢، واللسان ٤ / ٣٦٩.

(٢) أساس البلاغة ٢١٢، واللسان ٤ / ٣٦٩.

(٣) أساس البلاغة ٢١٢، واللسان ٤ / ٣٦٨.

(٤) أساس البلاغة ٢١٢، واللسان ٩ / ١٦٧.

(٥) أساس البلاغة ٢١٢، واللسان ١٤ / ٤٢١.

الدعاء: استأصل الله شأفتهم، وذهب أن الشأفة تكوي فتذهب، والشأفة: العداوة، وقال الكمي (الوافر):

ولم نفتأ كذلك كل يوم

لشأفة داخرٍ مستأصلينا

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المعنوية في إطار العلاقة: (السبب بالمسبب) فالشأفة في الدلالة الحقيقية بسبب الجرح الذي يصيب القدم أو اليد، مما يؤدي إلى إيذاء وألم المصاب، والشأفة في الدلالة المجازية بسبب الإيذاء والعداوة.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي التراثي، والمعاصر الأدبي، ويندر وجودها في الاستعمال اللهجي العامي. شتا: قال ابن السكيت: السنة عند العرب اسم لاثني عشر شهراً، ثم قسموا السنة فجعلوها نصفين، فبدءوا بأول السنة أول الشتاء، لأنه ذكر والصيف اثني، ثم جعلوا الشتاء نصفين، فالشتوى أوله، والربيع آخره (١).

وقال طرفة: (الطويل) (٢)

حيثما قاظوا بنجدٍ وشتوا

عند ذات الطلح في ثني وقمره

وقال يصف بتا له (٣):

* من يك ذا بت فهذابتى *

* مقبظ مصيف مشتى *

(١) اللسان ١٤ / ٤٢١ وأساس البلاغة ٢٢٩.

(٢) اللسان ١٤ / ٤٢١.

(٣) اللسان ١٤ / ٤٢١.

* تخذته من نفحات ست *

ووردت على السنة المصريين في معنى: المطر، يقولون: الدنيا بتشتي،
والشتا اليوم غرق الأرض، ونحو ذلك.
وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية في إطار العلاقة:
(المصدر الطبيعي بالتاج الطبيعي) ففصل الشتاء من شأنه أن يتبع مطراً،
والمطر نتاج طبيعي يحدث في فصل الشتاء في مصر.
وتنوسيت الدلالة المجازية وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي
عند المصريين في لغة خطابهم العامي اللهجي.
شنب: وقيل: الشنب: نقط بيض في الأسنان، وقيل هي حدة الأنياب،
ويقول ذو الرمة: (البيط):

لمياء في شفتيها حوة تعس

وفي اللثات وفي أنيابها شنب

ويقول بعضهم يصف الأسنان (الطويل)^(١):

فتصيبها حمش أصم يزينه

عوارض فيه شنية وغروب

وقال أبو العباس: اختلفوا في الشنب: فقالت طائفة هو تحزيز أطراف
الأنياب، وقيل: هو تقليجها^(٢)، واستعمل المصريون اللفظة استعمالاً
مجازياً في الدلالة على: الشارب في إطار العلاقة (الجوار المكاني) حيث
ينبت الشارب على أعلى الشفة العليا من الخارج.

(١) القاموس المحيط ١ / ٥٠٦ وما بعدها.

(٢) القاموس المحيط ١ / ٥٠٦.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي في لغة الخطاب اللهجي عند المصريين، فيقولون: رجل له شنب طويل، وحلقت شنبى، وريت شنبى، وغيرها من عبارات.

عجن: عجن الشيء يعجنه، واعتجنه: اعتمد عليه يجمعه ويعمره^(١)، ومن المجاز: إن فلاناً عجن وخبز، أى: شاخ وكبر، لأنه إذا أراد القيام اعتمد على ظهور أصابع يده كالعاجن، وعلى راحتيه كالحايز^(٢)، وقال كثير:

رأيتى كأشلاء اللجام ويعلها

من الملاء أيزى عاجن متباطن

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما: (أنه كان يعجن في الصلاة، فقيل: ما هذا؟ فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجن في الصلاة) أى يعتمد على يديه إذا قام، كما يفعل الذى يعجن العجين^(٣).

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية في إطار العلاقة: (الموضوع بالفعل) أو في إطار (الأداة بالفعل) فحركات العاجن للعجين في الدلالة الحقيقية من اعتماد على اليدين، هي نفسها حركات العجوز إذا أراد النهوض والقيام، وكذا المصلى إذا لم يقدر على القيام من السجود دون الاستعانة بيديه كالعاجن لكبره أو لعجزه.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي

(١) اللسان / ١٣ / ٢٧٧.

(٢) أساس البلاغة ٢٩٣ واللسان / ١٣ / ٢٧٧.

(٣) اللسان / ١٣ / ٢٧٧.

التراثي والمعاصر، الأدبي والعامي، فالعامية في مصر يقولون: فلان يعجن في كلامه، إذا خلط فيه.

قدح: القدح بالتحريك من الأنية، واحد الأقداح التي للشرب، وقيل: القداح والقداحة: الحجر الذي يقدح بها النار، والقداح: الحجر الذي يورى منه النار، قال رؤبة^(١):

* والمـرء ذـا القـداح *

* مـصـبـوح بـالفـلق *

ومن المجاز: اقتدح الأمر: تدبره وبينهما مقادحة، مقاذعة، من القدح، بمعنى: الطعن، ويقال: قدح في نسبه وعرضه^(٢)، وجاء في اللسان: قال أبو زيد: ومن أمثالهم: أقدح بدفلي في قرح، مثل يضرب للرجل الأريب الأديب، وفي حديث علي - كرم الله وجهه - (يقدح الشك في قلبه بأول عارضة من شبهة) واقتدح الأمر: دبره ونظر فيه، قال عمرو بن العاص:

يا قاتل الله وردانا وقدحتـه

أبدى لعسـمرك ما في النفس وردان

وردان: غلام كان لعمرو بن العاص، وكان حصيفاً فاستشاره عمرو في أمر علي رضي الله عنه وأمر معاوية إلى أيهما يذهب، فأجابه وردان بما كان في نفسه، وقال له: (الآخرة مع علي، والدنيا مع معاوية، وما أراك تختار علي الدنيا) فقال عمرو هذا البيت^(٣).

وانتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية المعنوية في إطار العلاقة:

(١) اللسان ٢ / ٥٥٤ وأساس البلاغة ٣٥٦.

(٢) اللسان ٢ / ٥٥٤.

(٣) أساس البلاغة ٣٥٦.

(المنتج بالنتج) حيث تنتج القداحة النار، ويتج التدبير فى الأمر والتفكير العميق فيه عن أعمال العقل الثاقب، ويتج الهجاء والطمع والتهجم عن الإمعان فى ذكر العيوب.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية فى الواقع اللغوى التراثى والمعاصر، الأدبى دون العامى.

قرظ: دبغ الأديم بالقرظ وهو ورق السلم^(١)، وجاء فى اللسان: القرظ: شجر يدبغ به، وقيل هو ورق السلم، يدبغ به آدم، قال أبو حنيفة: القرظ: أجود ما يدبغ به الأهب فى أرض العرب، وهى تدبغ بورقه وثمره^(٢)، ومن المجاز: قرظته تقریظًا: مدحته، وهما يتقارضان: يتمادحان، لأن القرظ يحسن ويزين صاحبه، كما يحسن القارظ الأديم^(٣)، والتقریظ: مدح الإنسان وهو حى، والتأين: مدحه ميتًا، وفى الحديث (لا تقرظونى كما قرظت النصارى عيسى)^(٤).

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية فى إطار العلاقة: (المنتج بالنتج) فعملية الدبغ تنتج جلودًا جيدة حسنة، وعملية المدبغ والإطراء تنتج ذكراً لمحاسن من الممدوح، ومناقبه وصفاته الطيبة الحسنة. وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية فى الواقع اللغوى التراثى، والمعاصر الأدبى دون العامى.

قطب: دارت بالرحى على قطبها، والأرجاء على أقطابها^(٥)، وجاء فى

(٢) اللسان ٧ / ٤٥٤.

(٤) اللسان ٧ / ٤٥٥.

(١) أساس البلاغة ٣٦٢.

(٣) أساس البلاغة ٣٦٢.

(٥) أساس البلاغة ٣٧٠.

اللسان: القطب: القائم الذي تدور عليه الرحى، قال ابن الأثير: هي الحديدية المركبة في وسط حجر الرحى السفلى^(١)، وذكر الزمخشري من المجاز: هو قطب قومه، وهم أقطاب بني فلان^(٢).

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية في إطار العلاقة: (الأداة بالمتفرد) حيث يمثل القائم الذي تدور عليه الرحى الأداة التي تنفذ عملية الطحن والصحن ونحوه، كما يمثل سيد القوم وزعيمهم القائم الذي يعتمد عليه قومه وشعبه وقبيلته.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي التراثي والمعاصر، الأدبي والعامي على السواء فالعامة في مصر يقولون: يا قطب الرجال يا متولى، وهكذا ينسبون للولاء والأولياء هذه الصفة، باعتبارهم القوائم التي يعتمدون عليها في التوجه إلى الله، في إطار تمجيد المصريين وحفاوتهم بكرامات الأولياء.

قلد: قلده السيف: أقيت حمالة في عنقه فتقلده^(٣)، ومنها قول الشاعر: (مجزوء الكامل)^(٤):

يا ليت زوجك قد غدا

فتسقلد سيفاً ورمحاً

وذكر الزمخشري من المجاز: قلد العمل فتقلده، وأقيت إليه مقاليد الأمور، وضاعت عليه مقاليد: إذا ضاقت عليه أموره^(٥).

(٢) أساس البلاغة ٣٧٠.

(٤) اللسان ٣ / ٣٦٥.

(١) اللسان ١ / ٦٨٢.

(٣) أساس البلاغة ٣٧٥.

(٥) أساس البلاغة ٣٧٥ واللسان ٣ / ٣٦٥.

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المعنوية في إطار العلاقة: (الموضوع بالفعل) حيث يكون فعل المتقلد شيئاً، متأهياً للأعداء ونحوهم، كفعل المتقلد أمراً من الأمور، يكون حريصاً على إتجازه، والعمل على تحقيقه.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي التراثي والمعاصر، وينعدم ورود الكلمة في استعمالات العامة.

كظم: كظم البعير جرتة: ازدردها وأكف عن الاجترار^(١)، وجاء في اللسان: وكظم البعير: إذا لم يجتر، قال الراعي (الكامل)^(٢):

فأقصد بعد كظومهن بجرة

من ذى الأبارق إذا رعين حفيلاً

وذكر الزمخشري من المجاز: كظم الغيظ وعلى الغيظ، وهو كاظم^(٣)، وجاء في اللسان: كظم الرجل غيظه: إذا اجترعه وحبسه، وفي التنزيل ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾ فسرهُ ثعلب: الحابسين الغيظ، لا يجازون عليه، وروى عن النبي ﷺ قال (ما من جرعة يتجرعها الإنسان أعظم أجراً من جرعة غيظ في الله عز وجل)^(٤).

وقد انتقلت الدلالة المحسوسة الحقيقية إلى الدلالة المجازية المعنوية، في إطار العلاقة: (الموضوع بالفعل) فحبس البعير لطماعه في جوفه، واقتناعه عن إرجاعه واجتراره في الدلالة الحقيقية، يماثله حبس الكاظم لغيظه وغمه وضيقه وإمساكه له.

(٢) اللسان ١٢ / ٥١٩.

(١) أساس البلاغة ٣٩٤.

(٤) اللسان ١٢ / ٥١٩، ٥٢٠.

(٣) أساس البلاغة ٣٩٤.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي التراثي والمعاصر الأدبي، ويندر وروده في الاستعمال اللهجي العامي.
 لبك: لبك الثريد: خلطه، واللبكة بالتحريك: اللقمة من الثريد، وقيل: القطعة من الثريد أو الحيس، وما ذقت عنده عبكة ولا لبكة، والعبكة: الحب من السويق ونحوه^(١).

وذكر الزمخشري من المجاز: لبكت على الأمر، والتبك على الأمر: التبس^(٢)، وجاء في اللسان: التبك الأمر: اختلط والتبس، وأمر ملتبك: ملتبس على النسب، وقال زهير: (البيط)^(٣):

رذ القيان جمال الحي فاحتملوا

إلى الظهسية أمر بينهم لبكُ

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المعنوية في إطار العلاقة: (الموضوع بالفعل) حيث يماثل الثريد في أثناء خلطه في الإناء أو نحوه، من اختفاء معالمة مع اللين أو السائل المخلوط فيه، ما يحدث من الالتباس والخلط في الأمور، عندما تختفي معالم الأشياء وتداخل بعضها في بعض.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية، في الواقع اللغوي التراثي والمعاصر، الأدبي والعامي اللهجي على السواء.

لحظ: اللحاظ: مؤخر العين مما يلي الصدغ، وفي حديث الرسول ﷺ (جل نظرة الملاحظة) ولحظه يلحظه: نظر بمؤخرة عينه من أي

(١) أساس البلاغة ٤٠٢ واللسان ١٠ / ٤٨٢.

(٢) اللسان ١٠ / ٤٨٢.

(٣) أساس البلاغة ٤٠٣.

جانبيه كان، يميناً أو شمالاً، وهو أشد التفاتاً من الشزر، قال الشاعر:
(الطويل)^(١):

لحفظناهم حتى كأن عيوننا

بها لقوة من شدة اللحظان

ومن المجاز: اللُّحَاطُ بالكسر مصدر لاحظته إذا راعيته، ويقول: وضع
المريض تحت الملاحظة، أي: الرعاية والاهتمام، ولاحظت الموضوع
حتى نهايته، أي: اهتممت به وراعيته^(٢).

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية في إطار العلاقة:
(الأداة بالمنفذ) حيث تكون مؤخرة العين أداة للنظر إلى الأشياء، ويكون
الاهتمام بالأشياء ورعايتها عن طريق الملاحظة والمراقبة.

وتوسيت الدلالة المجازية المعنوية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع
اللغوي التراثي، والمعاصر الأدبي والعامي اللهجي على السواء.

لفز: لغزا ليربوع حجرته وأغزها: حفرها ملتوية، مشكلة على
داخلها^(٣)، وجاء في اللسان: اللُّغْزُ واللُّغْزُ واللُّغْزُ والالغاز، كله: حفرة
يحفرها اليربوع في حجرة تحت الأرض، وقيل هو: حجر الضب والفار
واليربوع بين القاصعاء والناقعاء، سمي لذلك، لأن هذه الدواب تحفر حفراً
مستقيماً إلى أسفل ثم تعدل عن يمينه وشماله عروضاً تعترضها تعمية،
ليخفي مكانه بذلك الإلغاز، وهو الأصل في الإلغاز^(٤)، وذكر الزمخشري
من المجاز: الغز كلامه: عماء ولم يبينه، وجاء بالالفاظ الملوغزة في

(١) اللسان ٧ / ٤٥٨.

(٢) اللسان ٧ / ٤٥٨.

(٣) أساس البلاغة ٤١٠.

(٤) اللسان ٥ / ٤٠٦.

شعره^(١)، وجاء في اللسان: ألغز الكلام، وألغز منه: عمى مراده وأضمهره على خلاف ما أظهره، الفراء: اللغز، الكلام المليس^(٢).

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المعنوية في إطار العلاقة (الموضوع بالفعل) فعملية التعمية والإخفاء التي يقوم بها اليربوع أو الضب أو الفأر بعمل حفرة متفرعة عن الحفرة الرئيسية، تماثل ما يلجأ إليه الشخص في إخفاء مراده باستخدام الألفاظ الملبسة، وكأنه يلتوى بالفاظه وينحرف عن مدلولها، باستخدامها في مدلولات أخرى إمعاناً في الإخفاء.

وتنوسبت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي التراثي والمعاصر، الأدبي والعامي اللهجي على السواء.
مدح: وتمدحت خواصر الماشية: اتسمت شبعاً، قال الراعي يصف فرساً (الطويل):

فلما سقيناها العكيس تمدحت

خواصرها وازداد رسخاً وربدها

وقال ابن بري: الشعر للراعي، يصف امرأة، وهي أم خزر بن أرقم^(٣).
ومن المجاز: مدحت فلاتاً، والشاعر يمدح ممدوحه: يذكر خصاله الكريمة.

وانتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المعنوية في إطار العلاقة: (الموضوع بالفعل) فما تكون عليه الخاصرة سواء للمرأة أو

(٢) اللسان ٥ / ٤٠٥.

(١) أساس البلاغة ٤٠١.

(٣) اللسان ٢ / ٥٩٠.

للماشية من اتساع وتضخم، كما يكون عليه المادح عندما يغالى في ذكر المحاسن والصفات الكريمة لدى مدوحه.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية، في الواقع اللغوى التراثى والمعاصر الأدبى واللهجى-

نبغ: نبغ الوعاء بالدقيق: خرج لوفته، ونبغ الرأس: ثارت هبيرة^(١)، ونبغ الدقيق من خصاص العنخل: خرج، ونبغ الوعاء بالدقيق، إذا كان دقيقاً متطيراً من خصاص عارض منه، ونبغ الماء^(٢)، وذكر الزمخشري من المجاز: نبغت لنا منك أمور لم تتوقعها، ونبغ الشر: فشا وظهر، ونبغ فلان فى الشعر، إذا لم يكن فى إرث الشعر، ثم قال: فأجاد، ويقال إن النابغة قال الشعر على كبر سنه، فسمى النابغة^(٣)، وجاء فى اللسان: ينبغ الرجل: لم يكن فى أربه الشعر، ثم قال وأجاد، ومنه سمي النوابع من الشعراء، نحو الجعدى والذبيانى وغيرهما، قالت ليلى الأخيلية (الطويل)^(٤):

أنا بغي لم تنبغ ولم تك أولاً

وكنت صفيئاً بين صدين مجهلاً

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المعنوية فى إطار العلاقة (السبب بالمسبب) فالنبغ فى الدقيق ونحوه، هو خروجه من خصاصه وتطيره بسبب رفته، وكذلك النبوغ فى الفكر والعقل بسبب عمقه وإدراكه المفاجئ، فى الشعر وغيره من ضروب البلاغة والبيان، وشيوع ذلك وتطيره بين الناس.

(١) أساس البلاغة ٤٤٢.

(٢) اللسان ٨ / ٤٥٢ - ٤٥٣.

(٣) أساس البلاغة ٤٤٢.

(٤) اللسان ٨ / ٤٥٢ - ٤٥٣.

نجم: طلع النجم والأنجم والنجوم، ونجمت الكواكب: طلعت^(١)،
 وذكر الزمخشري من المجاز: نجم النبات والنار والقرن، ويقول الحق
 سبحانه وتعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (الرحمن: ٦)(٢).

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية في إطار العلاقة:
 (السبب بالمسبب) فالتجم في السماء والكواكب، لأنها من الظهور
 واللمعان، وكذا الحال بالنسبة للنبات والشجر ونحوها، بسبب ظهورها على
 سطح الأرض.

وتنوسيت الدلالة المجازية وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي
 التراثي، كما وردت في القرآن الكريم.

نفق: النفقة والناقفاء: جحر الضب واليربوع، وقيل: موضع يرققه
 اليربوع من جحره، فإذا أتى من قبل القاصعاء، ضرب الناقفاء برأسه
 فخرج^(٣)، ومن المجاز: المنافق والمنافقون: الذين يقولون ما لا يفعلون،
 ويقول أبو عبيدة: سمي المنافق منافقًا، للنفق، وهو السرب في الأرض،
 وقيل: إنما سمي منافقًا، لأنه نافق كاليربوع، وهو دخوله ناقفاء.. فيقال
 هكذا يفعل المنافق، يدخل الإسلام، ثم يخرج منه، من غير الوجه الذي
 دخل فيه، وفي الحديث (أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها) أراد بالنفق ههنا:
 الرياء: لأن كليهما إظهار غير ما في الباطن.

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المعنوية
 في إطار العلاقة: (الحال بالمحل) فجحر اليربوع والضب ونحوها، وما

(١) أساس البلاغة ٤٤٨.

(٢) أساس البلاغة ٤٤٨.

(٣) اللسان ١٠ / ٣٥٨.

يكون عليه من التعمية والإخفاء، كقلب المتناقض، وما يكون عليه من إخفاء الكفر وإظهار الإسلام.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي التراثي والمعاصر، والأدبي واللهجي على السواء.

هلس: أخذه الهلاس: وهن السلال^(١)، وجاء في اللسان: الهلس والهلاس: شبه السلال، وفي التهذيب: شدة السلال، من الهزال، ورجل مهلوس، وهلسه الداء، قال الكمي: (الطويل)^(٢):

* يعالجن أدواء السلال الهوالسا *

ومن المجاز: الإهلاس: ضحك فيه فتور، وأهلس في الضحك: أخفاه وقال (الرجز)^(٣):

* تضحك مني ضحكًا إهلاسا *

والعامية تقول: فلان هلاس، وهذا تهليس، وهو يهلس في القول والفعل، والكلمة: تفيد دلالة الأفعال القبيحة المنافية للآداب والأخلاق. وقد انتقلت الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية في إطار العلاقة: (الموضوع بالفعل) فالمريض بالسل وما يكون عليه من الوهن والضعف، لا يقدر إلا على الأشغال الهينة الضعيفة البسيطة، وكذا تكون أفعال الهلاس، التي توصف بالسفه والخفة وازدراء الناس.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي التراثي، والمعاصر الأدبي واللهجي على السواء.

(٢) اللسان ٦ / ٢٤٩.

(١) أساس البلاغة ٤٨٦.

(٣) اللسان ٦ / ٢٤٩.

همج: أذل من الهمج، وهو ضرب من البعوض، وقيل: الذباب الصغير الذي يقع على وجوه الحمير وأعينها، وقيل: دود يتفقا عن ذباب ويعوض^(١)، وفي حديث علي - كرم الله وجهه - (سبحان من أدمج قوائم الذرة والهمجة)^(٢) وذكر الزمخشري من المجاز: ما هم إلا همج رعاع^(٣)، والهمج: الرعاع من الناس، وقيل: الأخلاط، وقيل: الهمل الذين لا نظام لهم، وقال الحارث بن حلزة: (الخفيف)^(٤):

يتترك ما رقع من عيشه

يعيش فيه همج هامج

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المعنوية، في إطار العلاقة: (المنتج بالنتيجة) حيث يتج عن الدود والبعوض أذى يصيب عيون الحيوان والإنسان، كما يتج عن الهمج والرعاع أذى يصيب الناس ويؤذيهم في أنفسهم وفي مشاعرهم.

وتوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية في الواقع اللغوي التراثي، والمعاصر الأدبي واللهجي على السواء.

وشى: ثوب موشى وموشى، وهو ملبس الوشى^(٥)، يقال: وشيت الثوب أشية.. حسنه ووشاه: نعمته ورتقشه وحسنه^(٦)، وذكر الزمخشري من المجاز: هو واش من الوشاة: لأنه يشى كلامه بالزوراء ويزخرفه^(٧)، وجاء

(٢) اللسان ٢ / ٣٩٢.

(٤) اللسان ٢ / ٣٩٢.

(٦) اللسان ١٥ / ٣٩٤.

(١) أساس البلاغة ٤٨٧.

(٣) أساس البلاغة ٤٨٧.

(٥) أساس البلاغة ٥٠٠.

(٧) أساس البلاغة ٥٠٠.

فى اللسان: ووشى الكذب والحديث: رقمه وصوره، والنمام يشى الكذب: يؤلفه يلونه ويزينه^(١).

وقد انتقلت الدلالة الحقيقية المحسوسة إلى الدلالة المجازية المعنوية، فى إطار العلاقة: (السبب بالمسبب) فالثوب المزركش والمنعم والمزين، بسبب ما يزين به من حلى ونحوها، وكلام الواشى وما فيه من مسحة رياء وكذب، تخدع المستمعين إليه بصدقه بسبب ما يزين به كلامه من زخرف وحلاوة وتأثير وغيرها من بديع المحسنات ونحوها.

وتنوسيت الدلالة المجازية، وأصبحت دلالة حقيقية فى الواقع اللغوى التراثى، والمعاصر الأديبى ويندر استعمالها فى اللهجات العامية.



(١) اللسان ١٥ / ٣٩٢.

أهم نتائج البحث

- ١- المجازات المنسية من الحقائق اللغوية، التي يؤكدتها الواقع اللغوي في استعمالات اللغة العربية الفصحى، قديماً وحديثاً، وكذا الاستعمالات اللهجية العربية القديمة والحديثة.
- ٢- أدرك بعض العلماء العرب القدامى، وجود مثل هذا الاستعمال المجازي، وذكر بعضهم أمثلة لهذا الاستعمال الدلالي المجازي، وكيف انتقلت الصيغة اللغوية من دلالتها المجازية إلى دلالة حقيقية، بفعل الشيع والذبيوع، ومن هؤلاء اللغوي الألمعي، ابن جنى في كتابه: الخصائص، واللغوي أبو هلال العسكري في كتابه: الصناعتين.
- ٣- يعد معجم: أساس البلاغة للزمخشري واحداً من المؤلفات المعجمية العربية التي عالجت المادة اللغوية من خلال الدلالة الحقيقية والمجازية، ووردت أمثلة عديدة للمجازات المنسية، ولكنه لم يذكرها على هذا الوجه، ولم يذكر كيفية تطور الدلالة المجازية وتحولها إلى دلالة حقيقية في الواقع اللغوي.
- ٤- جعل الزمخشري كثيراً من الدلالات المعنوية، هي الدلالة الأصلية، تطورت عنها الدلالات المحسوسة، والعكس هو الصواب، وفقاً لما أقرته نظريات البحث اللغوي الحديث، التي تؤكد أسبقية الدلالات المحسوسة، وتطور الدلالات المعنوية عنها.
- ٥- لم تعالج المعاجم اللغوية العربية قضية المجازات المنسية، أو حتى

الدلالات المجازية معالجة لغوية تاريخية، تلقى الضوء على تطور الصيغ اللغوية، وعلى أسبقية بعض الدلالات على غيرها، وكيف تطورت الصيغ اللغوية، عن الصيغ المحسوسة - باستثناء كتاب: أساس البلاغة.

٦- يعد موضوع المجازات المنسية، من الموضوعات الدلالية الهامة التي ينبغي أن يهتم بها الدارسون والباحثون، للوقوف على حقائق الدلالة اللغوية وتطوراتها، بالرجوع إلى التراث اللغوي العربي القديم والحديث على السواء.

* * *



مراجع البحث

المراجع العربية:

- ١- أساس البلاغة، للزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود -
بيروت بدون تاريخ.
- ٢- أساس البلاغة، للزمخشري، طبعة دار الكتب الوطنية -
القاهرة ١٩٧٢ م.
- ٣- أسرار البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني،
عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٣٩ م.
- ٤- إصلاح المنطق، لابن السكيت - القاهرة ١٩٥٦ م.
- ٥- التطور اللغوي - مظاهره وعلمه وقوانينه، د. رمضان عبد التواب -
القاهرة ١٩٩٠ م.
- ٦- التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، لمحمد غاليم -
المغرب ١٩٨٧ م.
- ٧- الخصائص، لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار -
القاهرة ١٩٥٢ - ١٩٥٦ م.
- ٨- دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس - القاهرة ١٩٥٨ م.
- ٩- الصناعتين، لأبي الهلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي ومحمد
أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٧١ م.
- ١٠- الطراز المتضمنة لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى
ابن حمزة العلوي - القاهرة ١٩١٤ م.

- ١١- علم الدلالة العربي، د. قايض الداية - دمشق . ١٩٨٥ .
- ١٢- علوم البلاغة، لأحمد مصطفى المراغي، المكتبة
المحمودية التجارية - مصر .
- ١٣- العمدة، لابن رشيق - القاهرة . ١٩٠٧ م .
- ١٤- عوامل التطور اللغوي، لأحمد عبد الرحمن حماد - بيروت .
- ١٩٨٣ م .
- ١٥- القاموس المحيط، للفيروز ابادي - القاهرة . ١٩١٣ م .
- ١٦- لسان العرب، لابن منظور - بيروت . ١٩٥٥ - ١٩٩٢ .
- ١٧- المعتمد في أصول الفقه، لأبي الحسن محمد البصري، تحقيق
محمد حميد الله وآخرين، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات
العربية - دمشق . ١٩٦٤ م .
- ١٨- مفتاح العلوم، للسكاكي - القاهرة . ١٩١٣ م .
- ١٩- الموازنة، للآمدى، تحقيق: محيى الدين عبد الحميد - بيروت
بدون تاريخ .
- ٢٠- الموازنة، للآمدى، تحقيق: السيد أحمد صقر -
القاهرة . ١٩٦٥ م .
- ٢١- المولد في العربية، د. حلمي خليل - ط ٢ - القاهرة . ١٩٨٥ م .

- 1- N, Chomsky: Aspects of the theory of syntax, trad France, 1971.
- 2- R. Jackandoff: Semantic interpretation in generative grammar, Cambridge, Mass, MIT press, 1972.
- 3- G, Lakoff and M, Johnson: Metaphers we live by, univ of Chicago press, 1980.
- 4- J, Lyons: Language meaning and context fontana paper-arcks, 1980.
- 5- R, Matthews: Apropos d,une atheorie linguistique de la metaphore trad France partielle, 1971 and D,Dalal, 1978.
- 6- N, Ruwet: Apropose d,une class denerbes "Psychologiques" dans, N Ruwet,: theorie syntaxiqu et syntaxe du Francais seuil, Paris, 1972.

* * *



فهرس الموضوعات

الصفحة	فهرس الموضوعات
٥	الثراث اللغوى العربى - وعلم اللغة الحديث المبحث الأول:
	المقضايا اللغوية فى كتاب الصاحبى لابن فارس فى ضوء النظريات اللغوية
١١	الحديث
٦٦	أهم نتائج البحث
٦٩	فهرست المراجع المبحث الثانى:
٧٥	القيمة اللغوية لخصائص ابن جنى مع دراسة فى مصادرہ وآرائه
٧٧	أولاً: القيمة اللغوية لخصائص ابن جنى
٩٥	ثانياً: دراسة فى مصادرہ وآرائه
١٢١	المراجع العربية والأجنبية المبحث الثالث:
	الاطراد والمدول فى لغة الحديث النبوى الشريف دراسة أسلوبية فى الأصوات
١٢٣	والأبنية والتراكيب
١٢٥	تمهيد
١٤٠	نماذج تحليلية للغة الحديث النبوى الشريف
١٤٢	بعض الظواهر اللهجية التى وردت فى لغة الحديث النبوى
١٥٥	نماذج تحليلية للصيغ الصرفية فى الحديث النبوى الشريف
١٦٤	مستويات الجمل فى الحديث النبوى الشريف وأنواعها
١٨١	بعض الأحاديث التى تمثل عدولا فى القاطنة

الصفحة	فهرس الموضوعات
١٨٧	أهم نتائج البحث
١٨٩	فهرست المراجع
	المبحث الرابع:
١٩٩	المجازات المنسبة في العربية في ضوء نظرية العلاقات الدلالية
٢٠٩	النظريات اللفوية الحديثة التي اهتمت بدراسة الدلالات المجازية
	نماذج تحليلية للمجازات المنسبة في اللغة العربية في ضوء مبادئ العلاقات
٢٢٤	الدلالية وقواعدها
٢٦٥	أهم نتائج البحث
٢٦٧	مراجع البحث
٢٦٩	المراجع الأجنبية
٢٧١	فهرس الموضوعات

المصري
للطباعة

ت. ٧٢٤١٧٨٦ - ٠١٢٣٣٤٩٧٥